# البيان والتبيين

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

المتوفى بالبصرة فى المحرم سنة ٢٥٥ هـ

سمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواوين وهى « أدب الكاتب لابن قتيبة » و « كتاب الكامل للمبرد » و « كتاب البيان والتبيين للجاحظ » و « كتاب النوادر لابى على القالى » وماسوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها

ابن خلدون

## الجزء الأول

وقف على طبعه

محب الدين الخطيب

المحرر بجريدة المؤيد

طبع على نفقة محمود توفيق الكتبي

القاهرة

١٣٣٢

« مطبعة الفتوح الادبيه – بمصر »

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وسلم

عونك اللهم وتيسيرك

اللهم إنّا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل . ونعوذ بك من التكلّف لما لا نُحسن كما نعوذُ بك من العُجْب بما نُحسن. ونعوذ بك من السَّلاطة (١) والهَذَر (٢) كما نعوذ بك من العِيّ (٣) والحَصَر (٤) وقديماً ما تعوّذوا بالله من شرّهما وتضرعوا الى الله في السلامة منهما

وقد قال النَّمِر بن تولب :

أَعِذني ربِّ من حَصَرٍ وعيٍّ ومن نَفْس أُعالجها عِلاجا

وقال الهُذَلي :

ولا حَصِرٌ بخطبتِهِ اذا ما عزّتِ الخُطَبُ

وقال مكيّ بن سوادة :

حَصِرٌ مُسْهِبٌ جَرِيءٌ جبانٌ خيرُ عِيِّ الرجالِ عِيُّ السُّكوتِ

وقال الآخر :

مليءٌ ببُهْرٍ (٥) والتفاتٍ وسَعلةٍ ومَسْحَةِ عُثْنُونٍ (٦) وفتلِ الاصابعِ

ومما ذمّوا به العِيّ قوله :

وما بيَ من عيٍّ ولا أنطقُ الخَنا اذا جمعَ الأقوامَ في الخَطْبِ مَحفِلُ

وقال الراجز وهو يمتح (٧) بداوِهِ :

---

١ بذاءة اللسان وحدته ٢ الافراط في الكلام ٣ ضد البيان ٤ ضيق الصدر عن النطق ٥ تتابع النفس وانقطاعه من الاعياء ٦ اللحية ٧ متح الماء نزعه

عَلِقْتَ (١) ياحارِثُ عندَ الوِرْدِ (٢) بجابئٍ (٣) لأرَفلِ (٤) التَّرَدِّى (٥)

ولا عَيٍّ بابتناءِ المجدِ

وهذا كقول بَشَّار الاعمى :

وعِيٌّ الفِعَالِ كعِيِّ المَقالِ    وفى الصمتِ عِيٌّ كعِيِّ الكَلِمْ

وهذا المذهب شبيه بما ذهب اليه شُتَيْم بن خُوَيْلِد فى قوله :

ولا يشعبون (٦) الصَّدْعَ (٧) بعد تفاقمٍ (٨)    وفى رِفقِ أيديكم لذى الصدعِ شاعبُ

وهذا كقول زيان بن سيار :

ولسنا كأقوام أجدُّوا رياسةً    يُرى مالُها ولا يُحَسُّ فِعالُها

يُرِيغون (٩) فى الخِصْبِ الامورَ ونفعُهم    قليلٌ اذِ الاموالُ طال هُزالُها (١٠)

وقُلنا بلا عيٍّ وسُسْنا بطاقةٍ    اذِ النارُ نارُ الحربِ طال اشتعالُها

لانهم يجعلون العجز والعى من الخرق كانا فى الجوارح أو فى الالسنة . وقال ابن أحمر الباهلى :

لو كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيفَ لى    بالعلمِ بعدَ تدبُّرِ الأمرِ

وقالوا فى الصمت كقولهم فى المنطق . قال أحيحة بن الجلاج :

والصَّمتُ أَحسنُ بالفتى    مالم يكنْ عيٌّ يَشينُه (١١)

والقولُ ذو خَطَلٍ إذا    مالم يكنْ لُبٌّ يُعينُه

وقال محرز بن علقمة :

لقد وارى المقابرُ من شريك    كثيرَ تحلُّمٍ وقليلَ عاب (١٢)

صَمُوتًا فى المجالس غيرَ عَيٍّ    جديرًا حين ينطقُ بالصَّوابِ

وقال مكى بن سوادة :

تَسلَّمَ بالسُّكوتِ منَ العُيوبِ    فكان السَّكتُ أَجلبَ للعيوبِ

---

١ أحببت ٢ الاشراف على الماء ٣ القادم فجأة ٤ لاجاهل ٥ السقوط فى البئر ٦ لايصلحون ٧ الشق ٨ تعاظم ٩ يطلبون ١٠ ضعفها ١١ يعيبه ١٢ عيب

وَيَرْتَجِلُ الكلامَ وليسَ فيه ... سوى الهَذَيانِ من حَشَدِ[1] الخطيبِ

وقال آخر:

جمعتَ صنوفَ العِيِّ من كلِّ وجهةٍ ... وكنتَ حَرِيًا بالبلاغةِ من كَثَبْ

أبوكَ مُعِمٌّ[2] في الكلامِ ومُخْوِلٌ[3] ... وخالُكَ وثَّابٌ[4] الجراثيمِ[5] في الخُطَبْ

وقال حُميد بن ثور الهلالي:

أتانا ولم يَعْدِلْه سَحْبانُ وائلٍ ... بيانًا وعلمًا بالذي هو قائلُ

فما زال عنه اللَّقْمُ[6] حتى كأنَّهُ ... من العِيِّ لمَّا أنْ تَكَلَّمَ باقِلُ

سَحْبان مَثَلٌ في البيان وباقلٌ مثل في العِيِّ ولهما أخبار. وقال آخر:

ماذا رُزِئْنا منكِ أمَّ الأسْوَدِ ... من رَحْبِ الصَّدْرِ وعَقْلٍ[7] مُتْلِدِ[8]

وهي صَنَاعٌ[9] باللسانِ واليدِ

وقال آخر:

لو صُحِبتْ شهرَيْنِ دأْبًا لم تُمَلْ ... وجَعلتْ تُكْثِرُ قولَ لا وبَلْ

حبُّكَ للباطلِ قِدْمًا قد شَغَلْ ... كسبَكَ عنْ عيالِنا قلتُ أَجَلْ

تَضَجُّرًا مني وعِيًّا بالحِيَلْ

قال وقيل لبزرجمهر بن البختكان الفارسيّ أيّ شيء أسترللعي. قال عقل يجمله. قالوا فان لم يكن له عقل. قال فمال يستره. قالوا فان لم يكن له مال. قال فاخوان يعبرون عنه. قالوا فان لم يكن له اخوان يعبرون عنه. قال فيكون ذا عي وصمت. قالوا فان لم يكن ذا صمت. قال فموت وحيّ (١٠) خير له من أن يكون في دار الحياة

وسأل الله موسى صلى الله تعالى عليه وسلم حين بعثه الى فرعون بابلاغ رسالته والابانة عن حجته والافصاح عن أدلته فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه والحبسة التي كانت في بيانه « واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي » وأنبأنا الله تبارك وتعالى عن تعلق فرعون بكل سبب واستراحته الى كل شغب ونبهنا بذلك على

---

١ جمع ٢ كريم العم ٣ كريم الخال ٤ صيغة مبالغة من وثب أي قفز ٥ الاصول ٦ لقم الطريق وغيره لقما: سد فمه ٧ الدية ٨ ماولد عندك من مالك ٩ حاذقة أوماهرة في العمل ١٠ الموت المسرع

مذهب كل جاحد معاند وعلى كل مختال مكايد حين خبرنا بقوله « أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين » وقال موسى عليه السلام « وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فارسله معى ردءاً يصدقنى » وقال « ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى » رغبة منه فى غاية الافصاح بالحجة والمبالغة فى وضوح الدّلالة لتكون الاعناق اليه أميل والعقول عنه أفهم والنفوس اليه أسرع وان كان قد يأتى من وراء الحاجة و يبلغ أفهامهم على بعض المشقة . ولله عز وجل أن يمتحن عباده بما شاء من التخفيف والتثقيل و يبلو أخبارهم كيف أحب من المكروه والمحبوب ولكل زمان ضرب من المصلحة ونوع من المحنة وشكل من العبادة . ومن الدليل على أن الله عز وجل حل تلك العقدة وأطلق ذلك التعقيد والحبسة قوله « رب اشرح لى صدرى و يسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى » الى قوله « قد أوتيت سؤلك ياموسى » فلم تقع الاستجابة على شىء من دعائه دون شىء لعموم الخبر . وسنقول فى شان موسى عليه السلام ومسالته فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

وذكر الله تعالى جميل بلائه فى تعليم البيان . وعظيم نعمته فى تقويم اللسان . فقال « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان » وقال « هـذا بيان للناس » ومدح القرآن بالبيان والافصاح . وبحسن التفصيل والايضاح . وبجودة الافهام . وحكمة الابلاغ . وسماه فرقانا . وقال عربى مبين . قال « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا » وقال « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » وقال «وكل شىء فصلناه تفصيلا »

وذكر الله تعالى لنبيه حال قريش فى بلاغة المنطق ورجاحة الاحلام وصحة العقول . وذكر العرب وما فيها من الدهاء والنكراء والمكر ومن بلاغة الالسنة واللدد عند الخصومة فقال « اذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد » وقال «لتنذر به قوما لدّا» وقال « ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام » وقال « أآلهتنا خيرأم هو . ماضربوه لك الا جـدلا بل هم قوم خصمون » ثم ذكر خلابة ألسنتهم واستمالتهم الاسماع بحسن منطقهم فقال « وان يقولوا تسمع لقولهم » ثم قال « ومن الناس من يعجبـك قوله فى الحياة الدنيا » مع قوله « واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل » وقال الشاعر فى قوم يحسـنون فى القول ويسيؤن فى العمل قال أبو حفص أنشدنى الاصمعى للمكعبر الضبى :

كُسالى إذا لاقيتهم غير منطق ... يُلَهَّى [١] به المحروب [٢] وهو عناء

وقيل لذوهان ماتقول فى خزاعة . قال جوع وأحاديث . وفى شبيه بهذا المعنى قال أفنون بن صريم التغلبى :

لو أنني كنتُ من عادٍ ومن إرمٍ ... غَذِيَّ قيل [٣] ولقمانٍ وذي جدن [٤]

لَما وقوا بأخيهم من مهوّلةٍ ... أخا السكون ولا حادوا عن السَّنَنِ

أنّي جزَوْا عامراً سُوءاً بفعلهمِ ... أم كيف يجزونني السوأي من الحسنِ

أم كيفَ ينفعُ ماتعطى العلوق به ... رئمانُ أنفٍ اذا ماضُنَّ باللبنِ

ورئمان أصله الرقة والرحمة . والرؤم أرق من الرؤف . فقال رئمان أنف كانها تبر ولدها بانفها وتمنعه اللبن

ولان العرب تجعل الحديث والبسط والتانيس والتلقى بالبشر من حقوق القرى ومن تمام الاكرام . وقالوا تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة واطالة الحديث عند المؤاكلة . وقال شاعرهم وهو حاتم الطائى :

سلى الجائعَ الغرثانَ يا أمَّ منذرٍ ... إذا ما أتانى بين نارى ومجزرى

هل أبسطُ وجهى انهُ أولُ القري ... وأبذلُ معروفي له دون منكري

وقال الآخر :

انك يا ابنَ جعفرٍ خيرُ فتىً ... وخيرُهم لطارقٍ اذا أتى

وربَّ نضوٍ طرقَ الحيَّ سُرى ... صادفَ زاداً وحديثاً ما اشتهى

ان الحديثَ جانبٌ من القِرَى

وقال الآخر :

لِحافى لِحافُ الضيفِ والبيتُ بيتهُ ... ولم يُلهِنى عنهُ غزال مقنَّعُ

أُحدِّثه ان الحديثَ منَ القِرَى ... وتعلم نفسى أنهُ سوفَ يهجعُ

---

١ يعلل بتشديد اللام المفتوحة ٢ المسلوب ماله ٣ الملك ٤ هو علس بن يشرح بن الحارث بن صيفى بن سبأ جد بلقيس ، وهو أول من غنى باليمن ، والجدن حسن الصوت

ولذلك قال عمرو بن الاهتم:

فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحباً    فهذا مَبيت صالحٌ وصديقُ

وقال الآخر:

أُضاحكُ ضَيفي قبلَ انزالِ رحلهِ    ويخصبُ عندي والمحلُّ جديب

وما الخِصبُ للأضيافِ أن يكثُرَ القرى    ولكنّما وجهُ الكريم خَصيبُ

ثم قال الله تبارك وتعالى فى باب آخر من صفة قريش والعرب « أم تأمرهم أحلامهم بهذا » وقال « فاعتبروا يا أولى الالباب » وقال « أنظر كيف ضربوا لك الامثال » وقال « وان كان مكرهم لتزول منه الجبال » وعلى هذا المذهب قال « وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم » وقد قال الشاعر:

يتقارضُونَ اذا التقوا فى موقفٍ    نظراً يُزيلُ مواقعَ الأقدامِ

وقال تبارك وتعالى « وما أرسلنا من رسولٍ الا بلسان قومه ليبين لهم » لان مدار الامر على البيان والتبيين وعلى الافهام والتفهم . وكلما كان اللسانُ أبينَ كان أحمدَ كما أنه كلما كان القلبُ أشدَّ استبانة كان أحمدَ . والمفهم لك والمتفهّم عنك شريكان فى الفضل . الا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلم والمتعلم . هكذا ظاهر هذه القضية وجمهور هذه الحكومة الا فى الخاص الذى لا يذكر والقليل الذى لا يشهر . وضرب الله مثلا لعى اللسان ورداءة البيان حين شبه أهله بالنساء والولدان وقال تعالى « أومن ينشّؤ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين » ولذلك قال النمر بن تولب:

وكلُّ خليلٍ عليهِ الرِّعاثُ (١)    والحُبلاتُ (٢) ضعيفٌ مَلِقْ

وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة وسقطات الخطل يوم اطالة الخطبة باعظم مما يحدث عن العى من اختلال الحجة وعن الحصر من فوت درك الحاجة . والناس لا يعيّرون الخرس ولا يلومون من استولى على بيانه العجز وهم يذمون الحصر ويؤنبون العي . فان تكفا مع ذلك مقامات الخطباء وتعاطيا مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الذم وترادف عليهما التأنيب . ومماتنةُ العيّ الحصر للبليغ المصقع فى سبيل مماتنة المنقطع المفحم للشاعر المفلق . وأحدهما ألوم من صاحبه والالسنة

---

١ جمع رعثة وهى القرط ٢ جمع حبلة بضم أوله وهو ضرب من الحلى يجعل فى القلائد

اليه أسرع . وليس اللجلاج (١) والتمتام (٢) والالثغ (٣) والفافاء (٤) وذو الحبسة (٥) والحكلة (٦) والرتة (٧) وذو اللفف (٨) والعجلة فى سبيل الحصر فى خطبته والعى فى مناضلة خصومه كما أن سبيل المفحم عند الشعراء والبكىء عندالخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار والخطل المكثار

ثم اعلم أبقاك الله أن صاحب التشديق (٩) والتقعير (١٠) والتقعيب (١١) من الخطباء والبلغاء مع سماجة التكلف وشنعة التزيد أعذر من عى يتكلف الخطابة ومن حصر يتعرض لاهل الاعتياد والدربة . ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف و بيانا يمازجه التزيد الا أن تعاطى الحصر المنقوص مقام الدرب التام أقبح من تعاطى البليغ الخطيب ومن تشادق الاعرابى القح . وانتحال المعروف ببعض الغزارة فى المعانى والالفاظ وفى التحبير والارتجال أنه البحر الذى لا ينزح والغمر الذى لا يسبر أيسر من انتحال الحصر المنخوب (١٢) أنه فى مسلاخ (١٣) التام الموفر والجامع المحكك وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال « اياى والتشادق » وقال « أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون » وقال « من بدا جفا » وعاب الفدادين (١٤) والمتزيدين فى جهارة الصوت وانتحال سعة الاشداق ورحب الغلاصم وهدل (١٥) الشفاه وأعلمنا أن ذلك فى أهل الوبر أكثر وفى أهل المدر أقل فاذا عاب المدرى باكثر مما عاب به الوبرى فما ظنك بالمولد القروى والمتكلف البلدى فالحصر المتكلف والعى المتزيد ألوم من البليغ المتكلف لاكثر مما عنده وهو أعذر لان الشبهة الداخلة عليه أقوى . فمن أسوأ حالا أبقاك الله ممن يكون ألوم من المتشدقين ومن الثرثارين المتفيهقين وممن ذكره النبى صلى الله عليه وسلم نصا وجعل النهى عن مذهبه مفسرا وذكر مقته له و بغضه اياه

ولما علم واصل بن عطاء أنه ألثغ فاحش اللثغ وأن مخرج ذلك منه شنيع وأنه اذ كان داعية مقالة و رئيس نحلة وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل و زعماء الملل وأنه لابد له من مقارعة الابطال ومن الخطب الطوال وأن البيان يحتاج الى تمييز وسياسة والى ترتيب و رياضة والى تمام الآلة واحكام الصنعة والى سهولة المخرج

---

١ المتردد فى الكلام ٢ التمتمة رد الكلام الى التاء والميم ٣ الذى يحول لسانه من السين الى الثاء أومن الراء الى الغين أوغير ذلك ٤ مردد الفاء ٥ الذى لايسمع قوله ٦ الذى لايسمع صوته ٧ العجمة ٨ عى بطىء الكلام اذا تكلم ملأ لسانه فمه ٩ متكلف البلاغة ١٠ التكلم باقصى الفم ١١ تقصير الكلام ١٢ الجبان ١٣ صفة ١٤ الشديدى الصوت ١٥ ارسالها الى أسفل

وجهارة المنطق وتكميل الحروف واقامة الوزن وأن حاجة المنطق الى الطلاوة والحلاوة كحاجته الى الجلالة والفخامة وأن ذلك من أكبر ماتستمال به القلوب وتثنى اليه الاعناق وتزين به المعانى . وعلم واصل أنه ليس معه ماينوب عن البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة كنحو ما أعطى الله نبيه موسى صلوات الله عليه من التوفيق والتسديد مع لباس التقوى وطابع النبوة ومع المحبة والاتساع فى المعرفة ومع هدى النبيين وسمت المرسلين وما يغشيهم الله به من القبول والمهابة ولذلك قال بعض شعراء النبي صلى الله عليه وسلم :

لو لم تكنْ فيهِ آياتٌ مبيّنةٌ　　كانتْ بداهتُهُ تنبيكَ بالخبرِ

ومع ما أعطى الله موسى عليه السلام من الحجة البالغة ومن العلامات الظاهرة والبرهانات الواضحة الى أن حل الله تلك العقدة ورفع تلك الحبسة وأسقط تلك المحنة . ومن أجل الحاجة الى حسن البيان واعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة ــ رام أبو حذيفة (١) اسقاط الراء من كلامه واخراجها من حروف منطقه فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ويناضله ويساجله ويتأتى لستره والراحة من هجنته حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما أمل ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلا ولظرافته معلما لما استجزنا الاقرار به والتأكيد له ولست أعنى خطبه المحفوظة ورسائله المخلدة لان ذلك يحتمل الصنعة وانما عنيت محاجة الخصوم ومناقلة الاكفاء ومفاوضة الاخوان

واللثغة فى الراء تكون بالغين والذال والياء . والغين أقلها قبحا وأوجدها فى كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم . وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين فاذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الراء . وقد ذكر ذلك أبو الطروق الضبي فقال :

عليمٌ بإبدالِ الحرُوفِ وقامعٌ　　لكلِّ خطيبٍ يغلبُ الحقَّ باطلُهُ

وكان واصل بن عطاء قبيح اللثغة شنيعها وكان طويل العنق جدا وفيه قال بشار الاعمى :

مالى أُشايعُ غزَّالاً له عنقٌ　　كنِقنِقِ (٢) الدَّوِّ (٣) إن ولّى وان مثَلا

عُنقَ الزَّرافةِ مابالى وبالكم　　أتكفرون رجالا أكفَروا رَجلا

---

١ هو واصل ٢ الظليم ٣ الفلاة

فلما هجا واصلا وصوّب رأى ابليس فى تقديم النار على الطين وقال :

الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مشْرِقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ

وكان واصل بن عطاء غزالا وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له وعلىّ أيضا فانشد :

وما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرٍو بصاحبكِ الذى لاتَصْحَبينا

قال واصل بن عطاء عند ذلك « أما لهذا الملحد الاعمى المشنف المكتنى بابى معاذ من يقتله. أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغاليه لبعثت (١) اليه من يبعج بطنه على مضجعه ويقتله فى جوف منزله وفى يوم حفله ثم كان لا يتولى ذلك منه الا عقيلى أو سدوسى »

قال اسمعيل بن محمد الانصارى وعبد الكريم بن روح الغفارى قال أبو حفص عمر بن أبى عثمان الشمرى : ألا تريان كيف تجنب الراء فى كلامه هذا وأنتما للذى تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه لا تظنان به التكلف مع امتناعه من حرف كثير الدوران فى الكلام . ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول بشار وابن برد والمرعث جعل المشنف بدلا من المرعث والملحد بدلا من الكافر وقال ان الغيلة سجية من سجايا الغاليه ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية لمكان الراء . وقال لبعثت اليه من يبعج بطنه ولم يقل لارسلت اليه . وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه.

وكان اذا أراد أن يذكر البر قال القمح والحنطة . والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية . هذا وهو يعلم أن لغة من قال برّ أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة . قال المتنخل الهذلى :

لادَرَّ دَرّيَ ان أطعمتُ نازلَهمْ قِرْفَ الحَتِيِّ (٢) وعندى البُرُّ مكنوزُ

وقال أمية بن أبى الصلت فى مدح عبد الله بن جدعان :

له داعٍ بمكةَ مُشْمَعِلٌّ وآخرُ فوقَ دارَته ينادى
الى رُدُحٍ (٣) من الشِّيزَى (٤) عليها لبابُ البُرِّ يُلْبَكُ (٥) بالشِّهاد (٦)

وقال بعض القرشيين يذكر قيس بن معد يكرب ومقدمه مكة فى كلمة له :

---

١ خ : لدسست ٢ القرف القشر ، والحتى سويق المقل وهو الدوم ٣ الجفان ٤ خشب أسود قيل هو الآبنوس ٥ يخلط ٦ جمع شهد وهو العسل.

قَيْسُ أَبو الأَشْعَث بِطْرِيقُ اليمنْ  لا يَسألُ السائلُ عنه ابنُ منْ
أَشْبَعَ آلَ اللهِ منْ بُرِّ عَدَنْ

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أترون أنى لا أعرف رقيق العيش لباب البر بصغار المعزى . وسمع الحسن رجلا يعيب الفالوذق فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ماعاب هذا مسلم . وقالت عائشة رضى الله عنها ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه البرة السمراء حتى فارق الدنيا

وأهل الامصار انما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب . ولذلك تجد الاختلاف فى ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر . حدثنى أبوسعيد عبدالكريم ابن روح قال قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة انما الفصاحة لنا أهل مكة فقال ابن المناذر أما ألفاظنا فاحكى الالفاظ للقرآن وأكثرها له موافقة فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم . أنتم تسمون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور وقال الله عزوجل « وجفان كالجواب وقدور راسيات » . وأنتم تسمون البيت اذا كان فوق البيت علية وتجمعون هذا الاسم على علالى ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف وقال الله تبارك وتعالى « غرف من فوقها غرف مبنية » وقال « وهم فى الغرفات آمنون » . وأنتم تسمون الطلع الكافور والاغريض ونحن نسميه الطلع وقال الله عز وجل « ونخل طلعها هضيم » فعد عشر كلمات لم أحفظ أنا منها الا هذا

ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس فى قديم الدهر علقوا بالفاظ من ألفاظهم ولذلك يسمون البطيخ الخربز ويسمون السميط (١) الروذق ويسمون المصوص المزوز (٢) ويسمون الشطرنج الاشترنج فى غير ذلك من الاسماء

وكذلك أهل الكوفة فانهم يسمون المسحاة (٣) بال وبال بالفارسية . ولو علق ذلك لغة أهل البصرة اذ نزلوا بادنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبه اذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بادنى بلاد النبط وأقصى بلاد العرب . ويسمى أهل الكوفة الحوك (٤) باذروج والباذروج بالفارسية والحوك كلمة عربية

وأهل البصرة اذا التقت أربع طرق يسمونها مربعة ويسميها أهل الكوفة الجهار سوك والجهار سوك بالفارسية . ويسمون السوق أو السويقة وازار والوازار بالفارسية

١ المنتوف صوفه بالماء الحار ٢ المصوص : طعام من لحم يطبخ وينقع فى الخل أو يكون من لحم الطير خاصة ، وفى النسخة التى طبعت فى مصر «المصوص المزوز» ٣ آلة للقش أو الجرف ٤ البقلة الحمقاء

ويسمون القثاء خيارا والخيار فارسية ويسمون المجذوم ويذى بالفارسية

وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن الجوع الا فى موضع العقاب أو فى موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر . والناس لايذكرون السغب ويذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة . وكذلك ذكر المطر لانك لاتجد القرآن يلفظ به الا فى موضع الانتقام والعامة وأكثر الخاصة لايفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث . ولفظ القرآن الذى عليه نزل أنه اذا ذكر الابصار لم يقل الاسماع واذا ذكر سبع سموات لم يقل الارضين ألا تراه لايجمع الارض أرضين ولا السمع أسماعا . والجارى على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقدون من الالفاظ ماهو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح فى القرآن الا فى موضع التزويج

والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما وتستعمل ماهو أقل فى أصل اللغة استعمالا وتدع ماهو أظهر وأكثر . ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ماهو أجود منه . وكذلك المثل السائر . وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية فى الشهرة ولا يرزق ذلك الذكر والتنويه بعض من هو أولى بذلك منه . ألا ترى أن العامة ابنُ القِرِّيَّة أشهرُ عندها فى الخطابة من سحبان وائل وعُبيدالله بن الحر أذكر عندهم فى الفروسية من زُهير ابن ذؤيب وكذلك مذهبهم فى عنترة بن شداد وعُتيبة بن الحارث بن شهاب وهم يضربون المثل بعمرو بن معديكرب ولا يعرفون بسطام بن قيس

وفى القرآن معان لاتكاد تفترق مثل الصلاة والزكاة والجوع والخوف والجنة والنار والرغبة والرهبة والمهاجرين والانصار والجن والانس

قال قطرب أنشدنى ضرار بن عمرو قول الشاعر فى واصل :

وَيجعلُ البُرَّ قمحاً فى تَصرُّفِهِ ... وجانَبَ الراءَ حتىَّ احتَالَ للشّعرِ

ولم يُطقْ مطراً والقول يعجلُه ... فعادَ بالغيثِ إشفاقا مِنَ المطرِ

قال وسألت عثمان البرى كيف كان واصل يصنع فى العدد . وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين . وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الاربعاء وشهر رمضان . وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب . فقال مالى فيه قول الا ماقال صفوان :

مُلَقَّنٌ مُلْهَم فيما يُحاولهُ ... جَمٌّ خواطرُه جوّابُ آفاقِ

وأنشدني ديسم قال أنشدني أبو محمد الزيدي :

وخلَّة اللفظ في اليا آت إن فقدت  كخلَّة اللفظ في اللامات والألف
وخصلة الرَّاء فيها غير خافية  فاعرف مواقعها في القول والصحف

يزعم أن هذه الحروف أكثر ترددا من غيرها والحاجة اليها أشد . واعتبر ذلك بان تاخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم فانك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجةُ اليها أشدّ

## ﴿ ذكر ماجاء في تلقيب واصل بالغزّال ومن نفى ذلك عنه ﴾

قال أبو عثمان : فمن ذلك ماأخبرنا به الاصمعي قال أنشدني المعتمر بن سليمان لاسحق بن سويد العدوى :

برئتُ من الخوارج لستُ منهم  من الغزَّال منهم وابن باب
ومن قومٍ اذا ذكروا عليًّا  يردّون السلامَ على السَّحاب
ولكنّي أُحبُّ بكل قلبي  وأعلم أنَّ ذاك من الصواب
رسولَ الله والصدّيقَ حبًّا  به أرجو غداً حُسنَ المآب

وفي ذلك قال بشار :

مالي أُشايعُ غزّالاً لهُ عُنُقٌ  كنِقنِقِ الدّوّ إنْ ولى وإن مثلا

ومن ذلك قول معدان السميطي :

يومَ تشفي النفوس من يعصر اللؤ  م ويثني بسامة الرحال
وعديٍّ وتيمها وثقيفٍ  وأُميٍّ وتغلبٍ وهلال
لاحرور ولا النوائب تنجو  لاولا صحب واصل الغزَّال

وكان بشار كثير المديح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة (١) ويُكفّر جميع الامة وكان قد قال في تفضيله على خالد بن صفوان وشبيب بن شيبه والفضل بن عيسى يوم خطبوا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والى العراق :

---

(١) أي يؤمن بالرجوع الى الدنيا بعد الموت

أبا حذيفة قد أوتيت معجبة … من خطبة بدهت من غير تقدير
وإن قولا يروق الخالدين معا … لمسكت مخرس عن كل تحبير (١)

لانه كان مع ارتجاله الخطبة التي نزع منها الراء كانت مع ذلك أطول من خطبهم،
وقال بشار :

تكلفوا القول والاقوام قد حفلوا … وحبّروا خطبا ناهيك من خطب
فقام مرتجلا تغلي بداهته … كمرجل القين (٢) لما حف باللهب
وجانب الراء لم يشعر به أحد … قبل التصفح (٣) والإغراق في الطلب

وقال في كلمة له يعني تلك الخطبة :

فهذا بديه لا كتحبير قائل … إذا ما أراد القول زوّره (٤) شهرا

فلما انقلب عليهم بشار ومقاتله لهم بادية هجوه ونفوه فما زال غائبا حتى مات عمرو
ابن عبيد. وقال صفوان الانصارى :

متى كان غزّال له يا ابن حوشب … غلام كعمرو أو كعيسى بن حاضر
أما كان عثمان الطويل بن خالد … أو القرم حفص نهية (٥) للمخاطر
له خلف شعب الصين في كل ثغرة … الى سوسها (٦) الأقصى وخلف البرابر
رجال دعاة لا يفل عزيمهم … تهكم جبّار ولا كيد ماكر
اذا قال مرّوا في الشتاء تطاوعوا … وان كان صيفا لم يخف شهر ناجر (٧)
بهجرة أوطان وبذل وكلفة … وشدة أخطار وكدّ المسافر
فأنجح مسعاهم وأثقب زندهم … وأورى بفلج (٨) للمخاصم قاهر
وأوتاد أرض الله في كل بلدة … وموضع فتياها وعلم التشاجر
وما كان سحبان يشق غبارهم … ولا الشدق من حي هلال بن عامر

---

١ تحسين ٢ الحداد ٣ خ : التصحف ٤ حسنه وقومه ٥ واحدة النهى وهى العقول ٦ بلد بالمغرب
٧ كل شهر في صميم الحر ٨ الظفر والفوز

ولاالناطقُ النّخارُ[١] والشيخ دِغفل ... اذا وصلوا أيمانَهم بالمَخاصرِ

ولا القالةُ الاعلَوْنَ رهط مكحّلٍ ... إِذا نَطقوا فى الصَّاح بين العشائرِ

بجمعٍ من الجفّينِ راضٍ وساخطٍ ... وقد زَحفت برّاؤهم للمحاضر

الجفّان بكر وتميم . والروقان بكر وتغلب . والقاران الازد وتميم . قيل ذلك لكل عمارة من الناس وهى جمع . والعمائر أيضا غار . والجف أيضا قشر الطلعة

تَلقَّبَ بالغزّالِ واحدُ عصرهِ ... فمن لليتامى والقبيلِ المكاثرِ

ومن لحَرُوري[٢] وآخرَ رافضٍ ... وآخرَ مُرْجيّ[٣] وآخرَ حائرِ

وأمرٍ بمعرُوفٍ وانكارِ منكرٍ ... وتحصينِ دينِ اللهِ من كل كافرِ

يصيبون فصلَ القولِ فى كل منطقٍ ... كما طبعتْ[٤] فى العظم مُدْية جازرِ

تراهُم كأنَّ الطيرَ فوقَ رؤسهم ... على عمّةٍ معروفةٍ في المعاشرِ

وسيماهُم معروفةٌ فى وجوههم ... وفى المشي حُجّاجاً وفوْقَ الاباعرِ

وفى رَكْعةٍ تأتى على الليلِ كلّهِ ... وظاهرِ قولٍ فى مثال الضمائرِ

وفى قَصّ هُدّابٍ[٥] وإحفاء[٦] شاربٍ ... وكَوْرٍ[٧] على شيبٍ يضىء لناظرِ

وعَنْفَقةٍ[٨] مَصاومةٍ[٩] ولنعلهِ ... قِبالانِ[١٠] فى رِدنٍ رَحيبِ الخواطرِ

فتلك علامات تحيط بوصفهم ... وليس جهول القوم فى جرم خابرِ

وفى واصل يقول صفوان :

فما مَسَّ ديناراً ولا صَرَّ درهماً ... ولا عَرَفَ الثوبَ الذي هو قاطعه

وفيه يقول اسباط بن واصل الشيبانى :

وأَشهدُ أَنَّ اللهَ سماكَ واصلاً ... وأنكَ ميمونُ النقيبةِ[١١] والشّيمْ

---

١ النخار بن أوس أنسب العرب ٢ خارجى ٣ من فرقة المرجئة ٤ خ : طبقت ٥ طرف الثوب مما يلى طرته ٦ إلاستقصاء فى أخذه ٧ الدور من العمامة ٨ شعيرات بين الشفة السفلى والذقن ٩ مقطوعة ١٠ الزمام الذى يكون بين الاصبع الوسطى والتى تليها ١١ محمود المختبر ومبارك النفس

ولما قام بشار يعذر ابليس فى أن النار خير من الارض وذكر واصلا بما ذكره قال صفوان :

زعمتَ بأنَّ النارَ أكرمُ عنصرا ... وفى الارضِ تحيا بالحجارةِ والزندِ
ويُخلقُ فى أرحامها وأرومها (١) ... أعاجيبُ لاتُحصى بخطٍّ ولا عقدِ
وفي القعرِ من لُجِّ البحارِ منافعٌ ... منَ اللؤلؤِ المكنونِ والعنبرِ الوردِ
كذلك سرُّ الارضِ في البحرِ كله ... وفى الغيضةِ الغنّاء والجبلِ الصلدِ
ولا بدَّ من أرضٍ لكلِّ مطّهرٍ ... وكل سَبُوحٍ فى الغمائرِ من جدِّ
كذاكَ ومايَنساحُ في الارضِ ماشياً ... على بطنه مشىَ المُجانبِ للقصدِ
ويسرى على جلدٍ يقيمُ حزوزهُ ... تَعَمَّجَ (٢) ماءِ السيلِ فى صببٍ حَرْدِ (٣)
وفي قُللِ الأجبالِ خلفَ مُقطَّمٍ ... زَبرْجَدُ أملاكِ الورَي ساعةَ الحَشْدِ
وفى الحَرَّةِ (٤) الرَّجلاءِ (٥) تُلْقَى معادِنا ... لهنَّ مغاراتٌ تبخَّسن (٦) بالنقدِ
من الذَّهَبِ الإبْرِيزِ والفضةِ التي ... تَرُوقُ وتُصبي ذا القناعةِ والزُّهدِ
وكل فِلزٍّ (٧) من نحاس وآنُك (٨) ... ومن زئبق حى ونوشادر يسدى
وفيها زَرَانيخٌ ومَكرٌ ومَرْتَكٌ (٩) ... ومن مرقشيشاغير كابٍ ولا مكْدِي (١٠)
وفيهاضُروبُ القارِ والشَّبِّ والنُّهى (١١) ... وأصنافُ كبريتٍ مطاولةِ الوَقدِ
ترِي العرفَ (١٢) منهافى المقاطعِ لائحاً ... كماقرّتِ الحسناءحاشيةَ البُرْدِ
ومن إثمدٍ (١٣) جَوْنٍ (١٤) وكلسٍ وفضةٍ ... ومن تُوتياءَ في معادِنهِ هِندِي
وفى كلِّ أغوارِ البلادِ معادِنٌ ... وفى ظاهرِ البيداءِمن مُستوَى نجدِ

١ أصول أشجارها ٢ تلوى وتعرج ٣ المنحدر المتلوى ٤ الأرض البركانية ٥ الخشنة التى يترجل فيها ٦ خ : تبخس ٧ جوهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس والآنك وغير ذلك ٨ الاسرب ٩ المكر : المغرة أى الطين الاحمر يصبغ به ، والمرتك : الحجر المحرق ١٠ غير عظيم ولا صلب ١١ القار : الزفت ، والنهى : الزجاج ١٢ خ : العرق ١٣ حجر الكحل ١٤ أسود

وكلٌّ يواقيتِ الانامِ وحَلْيِها — من الارضِ والاحجارُ فاخرةُ المجدِ
وفيها مقامُ الخلِّ والرُّكنُ والصفا — ومُسْتَلَمُ الحُجاجِ من جنّةِ الخلدِ
وفى صخرةِ الخضرِ التي عند حوتِها — وفى الحجرِ المُهْمَى (١) لموسى على عمْدِ
وفى الصَّخرةِ الصمّاءِ تَصدَعُ آيةٌ — لامِّ فَصيلٍ ذي رُغاءٍ (٢) وذي وَجْدِ
مَفاخرُ للطينِ الذي كان أصْلَنا — ونحنُ بنوهُ غيرَ شكٍّ ولا جحْدِ
فذلك تدبيرٌ ونفعٌ وحكمةٌ — وأوضحُ برْهانٍ على الواحدِ الفَرْدِ
أتجعلُ عمراً والنِّطاسيَّ واصلاً — كأتباعِ ديصانٍ وهم قمشُ المدِّ
وتَفخرُ بالميلادِ والعلجِ عاصمٍ — وتضحكُ من جيدِ الرئيسِ أبي جَعْدِ
وتحكى لدى الاقوامِ شُنْعةَ رأيِهِ — لتصرِفَ أهواءَ النفوسِ الى الرَّدِّ
وسميتَهُ الغزّالَ في الشعرِ مُطْنباً — ومولاكَ عند الظلمِ قصتُهُ (٣) مُرْدِيٌّ (٤)

يقول ان مولاك ملاح لان الملاحين اذا تظلموا رفعوا المرادى

فيا ابنَ حليفِ الطينِ (٥) واللؤمِ والعمى — وأبعدَ خلقِ اللهِ من طُرُقِ الرُّشدِ
أتهجو أبا بكرٍ وتخلعُ بعدَه — علياً وتعزُو كلَّ ذاكَ الى بُردِ
كأنّكَ غضبانٌ على الدينِ كلِّه — وطالبُ ذَحْلٍ (٦) لا يبيتُ على حقدِ
رجعتَ الى الامصارِ من بعدِ واصلٍ — وكنتَ شريدا في التهائمِ والنجدِ
أتجعلُ ليلى الناعطيَّةَ نحلةً — وكلَّ عريقٍ في التناسخِ (٧) والرَّدِّ
عليكَ بدعدٍ والصدُوفِ (٨) وفرْتَنَى (٩) — وحاضنتَيْ كسْفٍ وزاملتَيْ هندِ
تُواثِبُ أقماراً وأنتَ مُشوَّهٌ — وأقربُ خلقِ اللهِ من شبهِ القِرْدِ

---

١ خ : المهمى ٢ صوت ذوات الخف ٣ القصة القطعة ترفع فيها الظلامة ٤ عود يدفع به الملاح السفينة ٥ كان أبو بشار صانع جرار ٦ ثأر ٧ التناسخ عند من يقول به انتقال الروح من جسم الى آخر ٨ المرأة تعرض وجهها عليك ثم تصدف ٩ امرأة مغنية

ولذلك قال فيه حماد عجرد بعد ذلك :

ويا أقبح من قردٍ اذا ماعَمِي القِرْدُ

ويقال انه لم يجزع من شىء قط جزعه من هذا البيت. وذكره الشاعر وذكر أخويه لامه فقال :

لقد وَلَدَتْ أمٌّ الا كْـمهِ أعرجاً وآخرَ مقطوعَ القَفا ناقصَ العضدِ

وكانوا ثلاثة مختلفى الآباء والام واحـدة وكلهم ولد زمنا. ولذلك قال بعض من يهجوه :

اذا دَعاهُ الخالُ أقعى (١) ونَكَصْ وهُجْنَةُ الاقرافِ (٢) فيه بالحَصَصْ

وقال الشاعر :

لاتشهَدَنْ بخارجيٍّ مُطْرِفٍ (٣) حتى ترى من نجلِهِ أفراسا

وقال صفوان الانصارى فى بشار وأخويه وكان يخاطب أمهم :

ولدت خُلْداً وذِيخاً في تَشتّـمهِ وبعدهُ خُزَزاً يشـتدُّ في العضـد

والخـلد ضرب من الجرذان يولد أعمى والذيخ ذكر الضباع وهو أعرج والخزز ذكر الارانب وهو قصير اليدين لايلحقه الكلب فى الصيد

ثلاثةٌ من ثلاثٍ فُرّقوا فِرَقاً فاعرفْ بذلك عِرْقَ الخالِ من ولد

وقال بعد ذلك سليمان الاعمى أخو مسلم بن الوليد الانصارى الشاعر فى اعتـذار بشار لابليس وهو يخبر عن كرم خصال الارض :

لابُدَّ للارض إن طابتْ وانْ خَبُثَتْ من أن تُحيلَ اليها كلَّ مغرُوسِ

وتُربَةُ الارضِ إن جِيدَتْ (٤) وانْ قُحِطَتْ فحَمْلُها أبداً فى إثر مَنْفُوس (٥)

وبطنُها بفلزِّ الارضِ ذُو خَبَرٍ بكلِّ جَوْهَرةٍ فى الارض مرْمُوسِ

الفلز جوهر الارض من الذهب والفضة والنحاس والآنك وغير ذلك

وكلَّ آنيـةٍ عمَّتْ مرافقُـها وكلَّ مُنْتَقَـدٍ فيها وملبوسِ

---

١ جلس على اليتيه ونصب فخذيه ٢ المداناة والمخالطة يقال أقرف الهجنة أى دانى العيب ٣ الطرف « بكسر الطاء » الكريم الاطراف من الآباء والامهات ٤ أصابها غيث ٥ مولود

وكلٌّ ماعُونها كالملح مرفقةٌ ... وكلها ضحكٌ من قول إبليس

وقال بعض خلفاء بغداد :

عجبتُ من ابليس فى كبرهِ ... وخُبثِ ما أبداهُ من نيّتهْ

تاهَ على آدمَ فى سجدةٍ ... وصارَ قوّاداً لذُرّيّتهْ

وذكره بهذا المعنى سليمان أخو مسلم الانصارى فقال :

يأبى السجودَ لهُ مِن فَرْطِ نخوَتِهِ ... وقد تحوّلَ فى مِسلاخِ (١) قوّادِ

وقال صفوان فى شان واصل و بشار وفى شان النار والطين فى كلمة له :

وفى جوفها للعبدِ أسترُ منزلٍ ... وفى ظهرها يقضى فرائضَهُ العبدُ

تمجُّ لُفاظَ (٢) الملحِ مجّاً وتصطفى ... سبائكَ لاتصدى وان قدُم العهدُ

وليسَ بمُحصٍ كُنهَ مافى بطونِها ... حسابٌ ولاخطٌّ وان بلغَ الجهدُ

فسائلْ بعبدِ اللهِ فى يوم حفلهِ ... وذلكَ مقامٌ لايشاهدُه وغدُ

أقامَ شبيباً وابنَ صفوانَ قبلَهُ ... بقولِ خطيبٍ لايجانبُه القصدُ

وقامَ ابنُ عيسى ثم قفّاهُ واصلٌ ... فابدعَ قولا ماله فى الورى ندّ

فما نقصتَهُ الراءُ اذ كان قادراً ... على تركها واللفظُ مُطّردٌ سردُ

ففضّلَ عبدُ اللهِ خطبةَ واصلٍ ... وضوعفَ فى قسمِ الصِّلاتِ له الشّكْدُ (٣)

فأقنعَ كلَّ القومِ شكرُ حبائِهم ... وقلّلَ ذاكَ الضّعفَ فى عينهِ الزّهدُ

قد كتبنا احتجاج من زعم أن واصل بن عطاء كان غزالا واحتجاج من دفع ذلك عنه . ويزعم هؤلاء أن قول الناس واصل الغزال كما يقال خالد الحذاء وكما يقولون هشام الدستوائى ، وانما قيل ذلك لان الاباضية كانت تبعث اليه من صدقاتها بثياب دستوانية فكان يكسوها الاعراب الذين يكونون بالجباب فاجابوه الى قول الاباضية وكانوا قبل ذلك لايزوجون الهجناء فاجابوه الى التسوية و زوجوا هجينا فقال

---

١ جلد ٢ الشئ المرمى ٣ الشكر والعطاء

الهجين فى ذلك :

انّا وَجـدنا دستَوَانينا الصائمـينَ المتعبـدينا

أفضلَ منكم حَسَبًا ودينا أَخزَى الآلهُ المتـكبّرينا

أفيكم من ينكحُ الهجينا

وانما قيل ذلك لواصل لكثرة جلوسه فى سوق الغزالين الى أبى عبد الله مولى قطن الهلالى . وكذلك كانت خَال خالد الحذاء الفقيه . وكما قالوا أبو مسعود البدرى لانه كان نازلا على ذلك الماء . وكما قالوا أبو مالك السدى لانه كان يبيع الخمر فى سدة المسجد. وهذا الباب مستقصى فى كتاب الاسماء والكنى. وقدذكرنا جملة منه فى أنباء السرارى والمهيرات ١

## ﴿ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة﴾

قال أبوعثمان : وما يحضرنى منها وهى أربعة أحرف القاف والسين واللام والراء. فاما التى هى على الشين المعجمة فذلك شيء لايصوره الخط لانه ليس من الحروف المعروفة وانما هومخرج من المخارج والمخارج لاتحصى ولا يوقف عليها. وكذلك القول فى حروف كثيرة من حروف لغات العجم. وليس ذلك فى شيء أكثر منها فى لغة الخوز. وفى سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير كلامهم شبيه بالصفير فمن يستطيع أن يصور كثيرا من حروف الزمزمة ٢ والحروف التى تظهر من فم المجوسى اذا ترك الافصاح عن معانيه وأخذ فى باب الكناية وهوعلى الطعام

فاللثغة التى تعرض للسين تكون ثاء كقوله لابى يكسوم أبى يكثوم وكما يقولون بثرة اذا أرادوا بسرة وبأثم الله اذا أرادوا بسم الله

والثانية اللثغة التى تعرض للقاف فان صاحبها يجعل القاف طاء فاذا أرادأن يقول قلت له قال طلت له وأراد أن يقول قال لى قال طال لى

وأما اللثغة التى تقع فى اللام فان من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله اعتللت اعتييت وبدل جمل جمى. وآخرون يجعلون اللام كافا كالذى عرض لعمر أخى هلال فانه كان اذا أراد أن يقول ما العلة فى هذا قال ما الكعة فى هذا

---

١ جمع مهيرة وهى الحرة ٢ كلام المجوس عند أكلهم

فاما اللثغة التى تقع فى الراءفان عددها يضعف على عدد لثغة اللام لان الذى يعرض لها أربعة أحرف فنهم من اذا أراد أن يقول عمرو قال عمى فيجعل الراء ياءً. ومنهم من اذا أرادأن يقول عمرو قال عمغ فيجعل الراء غينا ومنهم من اذا أراد أن يقول عمرو قال عمذ فيجعل الراء ذالا واذا أنشدقول الشاعر :

واستَبَدَّتْ مَرَّةً واحِدَةً إنّما العاجزُ مَنْ لاَيَسْتَبِدُّ

قال : واستبدت مـذة واحـدة انما العاجز من لايستبـد

فن هؤلاء على بن جنيد بن فريدى

ومنهم من يجعل الراء ظاءمعجمة فيقول اذا أنشدهذا البيت :

واستبـدت مرة واحـدة انما العاجز من لايستبـد

قال : واستبـدت مظة واحدة انما العاجز من لايستبـد

ومنهم من يجعل الراء غينا معجمة فاذا أراد أن ينشد هذا البيت :

واستبـدت مرة واحـدة انما العاجز من لايستبـد

قال : واستبدت مغـة واحـدة انما العاجز من لايستبـد

كما أن الذى لثغتـه بالياء اذا أراد أن يقول واستبدت مرة واحدة قال واستبدت مية واحدة . وأما اللثغة الخامسة التى كانت تعرض لواصل بن عطاء وسليمان بن يزيد العـدوى الشاعر فليس الى تصويرها سبيل . وكذلك اللثغة التى تعرض فى الشـين كنحو ما كان لمحمد بن الحجاج كاتب داود بن محمد كاتب أم جعفر فان تلك أيضاليس لهـا صورة فى الخط ترى بالعـين وانما يصورها اللسان وتتـادى الى السـمع . وربمـا اجتمعت فى الواحد لثغتان فى حرفين كنحو لثغة شوشى صاحب عبدالله بن خالد الاموى فانه كان يجعل اللام ياء والراءياء قال مرة مويای وبی أيّـي يريدمولای ولی أرى .

واللثغـة فى الراءاذا كانت بالياء فهى أحقرهن وأوضـعهن لذى المروءة ثم التى على الظاء ثم التى على الذال . فاماالتى على الغـين فهى أيسرهن . ويقال ان صاحبها لوجهد نفسه جهده وأخذلسانه وتكلف مخرج الراء على حقها والافصاح بها لم يكن بعيدامن أن تجيبه الطبيعة ويؤثر فيهاذلك التعهد أثراً حسنا . وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين وكان اذاشاء أن يقول عمر ولعمرى وما أشبه ذلك على الصحة قاله ولكنه كان

يستثقل التكلف والتهيؤ لذلك، فقلت له اذا لم يكن المانع الا هذا العذر فلست أشك أنك لو احتملت هذا التكلف والتتبع شهراً واحدا أن لسانك كان يستقيم

أما من يعتريه اللثغ فى الضاد ربما اعتراه أيضا فى الصاد والراء حتى اذا أراد أن يقول مضر قال مضى فهذا وأشباهه لاحقون بشوشى

وزعم ناس من العوام أن موسى صلوات الله وسلامه عليه كان ألثغ ولم يقفوا من الحروف التى كانت تعرض له فى شيء بعينه فمنهم من جعل ذلك خلقة ومنهم من زعم أنه انما اعتراه حين قالت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون لفرعون لا تقتل طفلا لا يفرق الجمر من التمر فلما دعا له فرعون بهما جميعا تناول جمرة فاهوى بها الى فيه فاعتراه من ذلك ما اعتراه

وأما اللثغة فى الراء فتكون فى الياء والذال والغين وهى أقلها قبحا وأوجدها فى ذى الشرف وكبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين فاذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الراء على الصحة فتأتى له ذلك وكان يدع ذلك استثقالا . أنا سمعت ذلك منه . قال وكان الواقدى يروى عن بعض رجاله أن لسان موسى عليه السلام كانت عليه شامة فيها شعرات . وليس يدل القرآن على شيء مما قالوا لانه ليس فى قوله « واحلل عقدة من لسانى » دليل على شيء دون شيء

قال الاصمعى اذا تتعتع اللسان فى التاء فهو تمتام واذا تتعتع فى الفاء فهو فأفاء . وأنشد لرؤبة بن العجاج :

يا حمد ذات المنطق التمتام كأنّ وسواسك فى اللمام

حديثُ شيطانِ بني همام

وبعضهم ينشد : « يا حمد ذات المطق النمنام[١] » وليس ذلك بشيء وانما ذلك كما قاله أبو الزحف :

لستَ بفأفاءٍ ولا تمتامِ ولا كثيرِ الهُجْرِ[(٢)] في المنام

وأنشد أيضا للخولانى فى كلمة له :

إن السّياطَ تركْنَ لاستِكَ منطقاً كمقالةِ التّمتامِ ليسَ بمُعربِ

---

١ المزخرف والمزين ٢ الهذيان

فجعل الخولانى التمتام غير معرب عن معناه ولا مفصح بحاجته . وقال أبو عبيدة اذا أدخل الرجل بعض كلامه فى بعض فهو ألفّ وقيل بلسانه لففٌ وأنشدنى لابى الزحف الراجز :

كأن فيه لففاً اذا نطق  من طول تحبيس وهمٍّ وأرق

كانه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلمه وطال عليه ذلك أصابه لفف فى لسانه . وكان يزيد بن جابر قاضى الازارقة بعد المقعطل يقال له الصموت لانه لما طال صمته ثقل عليه الكلام فكان لسانه يلتوى ولا يكاد يبين . وأخبرنى محمد بن الجهم أن مثل هذا اعتراه أيام محاربة الزُطّ من طول التفكر ولزوم الصمت . قال وأنشدنى الاصمعى :

حديثُ بنى زُطّ اذا ما لقيتهم  كنَزْوِ[1] الدَّبى[2] فى العَرْفَجِ[3] المتقاربِ

قال ذلك حين كان فى كلامهم عجلة . وقال سلمة بن عياش :

كأن بنى رألانَ اذ جاء جمعُهم  فراريجُ يُلقَى بينهنّ سَوِيقُ[4]

فقال ذلك لرقة أصواتهم وعجلة كلامهم . وقال اللهبى فى اللجلاج :

ليسَ خطيبُ القوم باللّجْلاجِ  ولا الذى يَزْحَلُ[5] كالهِلْباجِ[6]

ورُبَّ بيداء وليلٍ داجِ  هتكتُه بالنصِّ[7] والإدلاجِ[8]

وقال محمد بن سلام الجمحى كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اذا رأى الرجل يتلجلج فى كلامه قال خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد . ويقال فى لسانه حبسة اذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حد الفأفاء والتمتام . ويقال فى لسانه لكنة اذا أدخل بعض حروف العجم فى حروف العرب وجذبت لسانه العادة الاولى الى المخرج الاول . فاذا قالوا فى لسانه حُكلة فانما يذهبون الى نقصان آلة المنطق وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه الا بالاستدلال . وقال رؤبة بن العجاج :

لو أننى أوتيتُ علمَ الحُكْلِ  علمَ سليمانَ كلامَ النمْلِ

---

١ وثوب ٢ صغار الجراد واحدها دباة ٣ شجر ينبت فى السهل ٤ الناعم من دقيق القمح والشعير
٥ يتنحى و يتباعد ٦ الاحمق ٧ السير الشديد ٨ السير من أول الليل

وقال محمد بن ذؤيب فى مدح عبد الملك بن صالح :

ويفهم قول الحُكْلِ لو أن ذرّةً تُساوِدُ(١) أُخري لم يَفُتْهُ سوادُها

وقال التيمى فى هجائه ابنى تغلب :

ولكنّ حُكْلاً لاتَبِينُ ودينُها عبادةُ أعلاجٍ عليها البَرانسُ(٢)

قال سحيم بن حفص فى الخطيب الذى تعرض له الجنحة والسعلة وذلك اذا انتفخ سَحْرُهُ ٣ وكبا زَنْدُهُ ٤ ونبا حَدُّهُ فقال :

نعوذُ باللهِ من الإهمالِ ومن كَلالِ(٥) الغَرْبِ في المَقالِ

ومن خَطيبٍ دائمِ السُّعالِ

وأنشدنى الاعرابى :

إنّ زِياداً ليسَ بالبَكِيِّ ولا بِهَيّابٍ كثيرِ العِيِّ

وأنشدنى بعض أصحابنا :

ناديتُ هيذانَ والابوابُ مُغْلَقَةٌ ومثلُ هيذانَ سنّى(٦) فتحةَ البابِ

كالهِنْدُوانِيِّ لم تَفْلُلْ مَضارِبُه وَجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وَجّابِ(٧)

وقال الآخر :

اذا اللهُ سَنّى عقدَ شيءٍ تَيَسَّرا

وقال بشر بن معمر فى مثل ذلك :

ومن الكبائرِ مِقْوَلٌ مُتَتَعتِعٌ جَمُّ التَّنَحْنُحِ متعبٌ ميهور

وذلك أنه شهد ريسان أبا بجير بن ريسان يخطب وقد شهدت أنا هذه الخطبة ولم أر جبانا قط أجرأ منه ولا جريئا قط أجبن منه . وقال الاشل الازرقى – من بعض أخوال عمران بن حطان الصفر القعدى – فى زيد بن جُندب الايادى خطيب الازارقة واجتمعا فى بعض المحافل فقال بعد ذلك الاشل البكرى :

نَحْنَحَ زيدٌ وسَعَلْ لما رأى وَقْعَ الأسَلْ(٨)

---

١ لعله تسارر وهكذا لم يفته سرارها أى يفهم مادق حتى مساررة الذرة ٢ جمع برنس وهو قلنسوة طويلة ٣ رئته ٤ لم تخرج ناره ٥ اعياء ٦ سهل بتشديد الهاء ٧ كثير الاضطراب ٨ الرماح

وَيْلُ أُمِّـهِ إذا ارْتَجَـلْ ثم أطالَ واحْتَفَلْ

وقد ذكر الشاعر زيد بن جُندب الايادى الخطيب الازرقى فى مرثيته لابى داود بن جرير الايادى حيث ذكره بالخطابة وضرب المثل بخطباء إياد فقال :

كَقُسِّ إيادٍ أو لَقيطِ بن مَعْبَدٍ وعذْرَةَ والمِنْطيق زَيْدِ بن جُنْدُبِ

و زيد بن جندب هو الذى يقول فى الاختلاف الذى وقع بين الازارقة :

قلْ للمُحِلِّينَ (١) قد قَرَّتْ عيونُكُم بفرْقَةِ القومِ والبَغْضاءِ والهَرَبِ

كُنّا أُناساً على دينٍ ففرّقَنا فَرْعُ الكلامِ وخَلْطُ الجِدِّ باللَّعِبِ

ما كانَ أَغنَى رِجالاً ضَلَّ سعيُهُمُ عن الجِدالِ وأَغناهُمْ عن الخُطَبِ

إنّى لأَهْوَنُكُم فى الارضِ مُضْطَرَباً مالى سِوَى فَرَسِي والرُّمحِ من نَشَبِ (٢)

وأما عذرة المذكور فى البيت الاول فهو عذرة بن حجرة الخطيب الايادى . ويدل على قدره فيهم وعلى قدره فى اللسن والخطب قول شاعرهم :

وأَيُّ فتًى صبرٌ على الأَيْنِ (٣) والظَّمَا إذا اعتَصَرُوا للُّوحِ (٤) ماءَ فظاظِها (٥)

اذا ضَرَّجوها ساعةً بدِمائِها وحُلَّ عن الكَوْماءِ (٦) عَقْدُ شِظاظِها (٧)

فانَّكَ ضَحّاكٌ الى كلِّ صاحبٍ وأَنطَقُ من قُسٍّ غداةَ عُكاظِها (٨)

اذ اشعب المولى مشاعب (٩) معشر فعذْرَةُ فيها آخذ بكظاظها (١٠)

فلم يضرب هذا الشاعر الايادىّ المثل لهذا الخطيب الايادى الا برجل من خطباء إياد وهو قس بن ساعدة . ولم يضرب صاحب مرثية أبى داود بن جرير ١١ الايادى المثل الا بخطباء اياد فقط ولم يفتقر الى غيرهم حيث قال فى عذرة بن حجرة :

---

١ المحل فى مكان : الذى ينزل فيه ، والمحل أيضا الخارج من ميثاق أوعهد كان عليه ٢ ثروة ٣ الاعياء ٤ العطش ٥ جمع الفظ وهو أن يسق الرجل بعيره ثم يشد فمه لئلا يجتر ، فاذا أصابه عطش شق بطنه فعصر فرثه فشرب منه ٦ الناقة الضخمة السنام ٧ خشبة تدخل فى عروتى الوعاء الكبير من شعر وغيره ٨ سوق للعرب فى صحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما أوشهراً تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون ويتبايعون ٩ شعب مشاعبه : فرق طرقه ١٠ الشدة والتعب ١١ فى نسخة أخرى « أبى دؤاد بن جرير »

كقُسِّ إيادٍ أو لقيطِ بن معبدٍ وعذرةَ والمنطيق زيدِ بن جندبِ

وأول هذه المرثية قوله :

نعى ابنَ جريرٍ جاهلٌ بمصابهِ فعمَّ نزاراً بالبكا والتحوّبِ (١)

نعاهُ لنا كالليث يحمى عرينَهُ وكالبدرِ يغشى ضوءُه كلَّ كوكبِ

وأصبر من عود وأهدى اذا سرى من النجم في داج من الليل غيهب

وأضربُ من حدِّ السنان لسانه وأمضى من السيف الحسام المشطّبِ

زعيمُ نزارٍ كلِّها وخطيبُها اذا قال طأطا رأسَه كلُّ مشغبِ

سليلُ قُروم (٢) سادة ثم قالةٍ يبزّون (٣) يومَ الجمع أهلَ المحصَّبِ (٤)

كقسِّ إيادٍ أو لقيطِ بن معبد وعذرة والمنطيقِ زيدِ بن جندبِ

فى كلمة له طويلة و إياهم عنى الشاعر بقوله :

يرمُونَ بالخُطَبِ الطّولِ وتارةً وَحْيَ (٥) الملاحظِ خيفةَ الرُّقباء

قال أخبرنى محمد بن عباد بن كاسب كاتب زهير ومولى بجيلة من سبي دابق وكان شاعرا راوية وطلابة للعلم علامة قال سمعت أبا داود بن جرير يقول وقد جرى شئ من ذكر الخطب وتحبير الكلام واقتضابه ٦ وصعوبة ذلك المقام وأهواله فقال : «تلخيص المعانى رفق . والاستعانة بالغريب عجز . والتشادق عن غير أهل البادية بغض . والنظر فى عيون الناس عى . ومس اللحية هلك . والخروج مما بنى عليه أول الكلام اسهاب» قال وسمعته يقول : «رأس الخطابة الطبع . وعمودها الدربة. وجناحاها رواية الكلام . وحليها الاعراب . وبهاؤها تخير اللفظ . والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه» وأنشدنى بيتا له فى صفة خطباء اياد وهو قوله :

يرمُونَ بالخُطَبِ الطوالِ وتارةً وَحْيَ الملاحظِ خيفَةَ الرُّقباء

فذكر المبسوط فى موضعه . والمحذوف فى موضعه . والموجز والكناية والوحى باللحظ ودلالة الاشارة . وأنشدنى له الثقة فى كلمة له معروفة :

---

١ التوجع ٢ فحول عظماء ٣ يغلبون ٤ موضع رمى الجمار بمنى ٥ الاشارة بالكلام الخفى ٦ ارتجاله

الجودُ أخشَنُ مسا يابنى مطَرٍ من أنْ تبزَّكُموهُ كفُّ مُستَلِبِ
ما أعلَمَ الناسَ أنَّ الجُودَ مَدْفَعَةٌ للذَّمِّ لكنَّه يأتى على النَّشَبِ

قال ثم لم يحفل بها فادعاها مسلم بن الوليد الانصارى أو ادعيت له . وكان أحد من يجيد قريض الشعر وتحبير الكلام

وفى الخطباء من يكون شاعراً و يكون اذا تحدّث أو وصف أو احتج بليغا مفوها بينا . و ربما كان خطيبا فقط وشاعراً فقط و بين اللسان فقط . ومن الشعراء الخطباء الابيناء الحكماء قُسُّ بن ساعدة الايادى . والخطباء كثير والشعراء أكثر منهم . ومن يجمع الخطابة والشعر قليل ومنهم عمرو بن الاهتم المنقرى . وهو المكحل . قالوا كأن شعره فى مجالس الملوك حلل منشرة . قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل الاوسية أى منظر أحسن . قالت قصور بيض فى حدائق خضر . فانشد عند ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بيت عدى بن زيد العبادى :

كدُمَى (١) العاجِ فى المحاريبِ (٢) أوكالـ بيضِ فى الرَّوضِ زهرُهُ مُستَنيرُ

قال فقال قسامة بن زهير كلام عمرو بن الاهتم آنق وشعره أحسن . هذا وقسامة أحد أبيناء العرب . ومن الخطباء الشعراء البعيث المجاشعى واسمه خداش بن بشر بن لبيد. ومن الخطباء الشعراء الكميت بن زيد الاسدى وكنيته أبو المستهل. ومن الخطباء الشعراء الطرماح بن حكيم الطائى وكنيته أبو نفر، قال القاسم بن معن قال محمد بن سهل راوية الكميت أنشدت الكميت قول الطرماح :

اذا قُبِضتْ نفسُ الطِّرِمّاحِ أخلَقَتْ (٣) عُرَى المجدِ واستَرخَى عنانُ القصائدِ

قال فقال الكميت اى والله وعنان الخطابة والرواية

قال أبو عثمان الجاحظ : ولم ير الناس أعجب حالا من الكميت والطرماح . وكان الكميت عدنانيا عصبيا ٤ وكان الطرماح قحطانيا عصبيا . وكان الكميت شيعيا من الغالية وكان الطرماح خارجيا من الصفرية . وكان الكميت يتعصب لاهل الكوفة وكان الطرماح لاهل الشام . و بينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة مالم يكن بين نفسين قط . ثم لم يجر بينهما صرم ولا جفوة ولا إعراض ولا شئ مما تدعو هذه الخصال اليه . ولم ير الناس مثلهما الا ماذكروا من حال عبد الله بن زيد الاباضى

---

١ الصور المنقشة ٢ المساجد ٣ بليت ٤ نسبة الى العصبة وهم أبو الرجل وابنه وعمه وخاله

وهشام بن الحكم الرافضي فانهما صارا الى المشاركة بعد المخالطة والمصاحبة ، وقد كانت الحال بين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة الحال التي تدعو الى المفارقة بعد المناقشة والمحاسدة للذى اجتمع فيهما من اتفاق الصناعة والقرابة والمجاورة . فكان يقال لولا أنهما أحلم تميم لتباينا تباين النمر والاسد . وكذلك كانت حال هشام بن حكم الرافضي وعبد الله بن زيد الاباضي الا أنهما فضلا على سائر المتضادين بما صارا اليه من الشركة في جميع تجارتهما . وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة فقال ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية فلم يعارضه شبيب . وتدل كلمة خالد هذه على أنه يحسن أن يسب سب الاشراف

ومن الخطباء الشعراء عمران بن حطان وكنيته أبو شهاب أحد بني عمرو بن شيبان اخوة سدوس . فمن بني عمرو بن شيبان مع قلتهم من العلماء والخطباء والشعراء عمران بن حطان رئيس القعدة [1] من الصفرية وصاحب فتياهم ومقرعهم عند اختلافهم . ومنهم دغفل بن حنظلة النسابه الخطيب العلامة . ومنهم الفعقاع بن شور . وسنذكر شانهم اذا انتهينا الى موضع ذكرهم ان شاء الله تعالى . ومن الخطباء الشعراء نصر بن سيار أحد بني ليث بن بكر صاحب خراسان . وهو يعد في أصحاب الولايات وفى الحروب وفى التدبير وفى العقل وشدة الرأى . ومن الخطباء الشعراء زيد بن جندب الايادى وقد ذكرنا شانه . ومن الخطباء الشعراء عجلان بن سحبان الباهلي . وسحبان هذا هو سحبان وائل . وهو خطيب العرب . ومن الخطباء الشعراء العلماء وممن قد تنافر اليه الاشراف أعشى همدان . ومن الشعراء الخطباء عمران بن عصام العنزي . وهو الذى أشار على عبد الملك بخلع أخيه عبد العزيز والبيعة للوليد بن عبد الملك فى خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة . وهو الذى لما بلغ عبد الملك بن مروان قتل الحجاج له قال ولم قتله ويله هلا رعى له قوله فيه :

وبَعثت من وَلدِ الاغَرِّ معتبٍ [2] صَقراً يَلوذُ حَمامُه بالعرفج [3]

فاذا طبخت بنارِهِ أنضجتها وإذا طبخت بغيرِها لم ينضَجِ

وهو الهِزَبْرُ إذا أراد فَريسةً لم يُنجِها منهُ صِياحُ الهجهج [4]

ومن خطباء الامصار وشعرائهم والمولدين منهم بشار الاعمى . وهو بشار بن

١ الخوارج ٢ اسم رجل ٣ شجر ينبت فى السهل ٤ لعله صوت الكر عند القتال أوغير ذلك

برد وكنيتـه أبو معاذ . كان من أحد موالى بنى عقيـل فان كان مولى أم ظباء ـ على ما يقول بنو سدوس وما ذكره حماد عجرد ـ فهو من موالى بنى سدوس . و يقال انه من أهل خراسان نازلا فى بنى عقيل . وله مدح كثير فى فرسان أهل خراسان و رجالاتهم وهو الذى يقول :

من خُراسان (١) وبيتي فى الذُّرا ‏ ‏ ‏ ولَدَى المَسعاةِ فرعى قد سَبقْ

وانى لِمنْ قومٍ خُراسانُ دارُهم ‏ ‏ ‏ كرامٍ وفَرْعى فيهِمُ ناضرٌ بسق

وكان شاعراً راجزاً سجاعا خطيبا صاحب منثور ومزدوج وله رسائل معروفة. وأنشد عقبـة بن رؤبة عقبة بن سلم رجزا يمتدحه فيـه و بشار حاضر فاظهـر بشار استحسان الارجوزة فقال عقبـة بن رؤبة هـذا طراز ياأبا معاذ لاتحسنه فقال بشار ألمثلى يقال هذا الكلام أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك . ثم غدا على عقبة ابن سلم بارجوزته التى أولهـا :

ياطَلَـلَ الحىِّ بذاتِ الصَّـمَدِ (٢) ‏ ‏ ‏ باللهِ خَـبِّرْ كيفَ كنتَ بعـدِى

وهى التى يقول فيها :

اسلَمْ وحُيِّيتَ أبا الملدِّ ‏ ‏ ‏ لله أيامُك فى معَـدِّ

وفيها يقول :

الحرُّ يُلحَى (٣) والعَصا للعبـدِ ‏ ‏ ‏ وليسَ للمُلْحِفِ (٤) مثـلُ الرَّدِّ

و يقول فيها :

وصاحبٍ كالدُّمَّلِ الممدِّ ‏ ‏ ‏ حَمَلْتُهُ فى رُقعةٍ من جِلْدِى

وما وَراءَ رغبتى من زُهْدِى

أى لم أره زهداً فيه ولا رغبة . ذهب الى قول الشاعر :

لقد كنتَ في قومٍ عليكَ أشِحَّةٍ ‏ ‏ ‏ بنفسكَ لولا أنْ من طاحَ (٥) طائحُ (٦)

يوَدُّونَ لو خاطُوا عليكَ جلودَهم ‏ ‏ ‏ ولا تَدفَعُ الموْتَ النفوسُ الشحائحُ

---

١ لعله أنا من ٢ المكان المرتفع الغليظ ٣ يلام ٤ بضم الياء وفتح الحاء ٤ الملح بتشديد الحاء ٥ سقط ٦ هالك

والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلى . والسيد الحميرى . وأبو العتاهيه . وابن أبى عيينة . وقد ذكر الناس فى هذا الباب يحيى بن نوفل . وسلما الخاسر . وخلف بن خليفة . وأبانُ بن عبد الحميد اللاحقى أولى بالطبع من هؤلاء . و بشار أطبعهم كلهم . ومن الخطباء الشعراء ومن يؤلف الكلام الجيد و يصنع المناقلات الحسان و يؤلف الشعر والقصائد الشريفة مع بيان عجيب ورواية كثيرة وحسن دَلّ و إشارة عيسى بن يزيد بن دأب أحد بنى ليث بن بكر وكنيته أبو الوليد . ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن كلثوم بن عمرو العتابى وكنيته أبو عمرو . وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله فى البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنحو منصور النمرى ومسلم بن الوليد الانصارى وأشباههما . وكان العتابى يحتذى حذو بشار فى البديع . ولم يكن فى المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة والعتابى . من ولد عمرو بن كلثوم [1] ولذلك قال :

إنى امرؤٌ هدَّمَ الإقتارُ (٢) مأثرَتى ... واجتاحَ (٣) ما بنَتِ الايامُ مِن خطَرِى

أيام عمرُو بنُ كلثومٍ يُسوِّدُهُ (٤) ... حيّا ربيعةَ والأفناء (٥) من مُضَرِ

أرُومةٌ عطّلتنِى من مكارمِها ... كالقوسِ عطّلها الرّامى مِن الوتَرِ

ودل فى هذه القصيدة على أنه كان قصيرا قوله :

نهى ظِرافَ الغَوانى عن مُواصلَتى ... ما يفجأُ العينَ من شيبِى ومن قِصَرِى

ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار المجلدة والسير الحسان المولدة والاخبار المدونة سهل بن هرون بن راهيونى الكاتب صاحب كتاب ( ثعلة وعفرة ) فى معارضة كتاب ( كليلة ودمنة ) وكتاب ( الاخوان ) وكتاب ( المسائل ) وكتاب ( المخزومى والهذلية ) وغير ذلك من الكتب. ومن الخطباء الشعراء على بن ابراهيم بن جبلة بن مخرمة ولا أعلمه يكنى الا أبا الحسن

وسنذكر كلام قس بن ساعدة وشان لقيط بن معبد وهند بنت الخس [6] وجمعة بنت حابس وخطباء اياد اذا صرنا الى ذكر خطباء القبائل ان شاء الله

---

١ أحد أصحاب المعلقات ٢ الافتقار ٣ أهلك ٤ يجعله سيدا ٥ القبائل والجماعات ، والفنء والفنأ بمعنى الجماعة ٦ خ : الحسن

ولاياد وتميم فى الخطب خصلة ليست لأحد من العرب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى روى كلام قُسّ بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته وهو رواه لقريش والعرب وهو الذى عجب من حسنه وأظهر من تصويبه. وهذا اسناد تعجز عنه الامانى وتنقطع دونه الآمال. وانما وفق الله ذلك الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ولاظهاره معنى الاخلاص وايمانه بالبعث. ولذلك كان خطيب العرب قاطبة. وكذلك ليس لأحد فى ذلك مثل الذى لبنى تميم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سال عمرو بن الاهتم عن الزبرقان بن بدر قال مانع لحوزته مطاع فى أذينه [1] فقال الزبرقان أما انه قد علم أكثر مما قال لكنه حسدنى شرفى. فقال عمرو أما لئن قال ما قال فوالله ماعلمته الا ضيق الصدر زَمِرَ [2] المُروءة لئيم الخال حديث الغنى. فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قوله الاول ورأى الانكار فى عين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله رضيت فقلت أحسنَ ماعلمت وغضبت فقلت أقبح ماعلمت وما كذبت فى الاولى واىد صدقت فى الآخرة. فقال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان من البيان لسحرا. فهاتان الخصلتان خصت بهما اياد وتميم دون سائر القبائل. ودخل الاحنف بن قيس على معاوية بن أبى سفيان فاشار له الى الوساد فقال له اجلس فجلس على الارض فقال معاوية مامنعك يا أحنف من الجلوس على الوساد فقال ياأمير المؤمنين ان فيما أوصى به قيس بن عاصم المنقرى ولده أن قال لاتَغْشَ [3] السلطان حتى يملّك [4] ولا تقطعه حتى ينساك ولا تجلس له على فراش ولا وساد واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين فانه عسى أن يأتى من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له فيكون قيامك زيادة له ونقصا عليك. حسبى بهذا المجلس يا أمير المؤمنين لعله أن يأتى من هو أولى بذلك المجلس منى. فقال معاوية لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشى الكلام وأنشا يقول:

يا أيّها السائلُ عمّا مضَى ... وعلم هذا الزمنِ العائبِ
إن كنتَ تبغى العلم أو أهلهُ ... أو شاهداً يخبرُ عن غائبِ
فاعتبر الارضَ بسكّانها ... واعتبرِ الصّاحبَ بالصّاحبِ

وذهب الشاعر فى مرثية أبى داود فى قوله:

[1] زعيمه [2] قليل المروءة [3] لاتجىء [4] أى الى الحد الذى يسأمك فيه

وأصبرُ من عودٍ وأهدَى اذا سرَى    من النَّجم في داجٍ من الليل غيهبِ

هـذا شبيه بقول جبار بن سليمان بن مالك بن جعفر بن كلاب حـين وقف على قبر عامر بن الطفيـل فقال : كان والله لا يضل حتى يضل النجم . ولا يعطش حتى يعطش البعير . ولا يهاب حتى يهاب السيل . وكان والله خير ما يكون حـين لا تظن نفس بنفس خيرا . وكان زيد بن جنـدب أشغى ١ أقلح ٢ ولولا ذلك لكان أخطب العرب قاطبة . وقال عبيدة بن هلال اليشكرى فى هجائه له :

أشغى عقنباةٌ (٣) ونابٌ ذو عصَلْ (٤)    وقلَحٌ بادٍ وسِنٌّ قد نَصَلْ (٥)

وقال عبيدة أيضا فيه :

ولفوكَ أشنعُ حينَ تنطِقُ فاغراً    من في قَرِيحٍ (٦) قد أصابَ بَرِيرا (٧)

وقال الكميت :

تشبَّـه بالهام آثارها    مَشافرَ قُرْحاً أكلْن البَرِيرا

وقال أخو النمر بن تولب فى شنعة أشداق الجمل :

كم ضَرْبَةٍ لكَ تَحكى فا (٨) قُراسيَةٍ    من المَصاعِبِ في أشداقه شَنَعُ

وفى الخطباء من كان أشغى ومن كان أروق ومن كان أشـدق ومن كان أضجم ومن كان أفقم . القراسية بعير أضجم والضجم اعوجاج فى الفم والفقم مثـله والروق ركوب السن الشفة . وفى كل ذلك روينا الشاهد والمثل . وروى الهيثم بن عدى عن أبى يعقوب الثقفى عن عبـد الملك بن عمير قال قدم علينا الاحنف الكوفة مع مصعب ابن الزبير فما رأيت خصـلة تذم فى رجل الا وقد رأيتها فيـه كان أصعل ٩ الرأس أحجن ١٠ الانف أغضف ١١ الاذن متراكب الاسنان أشدق مائل الذقن ناتئ الوجنة باخق ١٢ العين خفيف العارضين أحنف ١٣ الرجلين ولكنه اذا تكلم جلى عن نفسه ولو استـطاع الهيـثم أن يمنعه البيان أيضا لمنعه . ولولا أنه لم يجد بدا من أن يجعل له شيئا على حال لما أقربانه اذا تكلم جلى عن نفسه. وقولنا فى كلمته هذه كقول هند بنت عتبة حين أتاها نعى يزيد بن أبى سفيان وقال لها بعض المعزين انا لنرجو أن يكون فى معاوية خلف من يزيد فقالت هنـد ومثل معاوية لا يكون خلفا من أحـد فوالله

---

١ ذو الشغا وهو اختلاف أنبتة الاسنان فى الطول والقصر والدخول والخروج ٢ ذو القلح وهو صفرة الاسنان ٣ ذو مخالب حداد ٤ عوج ٥ خرج من موضعه ٦ متألم من جراح ٧ أول ما يظهر من ثمر الاراك ٨ فم ٩ دقيق ١٠ معوج ومنه المحجن ١١ فى أذنه استرخاء ١٢ أعور ١٣ معوج

لو جمعت العرب من أقطارها ثم رمى به فيها لخرج من أى أعراضها شاء . ولكننا نقول أمثل الاحنف يقال « الا انه اذا تكلم جلى عن نفسه »

ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول فيما يعترى اللسان من ضروب الآفات . قال ابن الاعرابى طلّق أبو رمادة امرأته حين وجدها لثغاء وخاف أن تجيئه بولد ألثغ فقال :

لَثْغاءُ تأتى بحِيَفْسٍ أَلْثَغِ ... تَميسُ فى المَوْشِيّ والمُصَبَّغِ

الحيفس الولد القصير الصغير . وأنشد ابن الاعرابى كلمة جامعة لكثير من هذه المعانى وهو قول الشاعر :

أُسكُتْ ولا تَنْطِقْ فأنتَ حَبْحابْ[1] ... كُلُّكَ ذو عَيْبٍ وأنتَ عَيّابْ[2]

إن صَدَقَ القومُ فأنتَ كَذّابْ ... أو نَطَقَ القومُ فأنتَ هَيّابْ

أو سكتَ القومُ فأنتَ قَبْقابْ[3] ... أو أقدَمُوا يوماً فأنتَ وَجّابْ[4]

وأنشدنى :

ولستُ بزُميجةٍ فى الفِراشِ ... وَجّابةٍ يَحتمى أنْ يُجيبا

ولا ذى قَلازِمَ عندَ الحِياضِ ... اذا ما الشَّرِيبُ[5] أرابَ الشَّريبا

الزميجة الثقيل عن الحركة . والقلازم كثرة الصياح . وأنشدنى :

رُبَّ غَريبٍ ناصِحِ الجَيْبِ[6] ... وابنِ أبٍ مُتَّهَمِ الغَيْبِ

ورُبَّ عَيّابٍ له مَنْظَرٌ ... مُشْتَمِلُ الثَّوْبِ على العَيْبِ

وأنشد :

وأجرأُ مَن رأيتُ بظَهْرِ غَيْبٍ ... على عَيْبِ الرِّجالِ ذوو العُيوبِ

وقال سهل بن هرون لو عرف الزنجى فرط حاجته الى ثناياه فى اقامة الحروف وتكميل جميل البيان لما نزع ثناياه . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سهيل ابن عمرو الخطيب يارسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع[7] لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبدا . وانما قال ذلك لان سهيلا كان أعلم[8] من شفته السفلى . وقال خلاد

---

١ القصير الدميم السيئ الخلق ٢ الكثير العيب للناس ٣ كثير الكلام ٤ وجب القلب رجف ٥ هو من يستقى أو يشاربك ٦ أمين القلب والصدر ٧ يخرج ٨ مشقوق الشفة

ابن يزيد الارقط خطب الجحي خطبة نكاح أصاب فيها معاني الكلام وكان في كلامه صفير يخرج من موضع ثناياه المنزوعة فاجابه زيد بن علي بن الحسين بكلام في جودة كلامه الا أنه فضله بحسن المخرج والسلامة من الصفير فذكر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر سلامة لفظ زيد بسلامة أسنانه فقال في كلمة له :

قَامَتْ قَوَادِحُها وَتَمَّ عَدِيدُها فَلَهُ بِذَاكَ مَزِيَّةٌ لا تُنْكَرُ

ويروى :

صحت مخارجها وتم حروفها

المزية الفضيلة . وزعم يحيى بن نجيم بن معاوية بن زمعة أحد رواة أهل البصرة قال قال يونس بن حبيب في تاويل قول الاحنف بن قيس :

أَنا ابنُ الزَّافِرِيَّةِ أَرْضَعَتْنِي بِثَدْيٍ لاأَجَدَّ (١) ولاوَخِيمُ

أَتَمَّتْنِي فَلَم تَنقُصْ عِظَامِي ولاصَوْتِي اذا اصْطَكَّ الخُصُومُ

قال انما عنى بقوله عظامي أسنانه التي في فمه . وهي التي اذا تمت تمت الحروف . وقال يونس وكيف يقول مثله أتمتني فلم تنقص عظامي وهو يريد بالعظام عظام اليدين والرجلين وهو أحنف من رجليه جميعا مع قول الختات له والله لانك ضئيل وان أمك لورهاء ٢ . وكان أعرف بمواقع العيوب وأبصر بدقيقها وجليلها . وكيف يقول ذلك وهو نصب عيون الاعداء والشعراء والاكفاء وهو أنف مضر الذي تعطس عنه وأبين العرب والعجم قاطبة . قالوا ولم يتكلم معاوية على منبر جماعة مذ سقطت ثناياه في الطست . قال أبو الحسن وغيره لما شق على معاوية سقوط مقادم فمه قال له يزيد بن معن السلمي والله ما بلغ أحد سنك الا أبغض بعضه بعضا ففوك أهون علينا من سمعك وبصرك فطابت نفسه . وقال أبو الحسن المدايني لما شد عبد الملك أسنانه بالذهب قال لولا المنابر والنساء ما باليت متى سقطت . قال وسالت مباركا الزنجي الفاشكار — ولا أعلم زنجيا بلغ في الفشكرة مبلغه — فقلت له لم ينزع الزنجي ثناياه ولم يحدد ناس منهم أسنانهم فقال أما أصحاب التحديد فللقتال والنهش ولانهم ياكلون لحوم الناس ومتى حارب ملك ملكا فاخذه قتيلا أو أسيرا أكله وكذلك اذا حارب بعضهم بعضا أكل الغالب منهم المغلوب وأما أصحاب القلع فانهم قالوا نظرنا الى مقادم أفواه

---

١ يابس ٢ حمقاء

الغنم فكرهنا أن تشبه مقادم أفواهنا مقادم أفواه الغنم فكم تظنهم حفظك الله فقدوا من المنافع العظام بفقد تلك الثنايا . وفى هذا كلام يقع فى (كتاب الحيوان) . وقال أبو الهندى فى اللثغ :

سُقيتَ أبا المُطَرّحِ إذ أتانى ... وذو الرَّعَثاتِ (١) منتصبٌ يَصيحُ
شَراباً يَهرُبُ الذِّبانُ عنهُ ... ويَلثَغُ حينَ يَشربُه الفَصيحُ

وقال محمد بن عمرو الرومى مولى أمير المؤمنين : قد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الاسنان أصلح فى الابانة عن الحروف منه اذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها الشطر الآخر . وقد رأينا تصديق ذلك فى أفواه قوم شاهدهم الناس بعد أن سقط جميع أسنانهم و بعد أن بقى منها الثلث أو الربع. فمن سقط جميع أسنانه وكان معنى كلامه مفهوما الوليد بن هشام القحذمى صاحب الاخبار . ومنهم أبو سفيان . والعلاء بن لبيد التغلبي وكان ذا بيان وأَسَن . وكان عبيد الله بن أبى غسان ظريفا يصرّف لسانه كيف أحب . وكان الالحاح على القيس قد برد أسنانه حتى كان لا يرى أحد منها شيئا الا أن تطلع فى لحم اللثة وفى أصول منابت الاسنان . وكان سفيان بن الابرد الكلبي كثيرا ما يجمع بين القار ٢ والحار فتساقطت أسنانه جميعا وكان مع ذلك خطيبا بينا . وقال أهل التجربة اذا كان فى اللحم الذى فيه مغارز الاسنان تشمير ٣ وقصر سمك ذهبت الحروف وفسد البيان واذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئا يقرعه و يصكه ٤ ولم يمر فى هواء واسع المجال وكان لسانه يملأ جوبة ٥ فمه لم يضره سقوط أسنانه الا بالمقدار المغتفر ٦ والجزء المحتمل. ويؤكد ذلك قول صاحب المنطق فانه زعم فى (كتاب الحيوان) أن الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين وأحكى لما يلقن ولما يسمع كنحو الببغاء والغداف وغراب البين وما أشبه ذلك وكالذى يتهيأ من أفواه السنانير اذا تجاوبت من الحروف المقطعة المشاركة لمخارج حروف الناس . فاما الغنم فليس يمكنها أن تقول الا «ماء» والميم والباء أول ما يتهيأ فى أفواه الاطفال كقولهم ماما وبابا لانهما خارجان من عمل اللسان وانهما يظهران بالتقاء الشفتين وليس شىء من الحروف أدخل فى باب النقص والعجز من فم الاهتم من الفاء والسين اذا كانا فى وسط الكلمة . فاما الصاد فليس تخرج الا من الشدق الايمن الا أن يكون

١ الديك ٢ البارد ٣ تقلص ٤ يضربه ٥ الحفرة أو المكان الوطئ ٦ خ : المغتفر

المتكلم أعْسَرَ يسَراً ١ مثل عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يخرج الضاد من أى شدقيه شاء . فاما الايمن ٢ والاعسر ٣ والاضبط ٤ فليس يمكنهم ذلك الا بالاستكراه الشديد . وكذلك الانفاس مقسومة على المنخرين فحالا يكون الاستروح ودفع البخار من الجوف من الشق الايمن وحالا يكون من الشق الايسر ولا يجتمعان على ذلك فى وقت الا أن يستكره ذلك مُستكره أو يتكلفه متكلف فاما اذا ترك أنفاسه على سجيتها لم يكن الا كما قالوا . وقالوا الدليل على أن من سقط جميع أسنانه أن عظم اللسان نافع له قولُ كعب بن جعيل ليزيد بن معاوية حين أمره بهجاء الانصار فقال : أرادّى أنت الى الكفر بعد الايمان ، لا أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه. ولكنى سادلك على غلام فى الحى كافر كأنّ لسانه لسان ثور . يعنى الاخطل . وجاء فى الحديث أن الله تبارك وتعالى يبغض الرجل يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة ٥ الخَلَى ٦ بلسانها . قالوا ويدل على ذلك قول حسان بن ثابت حين قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما بقى من لسانك فاخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أرنبته ٧ ثم قال والله انى لو وضعته على صخر لفلقه أو على شعر لحلقه وما يسرنى به مقول من معدّ . وأبو الصمت مروان بن أبى الجنوب بن مروان بن أبى حفصة وأبوه وابنه فى نسق واحد يقرعون باطراف ألسنتهم أطراف آنفهم . وتقول الهند لولا أن الفيل مقلوب اللسان لكان أطق من كل طائر يتهيا فى لسانه كثير من الحروف المقطعة المعروفة . وقد ضرب الذين يزعمون أن ذهاب جميع الاسنان أصلح فى الابانة عن الحروف من ذهاب الشطر أو الثلثين فى ذلك مثلا فقالوا الحمام المقصوص جناحاه جميعا أجدر أن يطير من الذى يكون أحدهما وافرا والآخر مقصوصا ، قالوا وعلة ذلك التعديل والاستواء واذا لم يكن كذلك ارتفع أحد شقيه وانخفض الآخر فلم يحذف ولم يطر . والقطا من الطير قد يتهيأ من أفواهها أن تقول « قطا قطا » وبذلك سميت . ويتهيأ من أفواه الكلاب العينات والفآت والواوات كنحو قولها «وَوْ وَوْ» وكنحو قولها « عَفْ عَفْ » قال الهيثم بن عدى قيل لصبى مَن أبوك قال « وَوْ وَوْ » لان أباه كان يسمى كلبا

ولكل لغة حروف تدور فى أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين واستعمال الجرامقة للعين . قال الاصمعى ليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسريانى دال

---

١ هو الذى يعمل بيديه جميعا أو ماشا كل ذلك ٢ من يصنع بيمناه ٣ من يعمل بيسراه ٤ هو الذى يعمل بكلتى يديه ٥ واحدة البقر ٦ الرطب من النبات أو كل بقلة قلعتها ٧ طرف الانف

ومن ألفاظ العرب ألفاظ تنافر وان كانت مجموعة فى بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها الا ببعض استكراه . فمن ذلك قول الشاعر :

وَقَبْرُ حَرْبٍ بمكانٍ قَفْرُ        وليسَ قُرْبَ قبرِ حربٍ قَبْرُ

ولما رأى من لاعلم له أن أحداً لايستطيع أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات فى نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج وقيل لهم ان ذلك انما اعتراه اذ كان من أشعار الجن صدقوا بذلك . ومن ذلك قول ابن بشير فى أحمد بن يوسف حين استبطأه :

هل مُعينٌ على البُكا والعَويلِ        أمْ مُعَزٍّ على المُصابِ الجَليلِ
مَيّتٌ ماتَ وهو فى وَرَقِ العَيْـ        ـشِ مقيمٌ به وظِلٍّ ظليلِ
فى عِدادِ الموتى وفى عامرِ الدنيا        أبو جعفر أخى وخليلى
لم يَمُتْ مِيتَةَ الوَفاةِ ولكنْ        ماتَ من كُلِّ صالحٍ وجميلِ
لا أُذيلُ(١) الآمالَ بعدكَ إنّى        بَعْدَها بالآمال حَقٌّ بخيلِ
كم لها موقِفاً بباب صَديقٍ        رَجَعَتْ من نَداهُ بالتَعْطيلِ

ثم قال :

لم يَضُرْها والحمدُ للهِ شئٌ        وانْثَنَتْ نحوَ عُرْفِ نفسٍ زهولِ(٢)

فتفقد النصف الاخير من هذا البيت فانك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض .

وأنشدنى أبو العاصى قال أنشدنى خلف الاحمر فى هذا المعنى :

وبعضُ قَريضِ القومِ أولادُ عَلَّةٍ        يُكِدُّ لسانَ الناطقِ المُتَحَفِّظِ

وقال أبو العاصى أنشدنى فى ذلك أبو البيداء الرياحى :

وشِعرٌ كبَعْرِ الكَبْشِ فرَّقَ بينَه        لسانُ دَعِيٍّ فى القَريضِ دَخيلِ

أما قول خلف « وبعض قريض القوم أولاد علة » فانه يقول اذ كان الشعر مستكرها وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات ٣ . واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب أختها مرضيا

١ لاأهين ٢ متباعدة ٣ هم الذين أبوهم واحد وأمهاتهم شتى .

موافقا كان على اللسان عند انشاد ذلك الشعر مؤونة . وأجود الشعر مارأيته متلاحم الاجزاء سهل المخارج فيعلم بذلك أنه أفرغ افراغا جيدا وسبك سبكا واحدا فهو يجرى على اللسان كما يجرى على الدهان

وأما قوله «كبعر الكبش» فانما ذهب الى أن بعر الكبش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاور . وكذلك حروف الكلام وأجزاء الشعر من البيت تراها متفقة لسا ولينة المعاطف سهلة . وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده . والاخرى تراها سهلة لينة ورطبة متواتية سليسة النظام خفيفة على اللسان حتى كأن البيت باسره كلمة واحدة وحتى كأن الكلمة باسرها حرف واحد. قال سحيم ابن حفص قالت بنت الحطيئة للحطيئة : تركت قوما كراما ونزلت فى بنى كليب بعر الكبش . فعابتهم بتفرق بيوتهم فقيل لهم فانشدونا بعض مالا تتنافر أجزاؤه ولا تتباين ألفاظه فقالوا قال الثقفى :

مَن كانَ ذا عَضُدٍ يُدرِكْ ظُلامتَهُ  إنّ الذليلَ الذى ليستْ له عَضُدُ
تَنْبُو يداهُ اذا ماقَلّ ناصِرُه  ويأنفُ الضَيْمَ إنْ أثرى (١) له عَدَدُ

وأنشدوا :

رمتْنى وسترُ الله بينى وبينَها  عشيةَ أرآمُ الكِناسِ (٢) رَميمُ
رميمُ التى قالتْ لجارات بيتِها  ضَمِنْتُ لكم أن لايزالَ يَهيمُ
ألا رَبّ يومٍ لو رَمَتْنى رَمَيتُها  ولكنّ عهدى بالنِّضالِ قديمُ

وأنشدوا :

ولستُ بزميجة فى الفراش  وجّابة يَحتمي أن يُجيبا
ولا ذي قلازمَ (٣) عندالحياضِ  اذا ماالشَّريبُ أرابَ الشريبا

قال نوفل بن سالم لرؤبة بن العجاج ياأبا الجحاف مت متى شئت . قال وكيف ذلك . قال رأيت عقبة بن رؤبة ينشد رجزا أعجبنى . قال انه يقول لو كان لقوله قِرَان ٤ وقال الشاعر :

مَهاذِبَةٌ (٥) مَناجِبَةٌ قِرانٌ  مَنادِبَةٌ كأنّهم الاسودُ

١ كثر ٢ موضع الظبى فى الشجر يكتن فيه ٣ القلزمة اللؤم والصخب ٤ جمع قرن بفتح القاف وهو من القوم سيدهم ٥ خ : مهاربة ، وكلاهما معنى السرعة

وأنشد ابن الاعرابي :

وباتَ يَدرُسُ شعراً لاقِرانَ لهُ     قد كانَ ثقَّفَهُ حَوْلاً فما زادا

وقال الآخر بشار :

فهذا بَديه لا كتحبير قائلٍ     إذا ما أرادَ القولَ زوَّره(١) شَهرا

فهذا فى افتراق الالفاظ فاما افتراق الحروف فان الجيم لاتقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تاخير . والزاى لاتقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تاخير . وهذا باب كثير وقد يكتفى بذكر المليل حتى يستدل به على الغاية التى اليها يجرى

وقد يتكلم المغلاق الذى نشأ فى سواد الكوفة بالعربية المعروفة ويكون لفظه متخيرا فاخرا ومعناه شريفا كريما ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطى . وكذلك اذا تكلم الخراسانى على هذه الصفة فانك تعرف مع اعرابه وتخير ألفاظه فى مخرج كلامه أنه خراسانى . وكذلك ان كان من كتاب الاهواز . ومع هذا انا نجد الحاكية من الناس يحكى ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لايغادر من ذلك شيئا وكذلك تكون حكايته للخراسانى والاهوازى والزنجى والسندى والاجناس وغير ذلك . نعم حتى تجده كانه أطبع منهم فاما اذا حكى كلام ألفافاء فكانما قد جمعت كل طرفة فى كل فافاء فى الارض فى لسان واحد كما أنك تجده يحكى الاعمى بصور ينشئها لوجهه وعينه وأعضائه لاتكاد تجد من ألف أعمى واحداً يجمع ذلك كله فكأنه قد جمع جميع طرق حركات العميان فى أعمى واحد . ولقد كان أبو دبوبة الزنجى مولى آل زياد يقف بباب الكرخ بحضرة المكارين فينهق فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حسير[٢] ولا متعب بهير[٣] الا نهق وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منها متحرك حتى كان أبو دبوبة يحركه . وكان[٤] قد جمع جميع الصور التى تجمع نهيق الحمار فجعلها فى نهيق واحد . وكذلك كان فى نباح الكلاب . ولذلك زعمت الاوائل أن الانسان انما قيل له العالم الصغير سليل العالم الكبير لانه يصور بيده كل صورة ويحكى بفمه كل حكاية ولانه ياكل النبات كما تاكل البهائم وياكل الحيوان كما تاكل السباع وأن فيه من أخلاق جميع أجناس الحيوان أشكالا . وانما تهيا وأمكن الحاكية لجميع

---

١ حسنه وقومه ٢ ضعيف ٣ الذى يعدو فيتتابع نفسه وينقطع من الاعياء ٤ خ : وكأنه

مخارج الامم لما أعطى الله الانسان من الاستطاعة والتمكن وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة فبطول استعمال التكلف ذلت لذلك جوارحه ومتى ترك شمائله ولسانه على سجيتها كان مقصورا بعادة المنشأ على الشكل الذى لم يزل فيه

وهذه القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الالفاظ وصور الحركات والسكون. فاما حروف الكلام فان حكمها اذا تمكنت فى الالسنة خلاف هذا الحكم. ألا ترى أن السندى اذا جُلب كبيرا فانه لا يستطيع الا أن يجعل الجيم زاياً ولو أقام فى علياء تميم وسفلى قيس و بين عجز هوازن خمسين عاما. وكذلك النبطى القح خلاف المغلاق الذى نشأ فى بلاد النبط لان النبطى القح يجعل الزاى سينا فاذا أراد أن يقول زورق قال سورق ويجعل العين همزة فاذا أراد أن يقول مشمعل قال مشمئل. والنخاس يمتحن لسان الجارية اذا ظن أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بان تقول ناعمة وتقول شمس ثلاث مرات متواليات

والذى يعترى اللسان مما يمنع من البيان أمور منها اللثغة التى تعترى الصبيان الى أن ينشؤا وهو خلاف ما يعترى الشيخ الهرم الماج ١ المسترخى الحنك المرتفع اللثة. وخلاف مايعترى أصحاب اللكن من العجم ومن نشأ من العرب مع العجم

فمن اللكن ممن كان خطيباً أوشاعراً أو كاتباً داهياً زياد بن سلمى أبو أمامة وهو زياد الاعجم قال أبو عبيدة كان ينشد قوله:

فتًى زادَهُ السلطانُ فى الودّ رِفعةً ... إذا غيّر السُّلطانُ(٢) كلَّ خليلِ

قال كان يجعل السين شينا والطاء تاء فيقول:

فتى زاده الشلتان فى الود رفعة

ومنهم سُحيم عبد بنى الحسحاس قال له عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأنشده قصيدته التى أولها:

عُمَيرَةَ ودِّعْ إن تَجهَّزْتَ غادِيا ... كفى الشيْبُ والاسلامُ للمرءِ ناهيا

لو كان شعرك كله مثل هذا لاجزتك. هكذا وقع فى جميع نسخ الكتاب والحكاية مروية عن عمر رضى الله تعالى عنه فى غير هذا الموضع كما وقعت داخل الكتاب: لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك. قال ما سعرت. يريد ما

١ الذى يسيل لعابه كبراً وهرما ٢ السلطة

شعرت فجعل الشين المعجمة سينا غير معجمة

ومنهم عبيد الله بن زياد والى العراق قال لهانئ بن قبيصة « أهروري سائر اليوم » يريد أحروري

ومنهم صهيب بن سنان النمري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « انك لهائن » يريد انك لخائن . وصهيب بن سنان يرتضخ [1] لكنة رومية وعبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء وازدانقاذار لكنته نبطية وكان مثلهما فى جعل الحاء هاء . وبعضهم يروى أنه أملى على كاتب له فقال أكتب « الهاصل ألف كر » فكتبها الكاتب بالهاء كما لفظ بها فأعاد عليه الكلام فأعاد عليه الكاتب فلما فطن لاجتماعهما على الجهل قال « أنت لاتهسن أن تكتب وأنا لاأحسن أن أملى فاكتب : الجاصل ألف كر » فكتبها بالجيم معجمة

ومنهم أبو مسلم صاحب الدعوة كان جيد الالفاظ جيد المعانى وكان اذا أراد أن يقول قلت له قال كلت له فشارك فى تحويل القاف كافا عبيدَ الله بن زياد . وكذلك خبرنا أبو عبيدة وزعما أنى عبيد الله بن زياد فى ذلك أنه نشأ فى الاساورة عند شيرويه الاسوارى زوج أمه مرجانة وقد كان فى آل زياد غير واحد يسمى شيرويه قال وفى دار شيرويه عاد على ابن أبى طالب كرم الله وجهه زيادا من علة كانت به

فهذا ماحضرنا من لكنة البلغاء والشعراء والرؤساء فاما لكنة العامة ومن لم يكن له حظ فى المنطق فمثل قيل مولى زياد فانه مرة قال لزياد أهدوا الينا همار وهش يريد حمار وحش . قال زياد وأى شيء تقول ويلك . قال أهدوا الينا أيراً يريد عيرا . فقال زياد الاول أهون . وقالت أم ولد لجرير بن الخطفى لبعض ولدها وقع الجردان فى عجان أمكم أبدلت الذال دالا من الجرذان وضمت الجيم وجعلت العجين عجانا . قال بعض الشعراء فى أم ولد له يذكر لكنتها :

أكثرُ ماأسمعُ منها فى السحرْ تذكيرُها الانثى وتأنيثُ الذكرْ

والسوأةُ السوآء [2] فى ذكر القمرْ

لانها كانت اذا أرادت أن تقول القمر قالت الكمر وقال ابن عباد ركبت عجوز

---

[1] ينزع الى اللكنة الاعجمية لايستمر لسانه على غيرها ولو اجتهد [2] الخلة القبيحة

سندية جملا فلما مشى تحتها متخلعا اعتراها كهيئة حركة الجماع فقالت «هذا الدمل يذكرنا بالسر» تريد أنه يذكرها بالوطء فجعلت الشين سينا ١ والجيم ذالا وهذا كثير

وباب آخر من اللكنة كما قيل للنبطى لم ابتعت هذه الاتان قال «أركبها وتَلَدُ لى» فقد جاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ولا زاد فيها ولا نقص ولكنه فتح المكسور حين قال تلَد لى ولم يقل تلِد لى . والصقلى ٢ يجعل الذال المعجمة دالا فى الحروف

# باب البيان

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قال بعض جهابذة الالفاظ ونقاد المعانى : المعانى القائمة فى صدور العباد المتصورة فى أذهانهم والمتخلجة ٣ فى نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة فى معنى معدومة لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه الا بغيره * وانما تحيا تلك المعانى فى ذكرهم لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها * وهذه الخصال هى التى تقربها من الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفى منها ظاهرا والغائب شاهدا والبعيد قريبا . وهى التى تلخص الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيدا والمقيد مطلقا والمجهول معروفا والوحشى مالوفا والغُفْلَ موسوما والموسوم معلوما وعلى قدر وضوح الدّلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون اظهار المعنى . وكلما كانت الدّلالة أوضح وأفصح وكانت الاشارة أبين وأنور كان أنفع وأنجع * والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه ويدعو اليه ويحث عليه . وبذلك نطق القرآن . وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف الاعجام

والبيان اسم جامع لكل شىء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضى السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن

---

١ وذلك حين قالت « بالسر » وأرادت « بالشر » ٢ المنسوب الى جزيرة صقلية فى جنوب ايطاليا
٣ المتحركة

أى جنس كان ذلك الدليل ، لان مدار الامر والغاية التى اليها يجرى القائل والسامع انما هو الفهم والافهام فباى شىء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع

ثم اعلم حفظك الله أن حكم المعانى خلاف حكم الالفاظ لان المعانى مبسوطة الى غير غاية وممتدة الى غير نهاية وأسماء المعانى مقصورة معدودة ومحصلة محدودة وجميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لاتنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الاشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال تسمى نصبة . والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات

ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها وحلية مخالفة لحلية أختها وهى التى تكشف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ثم عن حقائقها فى التفسير وعن أجناسها وأقدارها وعن خاصها وعامها وعن طبقاتها فى السار والضار وعما يكون منها لغوا بهرجا [١] وساقطا مطرحا

وقال أبو عثمان : وكان فى الحق أن يكون هذا الباب فى أول هذا الكتاب . ولكننا أخرناه لبعض التدبير. وقالوا البيان بصر والعى عمى . كما أن العلم بصر والجهل عمى . والبيان من نتاج العلم والعى من نتاج الجهل . وقال سهل بن هرون العقل رائد الروح والعلم رائد العقل والبيان ترجمان العلم . وقال صاحب المنطق حد الانسان الحى الناطق الميت . وقالوا حياة المروءة الصدق وحياة الروح العفاف وحياة الحلم العلم وحياة العلم البيان . وقال يونس بن حبيب ليس لعى مروءة ولا لمنقوص البيان بهاء ولو حك بيافوخه عنان السماء . وقالوا شعر الرجل قطعة من كلامه وظنه قطعة من علمه واختياره قطعة من عقله . وقال ابن التوام الروح عماد البدن والعلم عماد الروح والبيان عماد العلم .

قد قلنا فى الدلالة باللفظ ، فاما الاشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب اذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف . وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجرا رادعا ويكون وعيدا وتحذيرا .

والاشارة واللفظ شريكان ونعم العون هى له ونعم الترجمان هى عنه وما أكثر ماتنوب عن اللفظ وما تغنى عن الخط .

و بعد فهل تعدو الاشارة أن تكون ذات صورة معروفة وحلية موصوفة على

---

١ـ باطلا ورديئا

اختلاف فى طبقاتها ودلالاتها . وفى الاشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة فى أمور يسترها [١] الناس من بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس . ولولا الاشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب البتة . ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل فى باب صناعة الكلام لفسرتها لكم . وقد قال الشاعر فى دلالات الاشارة :

أَشارَتْ بطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أهلِها ... اشارَةَ مَذْعُورٍ ولم تَتَكلَّمِ
فأيقنتُ أَنَّ الطرفَ قد قال مرحباً ... وأهلاً وسهلاً بالحبيبِ المتيَّمِ

وقال الآخر :

ولِلقلبِ على القَلْـ ... ـبِ دَليلٌ حينَ يلقاهُ
وفي الناسِ من النَّا ... سِ مَقاييسُ وأشْباهُ
وفي العَيْنِ غِنى للمر ... ء أنْ تنطِقَ أفواهُ

وقال الآخر :

ومَعْشَرٍ صِيدٍ [٢] ذَوِي تَجِلَّهْ ... تَرَى عليهم للنَّدَى أَدِلَّهْ

وقال الآخر :

ترَى عينُها عيني فتعرفُ وَحيَها ... وتعرِفُ عيني مابهِ الوحْيُ يَرْجِعُ

وقال الآخر :

وعينُ الفتى تُبْدِي الذِي فى ضميرِهِ ... وتعرِفُ بالنَّجْوَى الحديثَ المغمَّسا [٣]

وقال الآخر :

العينُ تُبدِي الذي فى نفسِ صاحبِها ... من المحبةِ أو بغضٍ اذا كانا
والعينُ تنطِقُ والافواهُ صامِتَةٌ ... حتى ترى من ضميرِ القلبِ تبيانا

هذا ومبلغ الاشارة أبعد من مبلغ الصوت فهذا أيضا باب تتقدم فيه الاشارة الصوت . والصوت هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذى يقوم به التقطيع وبه يوجد

---

١ خ : يسرها ٢ جمع أصيد وهو الذى يرفع رأسه كبراً ٣ المستخفى

التاليف . ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا الا بظهور الصوت . ولا تكون الحروف كلاما الا بالتقطيع والتاليف . وحسن الاشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذى يكون مع الاشارة من الدل والشكل والتفتل والتثنى واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الامور

قد قلنا فى الدلالة بالاشارة فاما الخط فمما ذكر الله تبارك وتعالى فى كتابه من فضيلة الخط والانعام بمنافع الكتاب قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم «اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم» وأقسم به فى كتابه المنزل على نبيه المرسل صلى الله عليه وسلم حيث قال «ن والقلم وما يسطرون» ولذلك قالوا «القلم أحد اللسانين» كما قالوا قلة العيال أحد اليسارين وقالوا «القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هذرا» وقال عبد الرحمن بن كيسان استعمال القلم أجدر أن يحض الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام . وقالوا اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم مطلق فى الشاهد والغائب وهو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن . والكتاب يقرأ بكل مكان ويدرس فى كل زمان واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه الى غيره

وأما القول فى العقد وهو الحساب دون اللفظ والخط فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به قول الله عز وجل «فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم» وقال جل وتقدس «الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان» وقال تبارك وتعالى «هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق» وقال تبارك وتعالى «وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب» والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب فى الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل ذكره معنى الحساب فى الآخرة

وفى عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جل النعم وفقدان جمهور المنافع واختلال كل ماجعله الله عز وجل لنا قواما ومصلحة ونظاما

وأما النصبة فهى الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد . وذلك ظاهر فى خلق السموات والارض وفى كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وظاعن وزائد وناقص . فالدلالة التى فى الموات الجامد كالدلالة التى فى الحيوان الناطق . فالصامت

ناطق من جهة الدلالة والعجماء معربة من جهة البرهان . ولذلك قال الاُوَل : سل الارض فقـل من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمـارك . فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا . وقال بعض الخطباء أشهد أن السموات والارض آيات دالات وشواهد قائمات كل يؤدى عنـك الحجة و يعرب عنـك بالربوبية موسومة بآثار قدرتك ومعـالم تدبيرك التى تجليت بها لخلقـك فاوصلت الى القـلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفـكر ورجم الظنون فهى على اعترافها لك وذلها اليك شاهـدة بانك لاتحيط بك الصفات ولا تحدك الاوهام وأن حظ المفكر فيك الاعتراف لك . وقال خطيب من الخطباء حين قام على سرير الاسكندر وهو ميت : الاسكندر كان أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس . ومتى دل الشيء على معنى فقـد أخبر عنه وان كان صامتا وأشار اليه وان كان ساكتا . وهـذا القول شائع فى جميع اللغات ومتفق عليـه مع افراط الاختـلافات . وأنشـد أبو الردينى العكلى فى تنسم الذئب الريح واستنشاقه واسترواحه :

يَستَخبِرُ الريحَ اذا لم يَسمعِ بمثلِ مِقراعِ الصفّا المُوَقّعِ

المقراع الفأس التى يكسر بها الصخر . والموقّع المحـدد يقال وقعت الحديدة اذا حددتها . وقال عنترة بن شداد العبسى وجعل نعيب الغراب خبرا للزاجر :

حَرِقُ الجَناحِ كأنّ لَحيَيْ رأسِهِ جلمانِ بالاخبارِهَشٌّ مُولَعُ

الحرق الاسود . شبه لحييه بالجلمين لان الغراب يخبر بالفرقة والغربة و يقطع كما يقطع الجلمان . وقال الراعى :

ان السماءَ وان الريحَ شاهدةٌ والارضُ تَشهدُ والايامُ والبلدُ

لقد جزيت بنى بَدرٍ ببغيهم يومَ الهباءةِ يوماً ما لَهُ قَوَدُ[1]

وقال نصيب فى هذا المعنى يمدح سليمان بن عبد الملك :

أقولُ لِركبٍ صادِرينَ لقيتُهم قِفا ذاتِ أوشال[2] ومولاكَ قاربُ[3]

قِفُوا خَبِّرونا عن سليمانَ انّنى لِمعـروفـه من آل وَدّانَ طالب

---

١ قصاص ٢ يتبع بعضكم بعضا ٣ خ : لاغب

فعاجوا (٤) فاثنوا بالذى أنت أهله ولوسكتوا أثنت عليك الحقائب

وهذا كثير جدا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه «قيمة كل انسان مايحسن» فلو لم تقف من هذا الكتاب الا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية ومجزية مغنية ، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية وغير مقصرة عن الغاية

وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه فى ظاهر لفظه ، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله . فاذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه ومنزهاً عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربة الكريمة ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التاييد مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة . وقد قال عامر بن عبد القيس « الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت فى القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان »

قال الحسن رضى الله تعالى عنه وسمع متكلما يعظ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ولم يرق عندها فقال له « ياهذا ان بقلبك لشرا أو بقلبى » وقال على بن الحسين ابن على رضى الله عنهما « لو كان الناس يعرفون جملة الحال فى فضل الاستبانة وجملة الحال فى صواب التبيين لاعربوا عن كل ما تخلج فى صدورهم ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة الى كل حال سوى حالهم وعلى أن درك ذلك كان يعدمهم فى الايام القليلة العدة والفكرة القصيرة المدة ولكنهم من بين مغمور بالجهل ومفتون بالعجب ومعدول بالهوى عن باب التثبت ومصروف بسوء العادة عن تفضيل التعلم » . وقد جمع محمد بن على بن الحسين صلاح شان الدنيا بحذافيرها فى كلمتين فقال « صلاح شان جميع التعايش والتعاشر ملء مكيال : ثلثاه فطنة وثلثه تغافل » فلم يجعل لغير الفطنة نصيبا من الخير ولا حظا فى الصلاح لان الانسان

---

١ اثنوا

لا يتغافل الا عن شيء قد فطن له وعرفه . وذكر هذه الثلاثة الاخبار ابراهيم بن داحة عن محمد بن عمير . وذكرها صالح بن على الافقم عن محمد بن عمير . وهؤلاء جميعا من مشايخ الشيع وكان بن عمير أغلاهم

وأخبرنى ابراهيم بن السندى عن على بن صالح الحاجب عن العباس بن محمد قال قيل لعبد الله بن عباس أنى لك هذا العلم : قال « قلب عقول ولسان سؤول » وقد رووا هذا الكلام عن دغفل بن حنظلة العلامة وعبد الله أولى به منه والدليل على ذلك قول الحسن ان أول من عرف بالبصرة ابن عباس صعد المنبر فقرأ سورة البقرة ففسرها حرفا حرفا وكان مثجا يسيل غربا . المثج السائل الكثير وهو من الثجاج والغرب ههننا الدوام . أخبرنا هشام بن حسان وغيره قال قيل للحسن ياأبا سعيد ان قوما زعموا أنك تذم ابن عباس قالوا فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال ان ابن عباس كان من الاسلام بمكان ان ابن عباس كان من العلم بمكان وكان والله له لسان سؤول وقلب عقول وكان والله مثجا يسيل غربا

قالوا وقال على بن عبد الله بن عباس « من لم يجد مس نقص الجهل فى عقله وذل المعصية فى قلبه ولم يستبن موضع الخلة فى لسانه عند كلال حده عن حد خصمه فليس ممن يفزع عن ريبة ولا يرغب عن حال معجزة ولا يكترث لفصل ما بين حجة وشبهة » قالوا وذكر محمد بن على بن عبد الله بن عباس بلاغة بعض أهله فقال « انى لاكره أن يكون مقدار لسانه فاضلا عن مقدار علمه كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله » وهذا كلام شريف انفع فاحفظوا لفظه وتدبروا معناه

ثم اعلموا أن المعنى الحقير الفاسد والدنىء الساقط يعشش فى القلب ثم يبيض ثم يفرخ فاذا ضرب بجرانه ومكن لعروقه استفحل الفساد وبزل ١ وتمكن الجهل وفرخ فعند ذلك يقوى داؤه ويمتنع دواؤه . اللفظ الهجين الردىء والمستكره الغبى أعلق باللسان وآلف للسمع وأشد التحاما بالقلب من اللفظ النبيه الشريف والمعنى الرفيع الكريم ولو جالست الجهال والنوكى ٢ والسخفاء والحمقى شهرا فقط لم تنق من أوضار ٣ كلامهم وخبال معانيهم بمجالسة أهل البيان والعقل دهرا لان الفساد أسرع الى الناس وأشد التحاما بالطبائع . والانسان بالتعلم والتكلف وبطول الاختلاف الى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يجود لفظه ويحسن أدبه . وهو لا يحتاج فى الجهل الى أكثر من ترك التعلم وفى فساد البيان الى أكثر من ترك التخير

١ انشق ٢ جمع أنوك أى أحمق ٣ أوساخ

ومما يؤكد قول محمد بن على بن عبد الله بن عباس قول بعض الحكماء حين قيل له متى يكون الادب شرا من عدمه . قال اذا كثر الادب ونقصت القريحة . وقد قال بعض الاولين « من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه فى أغلب خصال الخير عليه » وهذا كله قريب بعضه من بعض . وذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال « كان والله أفضل من أن يَخدع [1] وأعقل من أن يُخدع » وقال محمد بن على بن عبد الله بن عباس « كفاك من علم الدين أن تعلم مالا يسع جهله وكفاك من علم الادب أن تروى الشاهد والمثل » وكان عبد الرحمن بن اسحق القاضى يروى عن جده ابراهيم بن سلمة قال سمعت أبا مسلم يقول سمعت الامام ابراهيم بن محمد يقول « يكفى من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع » قال أبو عثمان وأما أنا فاستحسن هذا القول جدا

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله . وصلى الله على سيدنا محمد خاصة وعلى الانبياء عامة . أخبرنى أبو الزبير كاتب محمد بن حسان وحدثنى محمد ابن أبان — ولا أدرى كاتب من كان — قالا قيل للفارسى ما البلاغة . قال معرفة الفصل من الوصل . وقيل لليونانى ماالبلاغة . قال تصحيح الاقسام واختيار الكلام . وقيل للرومى ماالبلاغة قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة . وقيل للهندى ماالبلاغة . قال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة . وقال بعض أهل الهند جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بموضع الفرصة . ثم قال ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الافصاح بها الى الكناية عنها اذا كان الافصاح أوعر طريقة وربما كان الاضراب عنها صفحا أبلغ فى الدرك وأحق بالظفر . قال وقال مرة جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الخرق بما التبس من المعانى أو غمض وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر . ثم قال وزين ذلك كله وبهاؤه . وحلاوته وسناؤه . أن تكون الشمائل موزونة والالفاظ معدلة . واللهجة نقية . فانْ جامَع ذلك السنُّ والسَّمت [2] والجمال وطول الصمت فقد تم كل التمام وكمل كل الكمال

وخالف عليه سهل ابن هرون — وكان سهل فى نفسه عتيق الوجه وحسن الاشارة

---

[1] خ : أفضل من أن يخدع وأعقل من أن يخدع [2] الطريق : ويستعار لهيئة أهل الخير

بعيداً من الدمامة ١ معتدل القامة مقبول الصورة يقضى له بالحكمة قبل الخبرة وبرقة الذهن قبل المخاطبة وبدقة المذهب قبل الامتحان وبالنبل قبل التكشف - فلم يمنعه ذلك أن يقول ماهو الحق عنده وان أدخل ذلك على حاله النقص — قال سهل بن هارون : لو أن رجلين خطبا أو تحدثا أو احتجا أو وصفا وكان أحدهما جميلا جليلا بهيا ولباسا نبيلا وذا حسب شريفا . وكان الآخر قليلا قميئا ٢ و باذ ٣ الهيئة دميا ٤ وخامل الذكر مجهولا . ثم كان كلاهما فى مقدار واحد من البلاغة وفى وزن واحد من الصواب . لتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضى للقليل الدميم على النبيل الجسيم وللباذ الهيئة على ذي الهيئة . ولشغلهم التعجب منه على مساواة صاحبه ولصار التعجب منه سببا للعجب به . ولكان الاكثار فى شانه علة للاكثار فى مدحه . لان النفوس كانت له أحقر ومن بيانه أيئس ومن حسده أبعد . فاذا هجموا منه على مالم يحتسبوه وظهر منه خلاف ماقدروه تضاعف حسن كلامه فى صدورهم وكبر فى عيونهم . لان الشيء من غير معدنه أغرب . وكلما كان أغرب كان أبعد فى الوهم . وكلما كان أبعد فى الوهم كان أظرف . وكلما كان أظرف كان أعجب . وكلما كان أعجب كان أبدع . وانما ذلك كنوادر كلام الصبيان وملح المجانين . فان ضحك السامعين من ذلك أشد وتعجبهم به أكثر . والناس موكلون بتعظيم الغريب واستطراف البديع . وليس لهم فى الموجود الراهن المقيم وفيما تحت قدرتهم من الرأى والهوى مثل الذى معهم فى الغريب القليل وفى النادر الشاذ وكل ما كان فى ملك غيرهم . وعلى ذلك زهد الجيران فى عالمهم والاصحاب فى الفائدة من صاحبهم . وعلى هذه السبيل يستطرفون القادم عليهم ويرحلون الى النازح عنهم ويتركون من هو أعم نفعا وأكثر فى وجوه العلم تصرفا وأخف مؤنة وأكثر فائدة . ولذلك قدم بعض الناس الخارجىّ على العريق والطارف على التليد . وكانوا يقولون اذا كان الخليفة بليغا والسيد خطيبا فانك تجد جمهور الناس وأكثر الخاصة فيهما على أمرين اما رجلا يعطى كلامهما من التعظيم والتفضيل والاكبار والتبجيل على قدر حالهما فى نفسه وموقعهما من قلبه . واما رجلا تعرض له التهمة لنفسه فيهما والخوف من أن يكون تعظيمه لهما يوهمه من صواب قولهما و بلاغة كلامهما ماليس عندهما حتى يفرط فى الاشفاق و يسرف فى التهمة . فالاول يزيد فى حقه الذى له فى نفسه . والآخر ينقصه من حقه لتهمته لنفسه ولاشفاقه من

---

١ العى والثقل ٢ صغيرا ذليلا ٣ رث ٤ أى مذموما . والأحرى أن تكون « دميما » أى قبيحا وحقيرا

أن يكون مخدوعا فى أمره . فاذا كان الحب يعمى عن المساوى فالبغض يعمى عن الحقائق والمحاسن . وليس يعرف حقائق مقادير المعانى ومحصول حدود لطائف الامور الا عالم حكيم أو معتدل الاخلاط [1] عليم والا القوى المنة [2] الوثيق العقدة والذى لا يميل مع ما يستميل الجمهور الاعظم والسواد الاكثر

وكان سهل بن هرون شديد الاطناب فى وصف المأمون فى البلاغة والجهارة وبالحلاوة والفخامة وجودة اللهجة والطلاوة . واذا صرنا الى ذكر مايحضرنا من تسمية خطباء بنى هاشم و بلغاء رجال القبائل قلنا فى وصفهما على حسب حالهما والفرق الذى بينهما . ولاننا عسى أن نذكر جملة أسماء خطباء الجاهليين والاسلاميين والبدويين والحضريين و بعض مايحضرنا من صفاتهم وأقدارهم ومقاماتهم وبالله التوفيق

ثم رجع بنا القول الى ذكر الاشارة : وروى أبو شمر عن معمر أبى الاشعث خلاف القول الاول فى الاشارة والحركة عند الخطبة وعند منازعة الرجال ومناقلة الاكفاء

وكان أبو شمر اذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه ولم يقلب عينيه ولم يحرك رأسه . حتى كأن كلامه انما يخرج من صدع صخرة . وكان يقضى على صاحب الاشارة بالافتقار الى ذلك وبالعجز عن بلوغ ارادته . وكان يقول ليس من المنطق أن تستعين عليه بغيره ، حتى كلمه ابراهيم بن سيار النظام عند أيوب بن جعفر فاضطره بالحجة وبالزيادة فى المسألة حتى حرك يديه وحلّ حبوته [3] وحبا اليه حتى أخذ بيديه . ففى ذلك اليوم انتقل أيوب من قول أبى شمر الى قول ابراهيم . وكان الذى غرّ أبا شمر وموّه له هذا الرأى أن أصحابه كانوا يستمعون منه ويسلمون له ويميلون اليه ويقبلون كل ما يورده عليهم ويثبته عندهم . فلما طال عليه توقيرهم له وترك مجاذبتهم اياه وخفت مؤنة الكلام عليه نسى حال منازعة الاكفاء ومجاذبة الخصوم . وكان شيخاً وقورا وزميتا [4] ركينا . وكان ذا تصرف فى العلم ومذكورا بالفهم والحلم

قال معمر أبو الاشعث قلت لبهلة الهندى أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند مثل ( منكة ) و (وبازيكر) و (قلبرقل ) و (سندباز) وفلان وفلان : ما البلاغة عند أهل الهند . قال بهلة عندنا فى ذلك صحيفة مكتوبة لاأحسن ترجمتها لك ولم أعالج هذه الصناعة فاثق من نفسى بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها . قال أبو

---

١ الدم والبلغم والصفراء والسوداء . واحدها « خلط » بكسر الخاء ٢ الشديد القوة ٣ قام ٤ وقوراً

الاشعث فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة فاذا فيها « أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة . وذلك أن يكون الخطيب رابط الجاش ساكن الجوارح قليل اللحظ . متخيرا للفظ . لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ولا الملوك بكلام السوقة . ويكون فى قواه فضل للتصرف فى كل طبقة . ولا يدقق المعانى كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ولا يصفيها كل التصفية ولا يهذبها غاية التهذيب ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما ومن قد تعود حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الالفاظ قد نظر فى صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة لا على جهة الاعتراض والتصفح وعلى جهة الاستطراف والتظرف » .

وقال من علم حقّ المعنى أن يكون الاسم له طبقا وتلك الحال له وفقا ويكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا ولا مقصرا ولا مشتركا ولا مضمنا . ويكون مع ذلك ذاكرا لما عقد عليه أول كلامه ويكون تصفحه لمصادره فى وزن تصفحه لموارده . ويكون لفظه مؤنقا ولهول تلك المقامات معاودا . ومدار الامر على افهام كل قوم بقدر طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم . وأن تواتيه آلته وتتصرف معه أداته ويكون فى التهمة لنفسه معتدلا وفى حسن الظن بها مقتصدا . فانه ان تجاوز مقدار الحق فى التهمة لنفسه ظلمها فأودعها ذلة المظلومين وان تجاوز الحق فى مقدار حسن الظن بها أمنها فاودعها تهاون الآمنين . ولكل ذلك مقدار من الشغل ولكل شغل مقدار من الوهن ولكل وهن مقدار من الجهل

وقال ابراهيم بن هانئ ــ وكان ماجنا خليعا كثير العبث متمردا . ولولا أن كلامه هذا الذى أراد به الهزل يدخل فى باب الجد لما جعلته صلة الكلام الماضى . وليس فى الارض لفظ يسقط ألبتة ولا معنى يبور حتى لا يصلح لمكان من الاماكن ــ وقال ابراهيم بن هانئ : من تمام آلة القصص أن يكون القاص أعمى ويكون شيخا بعيد مدى الصوت . ومن تمام آلة الزمر أن تكون الزامرة سوداء . ومن تمام آلة المغنّى أن يكون فاره البرذون [١] براق الثنايا عظيم الكبرسيّ الحاق . ومن تمام آلة الخمّار أن يكون ذميًّا ويكون اسمه أذين أو مازيار أو ازدانقاذار أو ميشا أو شلوما ويكون أرقط [٢] الثياب مختوم العنق . ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعرابيا . ويكون الداعى الى الله صوفيا . ومن تمام آلة السؤدد أن يكون السيد

---

١ قال ابن فارس : برذن الرجل برذانة اذا ثقل . ومنه اشتقاق البرذون وهو ضرب من الدواب دون الخيل وأقدر من الحمر . والفاره الحاذق ٢ منقش

ثقيل السمع عظيم الرأس

ولذلك قال ابن سنان الجديدى لراشد بن سلمة الهذلى : ماأنت بعظيم الرأس ولا ثقيل السمع فتكون سيدا ولا بأرسح [1] فتكون فارسا . وقال شبيب بن شيبة الخطيب لبعض فتيان بنى منقر : واللهماطلت مطل الفرسان ولا فتقت فتق السادة. قال الشاعر :

تُقَلِّبُ رأساً لم يكنْ رأسَ سيّدٍ ‏ ‏ وكفاً ككفِّ الضّبِّ أوهيَ أحقر

فعاب صغر رأسه وصغر كفه كما عاب الشاعر كف عبد الله بن مطيع العدوى حين وجدها غليظة جافية فقال :

دعا ابنُ مُطيعٍ للبياعِ فجئتُه ‏ ‏ الى بَيْعَةٍ قلبي لها غيرُ آلفِ

فناولني خَشْناءَ لمّا لَمَسْتُها ‏ ‏ بكفّيَ ليستْ من أكُفِّ الخلائفِ

وهذا باب يقع فى « كتاب الجوارح » مع ذكر البُرص والعُرج والعُسر والأُدر [2] والفُلج [3] والحُدب والقُرع وغير ذلك من عال الجوارح وهو وارد عليكم بعد هذا الكتاب ان شاء الله تعالى. وقال ابراهيم بن هانئ : ومن تمام آلة الشيعى أن يكون وافر الجمة صاحب باز بكند. ومن تمام آلة الحارس أن يكون زميتا قطوبا أبيض اللحية أقنى أجنى وصاحب تكلم بالفارسية

وأخبرنى ابراهيم بن السندى قال دخل العمانى الراجز على الرشيد لينشده شعرا وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج فقال اياك أن تنشدنى الا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفان دمالقان . قال ابراهيم قال أبو نصر فبكر عليه من الغد وقد تزيا بزى الاعراب فانشده ثم دنا منه فقبل يده وقال يا أمير المؤمنين قد والله أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت يزيد بن الوليد وابراهيم ابن الوليد ورأيت وجوههما وقبلت أيديهما وأخذت جوائزهما وأنشدت السفاح ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت المنصور ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت المهدى ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت الهادى ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته هذا الى كثير من أشباه الخلفاء وكبار الامراء والسادة الرؤساء ولا والله إن رأيت فيهم أبهى منظرا ولا أحسن وجها ولا أنعم كفا ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين ووالله لو ألقى فى

---

[1] قليل لحم العجز والفخذين [2] أدر الرجل: انفتق صفاقه فوقع قصبه فى صفنه فهو آدر [3] خ : القلج

روعى أنى أتحدث عنك ما قلت لك ما قلت . فاعظم له الجائزة على شعره وأضعف له على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمنى والله جميع من حضر أنهم قاموا ذلك المقام

ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول . قال ابن الاعرابى قال معاوية بن أبى سفيان لصُحار بن عياش العبدى : ما هذه البلاغة التى فيكم . قال : شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا . فقال له رجلٌ من عرض القوم : ياأمير المؤمنين بالبُسْر [١] والرطب أبصر منهم بالخطب . فقال له صُحار : أجل والله انا لنعلم أن الريح لتنفخه وأن البرد ليعقده وأن القمر ليصبغه وان الحر لينضجه . فقال له معاوية : ما تعدون البلاغة فيكم . قال : الايجاز . قال له معاوية : وما الايجاز . قال له صحار : ان تجيب فلا تُبطئ وأن تقول فلا تخطئ . فقال معاوية : أو كذلك تقول . قال صحار : أقلنى ياأمير المؤمنين لاتبطئ ولا تخطئ

وشان عبد القيس عجيب وذلك أنهم بعد محاربة اياد تفرقوا فرقتين : ففرقة وقعت بعمان وشق عمان وفيهم خطباء العرب ، وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين وهم من أشعر قبيلة فى العرب . ولم يكونوا كذلك حين كانوا فى سرة البادية وفى معدِن الفصاحة وهذا عجب . ومن خطبائهم المشهورين صعصعة بن صوحان وزيد بن صوحان وشيخان بن صوحان . ومنهم صُحار بن عياش . وصحار من شيعة عثمان و بنو صوحان من شيعة على . ومنهم مصقلة بن رقبة ورقبة بن مصقلة وكرب ابن رقبة . واذا صرنا الى ذكر الخطباء والنسابين ذكرنا من كلام كل واحد منهم بقدر مايحضرنا وبالله التوفيق

قال لى ابن الاعرابى قال لى المفضل بن محمد الضبي قلت لاعرابى منا : ما البلاغة . قال : الايجاز فى غير عجز والاطناب فى غير خطل . قال ابن الاعرابى فقلت للمفضل : ما الايجاز عندك . قال : حذف الفضول وتقريب البعيد . قال ابن الاعرابى قيل لعبد الله بن عمر لودعوت الله لنا بدعوات . فقال : اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا . فقال رجل لو زدتنا ياأبا عبد الرحمن : فقال نعوذ بالله من الاسهاب

---

١ التمر قبل ارطابه وذلك اذا لون ولم ينضج

## باب ذكر ناس من البلغاء والخطباء والابيناء والفقهاء والامراء ممن لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل

منهم زيد بن صوحان

ومنهم أبو واثلة إياس بن معاوية المزنى القاضى القائف وصاحب الزكن [١] والمعروف بجودة الفراسة ولكثرة كلامه قال له عبد الله بن شبرمة أنا وأنت لا نتفق : أنت لا تشتهى أن تسكت، وأنا لا أشتهى أن أسمع . وأتى حلقة من حلق قريش فى مسجد دمشق فاستولى على المجلس ورأوه أحمر دميما باذ الهيئة قشفا فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا اليه وقالوا الذنب مقسوم بيننا وبينك أتيتنا فى زى مسكين تكلمنا بكلام الملوك . ورأيت ناسا يستحسنون جواب إياس حين قيل له مافيك عيب غير أنك معجب بقولك. قال أفأعجبكم قولى. قالوا نعم: قال فانا أحق بأن أعجب بما أقول وبما يكون منى منكم

والناس حفظك الله لم يضعوا ذكر العجب فى هذا الموضع . والمعيب عند الناس ليس هو الذى يعرف مايكون منه من الحسن . والمعرفة لا تدخل فى باب التسمية بالعجب والعجب مذموم . وقد جاء فى الحديث « ان المؤمن من ساءته سيئته وسرته حسنته ». وقيل لعمر فلان لا يعرف الشر قال ذلك أجدر أن يقع فيه . وانما العجب اسراف الرجل فى السرور بما يكون منه والافراط فى استحسانه حتى يظهر ذلك منه فى لفظه وفى شمائله . وهو كالذى وصف به صعصعة بن صوحان المنذر بن الجارود عند على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال : أما والله انه مع ذلك لنظار فى عطفيه تفال فى شراكيه [٢] تعجبه حمرة برديه

قال أبو الحسن قيل لاياس مافيك عيب الا كثرة الكلام قال فتسمعون صوابا أم خطأ قالوا بل صوابا قال فالزيادة من الخير خير . وليس كما قال للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية . وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا الى الاستثقال والملال فذلك الفاضل هو الهذر وهو الخطل وهو الاسهاب الذى سمعت الحكماء يعيبونه . وذكر الاصمعى أن عمر بن هبيرة لما أراده [٣] على القضاء قال انى لا أصلح له قال وكيف ذاك قال لانى عيي ولانى دميم ولانى حديد . قال ابن هبيرة أما الحدة فان السوط

---

١ الفطنة ٢ كثير البصق فى طريقه ٣ أى لما أراد اياسا

يقوّمك وأما الدمامة فانى لاأريد أن أحاسن بك أحدا وأما العى فقد عبرتَ عما تريد. فان كان إياس عند نفسه عييا فذاك أجدر أن يهجر الاكثار . و بعد هـذا فما نعلم أحدا رمى إياسا بالعى وانما عابوه بالاكثار . وذكر صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث قال مارأيت عقول الناس الا قريبا بعضها من بعض ، الا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف و إياس بن معاوية فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس كثيرا . وقال قائل لاياس لم تعجل بالقضاء فقال له إياس كم لكفك من اصبع قال خمس قال عجلت قال لم يعجل من قال بعد ما قتل الشيء علما ويقينا قال إياس فهذا هو جوابى لك . وكان كثيرا ماينشد قول النابغة الجعدى :

أبى لى البَلاء (١) وأنى امرؤٌ  إذا ما تبيَّنتُ لم أرْتَبِ

قال ومدح سلمة بن عياش سوار بن عبد الله بمثل ما وصف به اياس نفسه حين قال :

وأوقفَ عند الامرِ مالم يَبِن لهُ  وأمْضَى اذا ماشكَّ ما كان ماضيا

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى الى عدى بن أرطاة : إن قِبلك رجلين من مزينة فولّ أحدهما قضاء البصرة . يعنى بكر بن عبد الله المزنى واياس بن معاوية. فقال بكر والله ماأُحسن القضاء فان كنتُ صادقاً فما يحل لك أن توليني وان كنت كاذبا انها لاحراها . وكانوا اذا ذكروا البصرة فقالوا شيخها الحسن وفتاها بكر . وقال اياس بن معاوية لست بخَبّ والخب لايخدعني ولا يخدع ابن سيرين وهو يخدع أبى ويخدع الحسن . ودخل الشام وهو غلام فتقدم خصماً له وكان الخصم شيخا كبيرا الى بعض قضاة عبد الملك بن مروان ، فقال له القاضى أتتقدم شيخا كبيرا . قال الحق أكبر منه . قال أسكت . قال فمن ينطق بحجتى . قال لاأظنك تقول حقا حتى تقوم . قال قال لااله الا الله أحقا هـذا أم باطلا ، فقام القاضى فدخل على عبد الملك من ساعته فخبره بالخبر . فقال عبد الملك اقض حاجته الساعة وأخرجه من الشام لايفسد علىّ الناس . فاذا كان من اياس وهو غلام يخاف على جماعة أهل الشام فما ظنك به وقد كبرت سنه وعض ناجذه . واياس هو الذى قال لست بخب والخب لايخدعنى ولا يخدع ابن سيرين وهو يخدع أبى ويخدع الحسن . وجملة القول فى اياس أنه كان من مفاخر مضر ومن مقدمى القضاة وكان فقيه البدن رقيق المسلك فى الفطن وكان

---

١ . لاختبار

صادق الحدس نقابا وعجيب الفراسة ملهما وكان عفيف الطعم كريم المدخل والشيم وجيها عند الخلفاء مقدما عند الاكفاء . وفي مزينة خير كثير

ثم رجعنا الى القول الاول : ومنهم ربيعة الرأى وكان لا يكاد يسكت . قالوا وتكلم يوما فاكثر وأعجب بالذى كان منه فالتفت الى أعرابى كان عنده فقال يا أعرابى ما تعدون العى فيكم . قال ما كنتَ فيه منذ اليوم . وكان يقول الساكت بين النائم والاخرس

ومنهم عبيد الله بن محمد بن حفص التيمى ومحمد بن حفص هو ابن عائشة . ثم قيل لعبيد الله بن أبى عائشة وكان كثير العلم والسماع متصرفا فى الخبر والأثر وكان من أجود قريش وكان لا يكاد يسكت وهو فى ذلك كثير الفوائد . وكان أبوه محمد بن حفص عظيم الشأن كثير العلم بعث اليه ميخاب خليفته فى بعض الامر . فأتاه فى حلقته فى المسجد . فقال له فى بعض كلامه : أبو من أصلحك الله . فقال له هلا عرفت هذا قبل مجيئك وان كان لابد لك من هذا فاعترض من شئت فاسأله . فقال له انى أريد أن تخليني قال أفى حاجة لك أم فى حاجة لى قال بل فى حاجة لى قال فالقنى فى المنزل . قال فان الحاجة لك قال مادون اخوانى ستر

ومنهم محمد بن مسعر العقيلى وكان كريما كريم المجالسة يذهب مذهب النساك وكان جوادا . مر صديق له من بنى هاشم بقصر له وبستان نفيس فبلغه أنه استحسنه فوهبه له

ومنهم أحمد بن المعذل بن غيلان . كان يذهب مذهب مالك . وكان ذا بيان وتبحر فى المعانى وتصرف فى الالفاظ

وممن كان يكثر الكلام جدا الفضل بن سهل . ثم الحسن بن سهل فى أيامه . وحدثنى محمد بن الجهم ودؤاد بن أبى دؤاد قالا جلس الحسن بن سهل فى مصلى الجماعة لنعيم بن حازم فاقبل نعيم حافيا حاسرا وهو يقول : ذنبى أعظم من السماء ذنبى أعظم من الهواء ذنبى أعظم من الماء . قالا فقال الحسن بن سهل على رسلك تقدمت منك طاعة وكان آخر أمرك الى توبة وليس للذنب بينهما مكان وليس ذنبك فى الذنوب باعظم من عفو أمير المؤمنين فى العفو

ومن هؤلاء على بن هشام وكان لا يسكت ولا أدرى كيف كان كلامه

قال وحدثنى مهدى بن ميمون قال حدثنا غيلان بن جرير قال كان مطرف ابن عبد الله يقول لا تطعم طعامك من لا يشتهيه . يقول لا تقبل بحديثك على من لا يقبل

عليك بوجهه . وقال عبد الله بن مسعود حَدّث الناس ما حدجوك باسماعهم ولحظوك بابصارهم فاذا رأيت منهم فترة فأمسك . قال وجعل السماك يوما يتكلم وجارية له حيث تسمع كلامه فلما انصرف اليها قال لها كيف سمعت كلامى قالت ما أحسنه لولا أنك تكثر ترداده فقال أردده حتى يفهمه من لم يفهمه قالت الى أن يفهمه من لم يفهمه قدملّه من فهمه . قال عباد بن عوام عن شعبة عن قتادة قال مكتوب فى التوراة لايعاد الحديث مرتين . وسفيان بن عيينة عن الزهرى قال إعادة الحديث أشد من نقل الصخر . وقال بعض الحكماء من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤنه الاستماع منك . وجملة القول فى الترداد أنه ليس فيه حدّ ينتهى اليه ولا يؤتى الى وصفه وانما ذلك على قدر المستمعين له ومن يحضره من العوام والخواص . وقد رأينا الله عز وجل ردد ذكر قصة موسى وهود وهرون وشعيب وابراهيم ولوط وعاد وثمود . وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة . لانه خاطب جميع الامم من العرب وأصناف العجم وأكثرهم غبي غافل أو معاند مشغول الفكر ساهى القلب . وأما حديث القصص والرقة فانى لم أر أحداً يعيب ذلك وما سمعنا باحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الالفاظ وترداد المعانى عيًّا الا ما كان من النخار بن أوس العذرى فانه كان اذا تكلم فى الحمالات وفى الصفح والاحتمال وصلاح ذات البين وتخويف الفريقين من التفانى والبوار كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف وربما حمى فنخر [1]

قال ثمامة بن أشرس كان جعفر بن يحيي أنطق الناس قد جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة وافهاما يغنيه عن الاعادة ولو كان فى الارض ناطق يستغنى بمنطقه عن الاشارة لاستغنى جعفر عن الاشارة كما استغنى عن الاعادة . وقال مرة ما رأيت أحدا كان لايتحبس ولا يتوقف ولا يتلجلج ولا يتنحنح ولا يرتقب لفظا قد استدعاه من بعد ولا يلتمس التخلص الى معنى قد تعصى عليه طلبه أشدّ اقتدارا ولا أقل تكلفا من جعفر بن يحيي . وقال ثمامة قلت لجعفر بن يحيي ما البيان . قال : أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلى عن مغزاك [2] وتخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة . والذى لابد منه أن يكون سليما من التكلف بعيدا من الصنعة بريئا من التعقيد غنيًّا عن التاويل . وهذا هو تاويل قول الاصمعى : البليغ من

---

١ مد الصوت والنفس فى خياشيمه ٢ مقصدك

طبق المفصل وأغناك عن الفسر . وخبرنى جعفر بن سعيد رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه قال ذكرت لعمرو بن مسعدة توقيعات جعفر بن يحيى قال قد قرأت لام جعفر توقيعات فى حواشى الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصارا وأجمع للمعانى . قال ووصف أعرابى أعرابيًّا بالايجاز والاصابة فقال : كان والله يضع الهناء [١] مواضع النقب . يظنون أنه نقل قول دريد بن الصمة فى الخنساء بنت عمرو بن الشريد الى ذلك الموضع . وكان دريد قال فيها :

مَا انْ رأيتُ ولاسمعتُ بهِ ۝ في النّاسِ طالِي أينُقٍ جُرْبِ [٢]

مُتَبَذِّلاً [٣] تَبدُو محاسِنُه ۝ يَضَعُ الهناءَ مواضِعَ النقْبِ

ويقولون فى اصابة عين المعنى بالكلام الموجز : فلان يفُلّ المَحَزّ ويصيب المفصل . وأخذوا ذلك من صفة الجزّار الحاذق فجعلوه مثلا للمصيب الموجز . وأنشدنى أبو قطن الغنوى . وهو الذى يقال له شهيد الكرم وكان أبين من رأيته من أهل البدو والحضر :

فلو كنتُ مولى قيسِ عَيْلانَ لم تجِدْ ۝ علىّ لمخلوقٍ من النّاسِ دِرْهَما

ولكنّنى مولى قُضاعةَ كلِّها ۝ فلستُ أبالى أنْ أَدِينَ وتَغرَما

أولئك قومٌ باركَ اللهُ فيهم ۝ على كلّ حالٍ ما أعفّ وأكرما

جُفاةُ المَحَزّ لايُصيبونَ مَفصلاً ۝ ولا يأكُلونَ اللحمَ الا تَخَذُّما [٤]

يقول هم ملوك وأشباه الملوك ولهم كفاة فهم لايحسنون اصابة المفصل . وأنشد أبو عبيدة فى مثل ذلك :

وصُلْعُ الرؤسِ عِظامُ البُطونِ ۝ جُفاةُ المَحَزِّ غِلاظُ القَصَرْ [٥]

وكذلك :

ليسَ براعِى ابلٍ ولاغَنَمْ ۝ ولا بجَزّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ [٦]

وقال الآخر وهو بن الزبعرى :

---

١ القطران ٢ الذى يداوى النياق الجرب ٣ يترك التصاون ويعمل عمل نفسه ٤ تخذم فلان الشئ قطعه متكلفا ٥ أعناق الناس والابل ٦ الوضم خشبة الجزار التى يقطع عليها اللحم . والبيت للشريف الرضى .

وفِتيانِ صدقٍ حسانِ الوجوهِ      لا يجـدونَ لشئٍ أَلَم

مِنَ آلِ المغيرَةِ لاَ يشـهدونَ      عندَ المجازِرِ لحمَ الوَضَمْ

وقال الراعى فى المعنى الاول :

فطبَّقْنَ عَرْضَ القُفِّ [1] حتى لَقِينَهُ      كما طَبَّقَتْ فى العَظمِ مُدْيَةُ جازِرِ [2]

وأنشد الاصمعى :

وكَفٌّ فتًى لم يعرفِ السَّلْخَ قبلَها      تَجـورُ يداهُ فى الأَدِيمِ وتَجْـرَحُ

وأنشد الاصمعى :

لا يُمسكُ العُرْفَ الاّرَيْثَ يُرْسِـلُهُ      ولا يُلاطِمُ عندَ اللّحـمِ فى السُّوقِ

وقد فسر ذلك لبيد بن ربيعـة و بيّنه وضرب المثل به حيث قال فى الحُكم بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة :

ياهَرِمَ ابنَ الاكرمِينَ مَنصِبا      انّكَ قد أُوتيتَ حُكْماً مُعْجِبا

فَطَبِّقِ المَفصِلَ واغْنَمْ طَيِّباً

يقول أحكم بين عامر بن الطفيـل وعلقمة بن علاثة بكلمـة فصـل و بامر قاطع فتفصل بهـا بين الحق والباطل كما يفصل الجزار الحاذق مفصل العظمين . وقد قال الشاعر فى هرم :

قَضى هَرِمٌ يومَ المرِيرَةِ بينَهمْ      قضـاءَ امرىءٍ بالاوَّليّـةِ عالِمِ

قَضى ثم وَلّى الحُـكْمَ مَنْ كانَ أَهلَهُ      وليس ذُنَابَى [3] الرِّيشِ مثلُ القَوادِمِ

ويقال فى الفحل . اذا لم يحسن الضِّـراب [4] جمـل عَيايَاء وجمـل طَباقاء . وقالت امرأة فى الجاهليـة تشكو زوجها « زوجى عياياء طباقاء وكل داء له دواء » حتى جعلوا ذلك مثلا للعَيِّ الفَدْم [5] الذى لا يتجه للحجة . وقال الشاعر :

---

١ اجتزن عرض الاكمة وهن غير مائلات عن القصد ٢ ورد هذا الشطر فى بيت من قصيدة صفوان الانصارى « انظر صفحة ١٥ من هذا الجزء » . وطبق السيف أو السكين المفصل أى أصابه فأبان العضو ٣ الذنابى : ذنب الطائر وهى أكثر استعمالا له . والذنب أكثر استعمالا لمثل الفرس والبعير ٤ النكاح ٥ العيي عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم وفطنة

طِباقاءِ لم يَشْهَدْ خُصوماً ولم يَقُدْ  رِكاباً الى أكوارِها حِينَ تعكفُ

وذكر زهير بن أبي سلمى الخطل فعابه فقال :

وذِي خَطَلٍ في القولِ يَحْسَبُ أنَّهُ  مُصيبٌ فما يُلْمِمْ بهِ فهو قائلُهْ

عبأتُ له (١) حلما وأكرمتُ غيرَهُ  وأعرضتُ عنه وهو بادٍ مقاتلُهْ

وقال الشاعر :

شُمُسٌ اذا خَطِلَ الحديثُ أوانسٌ  يرقُبْنَ كلَّ مُجَذَّرٍ تنبالِ

الشمس ماخوذ من الخيل وهى الخيل المسرحة الضاربة باذنابها من النشاط . والمجذّر القصير . والتنبال القصير الدنىء . وقال أبو الاسود الدؤلى ـ واسم أبى الاسود ظالم بن عمرو وكان من المقدمين فى العلم ـ :

وشاعرِ سوءٍ يهضِبُ القول (٢) ظالما  كما اقتمّ (٣) أعشى مُظلِم الليلِ حاطب

وأنشد :

أعوذُ باللهِ الاعزِّ الأكرمِ  مِن قَولِيَ الشيءَ الذي لم أعلَمِ

تَخَبُّطَ الأعمى الضريرِ الايهَمِ (٤)

وقال ابراهيم بن هرمة فى تطبيق المفصل وتلحق هذه بمعانى أخواتها قبل :

وعَميمةٍ قد سقْتُ فيها عائراً (٥)  غُفْلاً وفيها عائرٌ مَوْسُومُ (٦)

طَبَّقتُ مفصِلَها بغيرِ حَديدةٍ  فرأى العَدوُّ غَنايَ حيثُ أقومُ

وهذه الصفات التى ذكرها ثُمامَةُ بن أشرس فوصف بها جعفر بن يحيى كان ثمامة بن أشرس قد انتظمها لنفسه واستولى عليها دون جميع أهل عصره . وما علمت أنه كان فى زمانه قروى ولا بلدى كان بلغ من حسن الافهام مع قلة عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه . وكان لفظه فى وزن اشارته ومعناه فى طبقة لفظه ولم يكن لفظه الى سمعك باسرع من معناه الى قلبك . قال بعض الكتاب معانى ثمامة الظاهرة فى ألفاظه الواضحة فى مخارج كلامه كما

١ قصدت له ٢ يسح بالقول سحا ٣ اسود « بتشديد الدال » ٤ الاصم ٥ العميمة : الطويلة . والعائر : الذى يذهب ويجيء متردداً ٦ الغفل : مالاعلامة فيه . والموسوم : ما فيه علامة

وصف الخُـزَيمي شعر نفسه فى مدح أبى دلف حيث يقول :

لهُ كَلِمٌ فيكَ معقُولَةٌ ازاءَ القلوبِ كركْبٍ وُقوفْ

وأول هذه القصيدة :

أ بادُلَف دَلَفتْ (١) حاجَتى اليك وماخلتُها بالدّلُوف

ويظنون أن الخُزيمى انما احتذى فى هـذا البيت على أيوب بن القرية حين قال له بعض السـلاطين ماأعددت لهـذا الموقف قال : ثلاثة حروف ، كأنهن ركب وقوف ، دنيا وآخرة ومعروف

وحدثنى صالح بن خاقان قال قال شبيب بن شيبة : الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه . وحظ جودة القافية وان كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت . ثم قال شبيب فان ابتليت بمقام لابدّ لك فيه من الاطالة فقدم احكام البلوغ فى طلب السلامة من الخطل قبـل التقـدم فى احكام البلوغ فى شرف التجويد وإياك أن تعدل بالسلامـة شيئا فان قليلا كافيا خير من كثير غير شاف

ويقال انهم لم يروا قط خطيبا بلديا الا وهو فى أول تكلفـه لتلك المقامات كان مستثقلا مسـتصلفا ٢ أيام رياضتـه كلها الى أن يتوقح وتستجيب له المعانى ويتمكن من الالفاظ . الا شبيب بن شيبة فانه ابتـدأ بحـلاوة ورشاقة وسهولة وعـذوبة فلم يزل يزداد منها حتى صار فى كل موقف يبلغ بقليل الكلام مالا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره . قالوا ولما مات شبيب بن شيبة أتاهم صالح المزنى ٣ أو بعض من أتاهم للتعزية فقال : رحمة الله على أديب الملوك وجليس الفقراء وأخى المساكين . وقال الراجز :

اذا غـدَتْ سَـعْدٌ على شَبيبها على فَتاها وعلى خَطيبها

من مَطْلَعِ الشَّمسِ الى مَغيبها عَجِبْتُ من كَثْرَتها وطِيبها

حدثنى صديق لى قال قلت للعتابى ماالبلاغة . قال : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسـة ولا استعانة فهو بليغ . فاذا أردت اللسان الذى يروق الالسنة ويفوق كل خطيب باظهار ماغمض من الحق وتصوير الباطـل فى صورة الحق . قال فقلت له قد عرفت الاعادة والحبسـة فما الاستعانة . قال أما تراه اذا تحدث قال عند

---

١ دلفت : أى مشت ٢ الصلف بالتحريك تمدح الرجل بما ليس عنده ٣ خ : المرى

مقاطع كلامه : ياهناه و ياهذا و ياهيه واسمع مني واستمع الىّ وافهم عنى أو لست تفهم أو لست تعقل . فهذا كله وما أشبهه عى وفساد . قال عبد الكريم بن روح الغفارى حدثنى عمر الشمرى قال قيل لعمرو بن عبيد ماالبلاغة قال : مابلغ بك الجنة وعدل بك عن النار وما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيك . قال السائل ليس هذا أريد . قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول . قال ليس هذا أريد . قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء بكاء أى قليلو [١] الكلام. ومنه قيل رجل بكى . وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله . قال السائل ليس هذا أريد . قال : كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام مالا يخافون من فتنة السكوت ومن سقطات الصمت . قال قال السائل ليس هذا أريد . قال عمرو : فكانك انما تريد تخير اللفظ فى حسن الافهام . قال نعم . قال : انك ان أردت تقرير حجة الله فى عقول المتكلمين وتخفيف المؤنة على المستمعين وتزيين تلك المعانى فى قلوب المريدين بالالفاظ المستحسنة فى الآذان المقبولة عند الاذهان رغبة فى سرعة استجابتهم ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب . قلت لعبد الكريم من هذا الذى صبر له عمرو هذا الصبر . قال قد سالت عن ذلك أبا حفص فقال ومن كان يجترئ عليه هذه الجراءة الاحفص بن سالم . قال عمر الشمرى كان عمرو بن عبيد لايكاد يتكلم فان تكلم لم يكد يطيل . وكان يقول لاخير فى المتكلم اذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه . واذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ولا خير فى شيء ياتيك به التكلف . وقال بعضهم وهو من أحسن مااجتبيناه ودوناه . لايكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك

وكان موسى [٢] بن عمران يقول لم أر أنطق من أيوب بن جعفر ويحيى بن خالد . وكان ثمامة يقول لم أر أنطق من جعفر بن يحيى بن خالد . وكان سهل بن هرون يقول لم أر أنطق من المامون أمير المؤمنين . وقال ثمامة سمعت جعفر بن يحيى يقول لكتابه : ان استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا . وسمعت أبا العتاهية

---

١ أورده ابن الاثير فى النهاية بلفظ « نحن معاشر الانبياء فينابكاء » وأصله من بكأت الناقة والشاة اذا قل لبنها فهى بكىء وبكيئة ٢ خ : مويس

يقول : لو شئتُ أن يكون حديثى كله شعرا موزونا لكان . وقال اسحق بن حسان ابن فوهة : لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط ، سئل ماالبلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجرى فى وجوه كثيرة . فمنها مايكون فى السكوت . ومنها مايكون فى الاستماع . ومنها مايكون فى الاشارة . ومنها مايكون فى الحديث . ومنها مايكون فى الاحتجاج . ومنها مايكون جوابا . ومنها مايكون ابتداء . ومنها مايكون شعرا . ومنها مايكون سجعا وخطبا . ومنها مايكون رسائل . فعامّة مايكون من هذه الابواب الوحى فيها والاشارة الى المعنى . والايجاز هو البلاغة . فاما الخطب بين السماطين وفى اصلاح ذات البين فالاكثار فى غير خطل والاطالة فى غير املال . وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر البيت الذى اذا سمعت صدره عرفت قافيته . كانه يقول فَرِّق بين صدر خطبة النكاح و بين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة المواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فانه لاخير فى كلام لايدل على معناك ولا يشير الى مغزاك والى العمود الذى اليه قصدت والغرض الذى اليه نزعت . قال فقيل له فان مل المستمع الاطالة التى ذكرت أنها حق ذلك الموقف . قال اذا أعطيت كل مقام حقه وقمت بالذى يجب من سياسة ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فانه لا يرضيهما شيء واما الجاهل فلست منه وليس منك و رضا جميع الناس شيء لاتناله وقد كان يقال :

رضا الناسِ شيءٌ لا يُنالُ

قال : والسنة فى خطبة النكاح أن يطيل الخاطب و يقصر المجيب . ألا ترى الى قيس بن خارجة بن سنان لما ضرب بصفيحة سيفه مؤخرة راحلتى الحاملين فى شان حمالة [1] داحس والغبراء وقال مالى فيها أيها العشمتان [2] قالا بل ماعندك قال عندى قرى كل نازل و رضا كل ساخط وخطبة من لدن تطلع الشمس الى أن تغرب آمر فيها بالتواصل وأنهى فيها عن التقاطع . قالوا فخطب يوما الى الليل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى . فقيل لابى يعقوب هلا اكتفى بالامر بالتواصل عن النهى عن التقاطع أو ليس الامر بالصلة هو النهى عن القطيعة قال أو ماعلمت أن الكناية والتعريض لا يعملان فى العقول عمل الافصاح والتكشف

---

[1] الدية أو الغرامة يحملها قوم على قوم [2] واحدهما عشمة وهو الطمع ، واليابس هزالا ، والشيخ الفانى للذكر والانثى ، أو المتقارب الخطو المنحنى الظهر

قال وسئل ابن المقفع عن قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه « ما يتصعدنى كلام كما تصعدنى خطبة النكاح » قال ما أعرفه الا أن يكون أراد قرب الوجوه من الوجوه ونظر الحداق من قرب فى أجواف الحداق ولانه اذا كان جالسا معهم كانوا كانهم نظراء وأكفاء واذا علا المنبر صاروا سوقة ورعية . وقد ذهب ذاهبون الى أن تاويل قول عمر يرجع الى أن الخطيب لا يجد بدًّا من تزكية [1] الخاطب فلعله كره أن يمدحه بما ليس فيه فيكون قد قال زوراً وغر القوم من صاحبه . ولعمرى ان هذا التاويل ليجوز اذا كان الخطيب موقوفا على الخطابة فاما عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأشباهه من الائمة الراشدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فلم يكونوا ليتكلفوا ذلك الا فيمن يستحق المدح

وروى أبو مخنف عن الحارث الاعور قال والله لقد رأيت عليًّا وانه ليخطب قاعدا كقائم ومحاربا كمسالم . يريد بقوله قاعدا خطبة النكاح

وقال الهيثم بن عدى لم تكن الخطباء تخطب قعودا الا فى خطبة النكاح

وكانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن . فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع قال الهيثم قال عمران بن حطان : ان أول خطبة خطبتها عند زياد ـ أو قال عند ابن زياد ـ فاعجب بها زياد وشهدها عمى وأبى . ثم انى مررت ببعض المجالس فسمعت رجلا يقول لبعضهم « هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شىء من القرآن »

وأكثر الخطباء لا يتمثلون فى خطبهم الطوال بشىء من الشعر ولا يكرهونه فى الرسائل الا أن تكون الى الخلفاء . وسمعت مؤمل بن خاقان وذكر فى خطبته تميم بن مر فقال : ان تميما له الشرف القديم العوْد والعز الاقعس [2] والعدد الهيضل [3] وهى فى الجاهلية القدّام [4] والذّروة والسنام . وقد قال الشاعر :

فقلتُ لهُ وأنكَرَ بعضَ شانِى ... أَلم تَعرِفْ رِقابَ بنى تَميمِ

وكان المؤمّل وأهله يخالفون جمهور بنى سعد فى المقالة فلشدة تحدّبه [5] على سعد وشفقته عليهم كان يناضل عند السلطان كل من سعى على أهل مقالتهم وان كان قوله خلاف قولهم حدبا عليهم . وكان صالح المرى القاصّ العابد البليغ كثيرا ما ينشد فى قصصه وفى مواعظه هذا البيت :

---

١ مدح ٢ الثابت ٣ الجماعة المتسلحة والجيش الكثير ٤ من يتقدم الناس بالشرف ٥ تعطفه

فبَاتَ يُرْوِي أُصولَ الفَسِيلِ (١) فعاشَ الفَسِيلُ وماتَ الرَّجُلْ

وأنشد الحسن فى مجلسه وفى قصصه وفى مواعظه :

ليسَ من ماتَ فاستَراحَ بميْتٍ انمَا المَيْتُ ميّتُ الأحياء

وأنشد عبد الصمد بن الفضل بن عيسى بن ابان الرقاشى الخطيب القاص الشجاع اما فى قصصه واما فى خطبة من خطبه رحمه الله سبحانه وتعالى :

أَرْضٌ تَخَيَّرَها اطيبِ مَقيلِهـا كَعْبُ بنُ مَامَةَ وابنُ أُمِّ دُؤادِ

جرَتِ الرّياحُ على محلّ ديارِهِمْ فكأنَّهُمْ كانوا على ميعادِ

فأرَى النَّعيمَ وكلّ مايُلْهَى بهِ يَوْماً يَصيرُ الى بلاً ونَفادِ

وقال أبو الحسن خطب عبد الله بن الحسن على منبر البصرة فى العيد فانشد فى خطبته :

أَيْنَ الملوكُ التى عن حظّها غفَلَتْ حتّى سقاها بكأسِ الموتِ ساقِيها

تلكَ المدائنُ بالآفاقِ خاليةٌ أمْسَتْ خلاءً وذاقَ الموتَ بانِيها (٢)

قال وكان مالك بن دينار يقول فى قصصه : ما أشد فطام الكبير . وهو كما قال القائل :

وتَرُوضُ عِرسَكَ بعدماهَرِمَتْ ومنَ العَناء رياضَةُ الهَرِمِ

ومثله أيضا قول صالح بن عبد القدوس :

والشيخُ لايترُكُ أخلاقَهُ حتّى يُوارَى فى ثرَى رَمْسِهِ

إذا ارْعَوَى (٣) عادَ الى جهْلِهِ كَذى الضّنَى عادَ الى نُكْسِهِ

قال كلثوم بن عمرو العتابى :

وكنتَ امرءاً لوشئتَ أن تبلُغَ المَدَى بلغتَ بأدنَى نِعمةٍ تَستَديمُها

ولكِنْ نِطامُ النَّفسِ أثقلُ محْمَلاً من الصَّخْرةِ الصَّمّاءِ حِينَ تَرومها

وكانوا يمدحون الجهير الصوت ويذمون الضئيل الصوت . ولذلك تشادقوا فى

---

١ صغار النخل تقلع من الارض أو تقطع من الأم فتغرس ٢ خ : ما فيها ٣ كف عن الشئ

الـكلام ومدحوا سعة الفم وذموا صغر الفم . قال وحدثنى محمد بن بشير الشاعر قيل لاعرابى ماالجمال قال طول القامة وضخم الهامـة ورحب الشدق و بعـد الصوت . وسأل جعفر بن سـليمان أبا المخش ١ عن ابنـه المخش وكان جزع عليـه جزعا شديدا قال صف لى المخش فقال : كان أشـدق خُـرْطُـمانِـيا ٢ سائلا لعابه كأنما ينظر من قلتين . كأن ترقوته ٣ بوان أو خالفة ٤ كأن منـكبه كِركـرة جمل ثقال ٥ ، فقأ الله عينى ان كنت رأيت قبله أو بعده مثله . قال وقلت لاعرابى ماالجـمـال قال غؤور العينين واشراف الحاجبين و رحب الشدقين . قال دغفل بن حنظلة النسابة والخطيب العـلامة حين ساله معاوية عن قبائل قريش فلما انتهى الى بنى مخزوم قال : معزى مطيرة علها قشـعريـرة الا بنى المغـيرة فان فيهم تشادق الـكلام ومصاهرة الكرام . وقال الشاعر فى عمرو بن سعيد الاشدق :

تَشادَقَ حتى مالَ بالقَوْلِ شِدْقُهُ ... وكلُّ خَطيبٍ لاأَبالَكَ أشْدَقُ

وأنشد أبو عبيدة :

وصُلْعُ الرُّؤسِ عِظامُ البُطونِ ... رِحابُ الشِّداقِ طولُ القَصَرْ (٦)

قال وتكلم يوما عند معاوية الخطباء فاحسـنوا . فقال : والله لارمينهم بالخطيب الاشدق ، قم يايزيد فتـكلم

وهذا القول وغـيره من الاخبار والاشـعار حجة لمن زعم أن عمرو بن سـعيد لم يسم الاشدق للفقم ولا للقوة ٧ . وقال يحيى بن نوفل فى خالد بن عبد الله القسرى :

بَلَّ السَّراويلَ مِن خَوْفٍ ومن وَهَلٍ ... واستَطْعَمَ الماءَ لَمّا جدَّ فى الهَرَبِ

وألحَنُ النّاسِ كُلِّ النّاسِ قاطِبَةً ... وكانَ يُولَعُ بالتَّشْديقِ في الخُطَبِ

و يدلك على تفضيلهم سعة الاشداق وهجائهم ضيق الافواه قول الشاعر :

لَحا اللهُ أفْواهَ الدَّبى (٨) من قَبيلَةٍ ... اذا ذَكَرتْ فى النّائباتِ أُمورَها

وقال الآخر :

١ خ : أبا المخش عن ابنه المخش ٢ كبير الأنف ٣ العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق ٤ البوان عمود الخيمة . والخالفة عمود من أعمدة البيت فى مؤخره ٥ المنكب : مجتمع رأس الـكتف والعضد . والـكركرة رحى زور البعير . وجمل ثقال بطئ لعله لضخم جسمه ٦ الاعناق ٧ الفقم أن تـكون الثنايا العليا الى الخارج فلا تقع على السفلى . واللقوة داء يصيب الوجه يعوج منه الشـدق الى أحـد جانبى العنق فلا يحسن التقاء الشفتين ولا تنطبق احدى العينين ٨ صغار الجراد والنمل الواحدة دباة

وأَفْواهُ الدَّبى حاموا قَليلاً ... وليسَ أخو الحِمايَةِ كالضَّجُورِ

وانما شبه أفواههم بأفواه الدبى لصغر أفواههم وضيقها . وعلى ذلك المعنى هجا عبدة بن الطبيب حيَّ بن هزال وابنيه فقال :

تَدْعُو بنيكَ عبّادًا وجرثمةً ... فا فأرةٍ شَجَّها في الجُحْرِ محفارُ

وقد كان العباس بن عبد المطلب جهيرا [١] جهير الصوت ، وقد مدح بذلك ، وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حنين حين ذهب الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى العباس : ياأصحاب سورة البقرة هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتراجع القوم وأنزل الله عز وجل النصرة وأتى بالفتح . أخبرنى ابن الكلبي عن أبيه عن أبى صالح عن ابن عباس قال كان قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف يمكو [٢] حول البيت فيسمع ذلك من حراء [٣] . قال الله تعالى «وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية» فالتصدية التصفيق والمكاء التصفير أو شبيه بالصفير ولذلك قال عنترة :

وحليلِ غانيةٍ تركتُ مُجدَّلاً [٤] ... تمكُو فريصتُهُ كشدقِ الأعلمِ

وقال العجير السلولى فى شدة الصوت :

ومنهنّ قَرْعى كلّ بابٍ كأنما ... بهِ القومُ - يرجُونَ الأذينَ - نشورُ [٥]

فجئتُ وخَصْمى يَصْرِفونَ نُيوبَهم ... كما قُصِبَتْ بَيْنَ الشِّفارِ جَزُورُ [٦]

لَدَى كُلِّ مَوْثوقٍ بهِ عندَ مثْلِها ... لهُ قَدَمٌ في النّاطقينَ خَطيرُ

جَهيرٌ ومُمْتَدُّ العِنانِ مُناقِلٌ ... بَصيرٌ بعَوْراتِ الكلامِ خَبيرُ

فظلَّ رداءُ العَصْبِ [٧] مُلْقىً كأنّهُ ... سَلى [٨] فَرَسٍ تحتَ الرِّجالِ عَقيرُ

لوَ انّ الصُّخورَ الصُّمَّ يَسْمَعْنَ صلقَنا ... لَرُحْنَ وفى أعْراضِهِنَّ فُطورُ

الصلاق شدة الصوت ، وفطور شقوق . وقال مهلهل :

---

١ الجهير والخليق بالمعروف ٢ المكاء التصفير بالفم ٣ جبل معروف فى مكة على ثلاثة أميال ٤ مرميا بالارض ٥ يقال أذن له فى الشئ اذنا وأذينا أى أباحه له . يقول كأنما القوم نشور يرجون الاذن ٦ أى كما قطعت الناقة بين الشفار ٧ ثوب يصبغ ثم ينسج ٨ السلى : الجلدة التى يكون فيها الولد من الناس والمواشى وان انقطع فى البطن هلكت الأم وهلك الولد

ولولا الرِّيحُ أُسْمِع أهلَ نَجْدٍ صَلِيلَ البِيضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ (١)

والصريف صوت احتكاك الانياب ، والصليل صوت الحديد هاهنا . وفى شدة الصوت يقول الاعشى فى وصفه الخطيب بذلك :

فيهم الخِصْبُ والسَّماحَةُ والنَّجْـ ـدَةُ جَمعاً والخاطِبُ الصَّلاّقُ

وقال بشار بن برد فى ذلك ويهجو بعض الخطباء :

ومِنْ عَجَبِ الايّامِ أنْ قُمتَ ناطِقاً وأَنتَ ضَئِيلُ الصَّوْتِ مُنْتَفِخُ السَّحْرِ (٢)

ووقع بين فتى من النصارى و بين ابن فهريز كلام فقال له الفتى : ماينبغى أن يكون فى الارض رجل واحد أجهل منك ، وكان ابن فهريز فى نفسه أكثر الناس علما وأدبا ، وكان حريصا على الجثلقة ، فقال للفتى : وكيف حللت عندك هذا المحل ، قال : لانك تعلم أنا لا نتخذ الجاثليق ٣ الا مديد القامة وأنت قصير القامة ولا نتخذه الا جهير الصوت جيد الحلق وأنت دقيق الصوت ردىء الحلق ولا نتخذه الا وهو وافر اللحية عظيمها وأنت خفيف اللحية صغيرها . وأنت تعلم أنا لانختار للجثلقة الا رجلا زاهدا فى الرياسة وأنت أشد الناس عليها كلبا وأظهرهم لها طلبا . فكيف لاتكون أجهل الناس وخصالك هذه كلها تمنع من الجثلقة . وأنت قد شغلت فى طلبها بالك وأسهرت فيها ليلك . وقال أبو الحجناء فى شدة الصوت :

إنّى اذا ما زَبَّبَ الأشْدَاقُ (٤) والتجَّ حَوْلى النَّقْعُ واللَّقْلاقُ (٥)

ثَبْتُ الجَنانِ مِرْجَمٌ وَدَّاقُ

المرجم الحاذق بالمراجمة بالحجارة . والوداق الذى يسيل الحجارة كالودق من المطر . وجاء فى الحديث « من وقى شرّ لَقْلَقِه وقَبْقَبِه وذَبْذَبِه وُقِى الشر » يعنى لسانه و بطنه وفرجه . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بواكى خالد بن الوليد بن المغيرة « وما عليهن أن يرقن من دموعهن على أبى سليمان مالم يكن نقع أو لقلقة » وجاء فى الاثر « ليس منا من حلق أو صلق أو سلق أو شق » ومما مدح به العمانى

١ الذكر من الحديد أيبسه وأجوده . ومن النحاس الجاسى الذى لاينطرق جيداً . وسيف ذكر شفرته حديد ذكر ٢ السحر الرئة . أى ملأ الخوف جوفه فارتفع قلبه الى الحلقوم . ومنتفخ السحر أيضا الذى تعدى طوره وجاوز قدره ٣ رئيس الاساقفة ٤ اجتمع الريق فى الاشداق أو خرجت فيها زبدة من كثرة الكلام ٥ التجت الاصوات اختلطت . ونقع الرجل نقعا رفع صوته ونقع الصوت ارتفع ، واللقلاق : الصوت والجلبة

هرون الرشيد بالقصيد دون الرجز قوله :

جَهِيرُ العُطاسِ شَدِيدُ النِّياطِ جَهِيرُ الرُّواءِ (١) جَهِيرُ النَّغَم
ويَخْطُو على الأَيْنِ خَطْوَ الظَّلِيم ويَعْلُو السِّماطَ بجِسْمٍ عَمَمْ

النياط معاليق القلب . الاين الاعياء . الظليم ذكر النعام . عمم حسن . ومنه قيل نبت عميم أى حسن كثير . ويقال ان جسمه لعمم وانه لعم الجسم اذا كان تاما . وكان الرشيد اذا طاف بالبيت جعل لازاره ذنبين عن يمين وشمال ثم طاف باوسع من خطو الظليم وأسرع من رجع يد الارنب . وقد أخبرنى ابراهيم بن السندى بمحصول ذرع ذلك الخطو الا أنى أحسبه فراسخ فيما رأيته يذهب اليه . قال ابراهيم ونظر اليه أعرابى فى تلك الحال والهيئة فقال :

خَطْوُ الظَّلِيمِ رِيعَ مُمْسًى فانْشَمَرْ

ريع فزع . ممسى حين المساء . انشمر جد فى الهرب . وحدثنى ابراهيم السندى قال لما أتى عبد الملك بن صالح وفد الروم وهو فى البلاد أقام على رأسه رجالا فى السماطين لهم قصر وهام ومناكب وأجسام وشوارب وشعور . فبينهم ٢ قيام يكلمونه ومنهم رجل وجهه فى قفا البطريق اذ عطس عطسة ضئيلة فلحظه عبد الملك فلم يدر أى شىء أنكر منه . فلما مضى الوفد قال له ويلك هلا اذ كنت ضيق المنخر كزّ ٣ الخيشوم أتبعتها بصيحة تخلع بها قلب العلج . وفى تفضيل الجهارة فى الخطب يقول شبة بن عقال بعقب خطبته عند سليمان بن على بن عبد الله بن عباس :

أَلا لَيْتَ أُمَّ الجَهْمِ واللهُ سامِعٌ تَرَى حَيْثُ كانَتْ بالعِراقِ مَقامِى
عَشِيَّةَ بَذَّ (٤) النّاسَ جَهْرِى ومَنْطِقِى وبَذَّ كَلامَ النّاطِقِينَ كَلامِى

وقال طحلاء يمدح معاوية بالجهارة وبجودة الخطبة :

رَكُوبُ المَنابِرِ وَثّابُها مِعَنٌّ بخُطْبَتِهِ مِجْهَرُ
تَرِيعُ إليه هَوادِى الكَلامِ اذا ضَلَّ خُطْبَتَهُ المِهْذَرُ

معنّ تعرض له الخطبة فيخطبها مقتضبا لها . تريع اليه ترجع اليه . هوادى الكلام أوائله . فاراد أن معاوية يخطب فى الوقت الذى يذهب فيه كلام المهذر .

---

١ جميل المنظر ٢ خ : فبيناهم ٣ ضيق ٤ غلب وفاق

والمهذر المكثار وزعموا أن أبا عطية عفيفا النصرى فى الحرب التى كانت بين ثقيف وبين بنى نصر أنه لما رأى الخيل بعقوته [١] يومئذ وأيس نادى : ياصباحاه أتيتم يا بنى نصر . فالقت الحبالى أولادها من شدة صوته . قالوا فقال ربيعة بن مسعود يصف تلك الحرب وصوت عفيف :

عُقاماً ضَرُوساً [٢] بينَ عوفٍ ومالكٍ ... شَديداً لَظاها تَترُكُ الطِّفلَ أشيَبا
وكانَتْ جميلٌ يَومَ عمرو أراكَةً ... أُسودَ الغضا غادرْنَ لَحماً مُتَرَّبا [٣]
ويوم بِكُرُوثاء [٤] شدَّتْ مُعتِّبٌ ... بغاراتِها قَدْ كانَ يوماً عَصَبْصَبا [٥]
فأسْقطَ أحْبالَ النِّساءِ بصَوْتِهِ ... عَفيفٌ وقد نادى بنصرٍ فطَرَّبا [٦]

وكان أبو عروة الذى يقال له أبو عروة السباع يصيح بالسبع وقد احتمل الشاة فيخليها ويذهب هاربا على وجهه فضرب به الشاعر المثل وهو النابغة الجعدى فقال :

وأَزْجُرُ الكاشحَ [٧] العَدُوَّ إذا اغتا ... بكَ عندي زَجراً على أَضَمِ [٨]
زَجْرَ أبي عُرْوَةَ السِّباعَ اذا ... أشْفَقَ أنْ يَلْتَبِسْنَ بالغَنَمِ

وأنشد أبو عمرو الشيبانى لرجل من الخوارج يصف صيحة شبيب بن زيد بن نعيم . قال أبو عبيدة وأبو الحسن كان شبيب يصيح فى جنبات الجيش اذا أتاه فلا يلوى أحد على أحد . وقال الشاعر فيه :

إنْ صاحَ يوماً حَسِبتَ الصَّخْرَ مُنْحَدِراً ... والرِّيحَ عاصِفَةً والمَوْجَ يَلْتَطِمُ

قال أبو العاصى أنشدنى أبو محرز خلف بن حيان وهو خلف الاحمر مولى الاشعريين فى عيب التشادق :

له حَنجرٌ رَحْبٌ وقَولٌ مُنَقَّحٌ ... وفَصْلُ خطابٍ لَيسَ فيهِ تَشادُقُ

---

١ حول داره ٢ يوم عقام : أى شديد . وأصل الضروس الناقة السيئة الخلق تعض حالبها ، ومنه الحرب الضروس : أى المهلكة ٣ ملطخا بالتراب ٤ موضع فى ديار بنى جحاش رهط الشماخ ٥ العصبصب : اليوم الشديد الحر ، وقيل الشديد مطلقا ٦ طرب الرجل فى صوته : رجعه ومده ٧ العدو الباطن العداوة ، وقيل الذى يتباعد عنك ويوليك كشحه ، والكشح : مابين الخاصرة الى الضلع الخلف ٨ الحقد والحسد والغضب

اذا كانَ صَوْتُ المَرْءِ خَلْفَ لَهاتِه(١) وأنحى بأشْداقٍ لهُنّ شَقاشِقُ
وقَبْقَبَ يَحْكِي مُقْرَماً في هِبابِه(٢) فليسَ بمَسْبوقٍ ولا هو سابِقُ

وقال الفرزدق :

شَقاشِقُ بينَ أشْداقٍ وهامِ

وأنشد خلف :

وما في يَدَيهِ غيرُ شِدْقٍ يُميلُهُ وشَقْشَقَةٍ خَرْساءَ ليسَ لَها ثَعْبُ(٣)
متى رامَ قوْلاً خالَفَتْهُ سَجِيَّةٌ وضِرْسٌ كقَعْبِ القينِ ثَلْمةُ الشَّعْبِ(٤)

وأنشد أبو عمرو بن الاعرابي :

وجاءَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشُ البِطاحِ هِيَ العُصَبُ الأُوَلُ الدّاخِلَهْ
يَقودُهُمُ الفيلُ والزَّنْدبيلُ وذُو الضِّرْسِ والشَّفَةِ المائِلَهْ

والفيل والزنديبل أبان والحكم ابنا عبد الملك بن بشر بن مروان . وذو الضرس وذو الشفة المائلة هو خالد بن سلمة المخزومي الخطيب . يعني دخولهم على ابن هبيرة . والزنديبل الانثى من الفيلة فيما ذكر أبو اليقظان نجيم بن حفص . وقال غيره هو الذكر . فلم يقفوا من ذلك على شيء . وقال الشاعر في خالد بن سلمة المخزومي الخطيب :

فما كانَ قائلُهُمْ دَغْفَلٌ ولا الحَيقُطانُ ولا ذو الشَّفَهْ

قوله دغفل يريد دغفل بن يزيد بن حنظلة الخطيب الناسب . والحيقطان عبد أسود وكان خطيبا لاجبارى وأنشد أصحابنا :

وقافيةٍ لَجْلَجْتُها(٥) فَرَدَدْتُها لذي الضِّرْسِ لو أَرْسَلْتُها قَطَرَتْ دَما

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعر العرب . ولربما كان نزع ضرس أيسر عليّ من أن أقول بيت شعر . قال وأنشدنا منيع :

---

١ اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم ٢ قبقب الاسد والفحل : صوت وهدر ، وقبقب الرجل : حقد . والمقرم : البعير المكرم لايحمل عليه ولايذلل وانما هو للفحلة . والهباب : مصدر « هب » أي نشط وأسرع ٣ الشقشقة : لهاة البعير . وثعب البعير شقشقته : أخرجها ٤ القعب : القدح الضخم الغليظ الجافي . والقين : العبد والصانع والحداد . وثلمه : كسر حرفه . والشعب : مصدر من « شعب الشيء » اذا صدعه ٥ اللجلجة والتلجلج : التردد في الكلام

فجئتُ وَوَهبٌ كالخَلاةِ (١) تَضُمُّها ... الى الشِّدقِ أنيابٌ لَهُنَّ صَريفُ
فقمقمتُ (٢) لحييْ خالدٍ واهتَضَمتُهُ ... بحُجَّةِ خَصْمٍ بالخُصومِ عَنيفُ

أبو يعقوب الثقفى عن عبد الملك بن عمير قال سئل الحارث بن أبى ربيعة عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال : كم كان له ماشئت من ضرس قاطع فى العلم بكتاب الله والفقه فى السنة والهجرة الى الله ورسوله والبسطة فى العشيرة والنجدة فى الحرب والبذل للماعون . قال الآخر :

ولم تُلفِنى فهًّا (٣) ولم تلفِ حجَّتى ... ملَجلجَةً أبغى لها مَنْ يُقيمُها
ولا بتُّ أُزجيها (٤) قَضيباً (٥) وتَلتَوي ... أُراوِغُها طوْراً وطوْراً أُضيمُها (٦)

وأنشدنى أبو الرديني العكلى :

فتىً كانَ يَعلو مَفرِقَ الحَقِّ قَوْلُهُ ... اذا الخُطَباءُ الصِّيدُ عَضَّلَ (٧) قِيلُها

وقال الخزيمى فى تشادق على بن الهيثم :

ياعَلِيَّ بنَ هيثَمٍ ياسُماقاً (٨) ... قد مَلأتَ الدُّنيا علينا بقاقا (٩)
خَلِّ لَحيَيْكَ يَسكُنان ولا تَضـ ... ـرِبْ على تَغلِبٍ بلَحيَيْكَ طاقا
لاتَشادَقْ اذا تَكلَّمتَ واعلَمْ ... أنَّ للنّاسِ كلِّهمْ أشداقا

وكان على بن الهيثم جوادا بليغ اللسان والقلم . وقال لى أبو يعقوب الخزيمى «مارأيت كثلاثة رجال ياكلون الناس أكلا حتى اذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الملح فى الماء أو الرصاص عند النار . كان هشام بن الكلبى علامة نسابة وراوية للمثالب عيابة فاذا رأى الهيثم بن عدىّ ذاب كما يذوب الرصاص عند النار . وكان الهيثم بن عدى مفقعا ١٠ نيا صاحب تقعيع وتقعير ويستولى على كلام أهل المجلس لايحفل بشاعر ولا بخطيب فاذا رأى موسى الضبى ذاب كما يذوب الرصاص عند النار . وكان علوية المغنى أحد الناس فى الرواية وفى الحكاية وفى

١ الخلاة : واحدة الخلا وهو الرطب من الحشيش ٢ حركت ٣ عييا ٤ أسوقها وأدفعها ٥ ناقة لم تذلل ٦ أصارعها مرة وأ كلها مرة ٧ صعب ٨ السماق : الخالص ٩ بق الرجل بقا وبقاقة كثر كلامه . ورجل بقاق كثير الكلام ١٠ متشدقا فى كلامه

صنعة الغناء وجودة الضرب وفى الاطراب وحسن الخلق فاذا رأى مخارقا ذاب كما يذوب الرصاص عند النار »

ثم رجع بنا القول الى ذكر التشديق و بعد الصوت . قال أبو عبيدة كان عروة ابن عتبة [١] بن جعفر بن كلاب رديفا للملوك و رحالا اليهم وكان يقال له عروة الرحال . فكان يوم أقبل مع ابن الجون يريد بنى عامر فلما انتهى الى واردات مع الصبح قال له عروة : انك قد عرفت طول صحبتى لك ونصيحتى إياك فاذن لى فأهتف بقومى هتفة . قال نعم وثلاثا . فقام فنادى « ياصباحاه » ثلاث مرات ، قال فسمعنا شيوخنا يزعمون أنه أسمع أهل الشعب فتلببوا [٢] للحرب وعسبوا الرّبايا ينظرون من أين يأتى القوم . قالوا وتقول الروم لولا ضجة أهل رومية وأصواتهم لسمع الناس جميعا صوت وجوب القرص فى المغرب

وأعيب عندهم من دقة الصوت وضيق مخرجه وضعف قوته أن يعترض الخطيب البُهْرُ والارتعاش والرّعدة والعرَق . قال أبو الحسن قال سفيان بن عيينة تكلم صعصعة عند معاوية فعرق ، قال معاوية بَهَرَكَ القول ، فقال صعصعة ان الجياد نضاحة بالماء . والفرس اذا كان سريع العرق وكان هشا [٣] كان ذلك عيبا . وكذلك هو فى الكثرة . واذا أبطأ ذلك وكان قليلا قيل قد كبا وهو فرس كاب وذلك عيب أيضا . وأنشدنى ابن الاعرابى لابى مسمار العكلى فى شبيه بذلك قوله :

* لله دَرٌّ عامرٍ اذا نَطَقْ ... في حَفْلِ إملاكٍ [٤] وفى تلك الحلَقْ

ليسَ كقومٍ يُعرَفونَ بالشّدَقْ ... مِنْ خُطَبِ النّاسِ ومما فى الوَرَقْ

يُلفّقونَ القَوْلَ تلفيقَ الخلَقْ ... مِنْ كُلّ نَضّاحِ الذّفارى بالعَرَقْ

اذا رَمَتْهُ الخُطَباءُ بالحَدَقْ

والذفارى هنا يعنى بدن الخطيب . والذفريان للبعير وهما اللحمتان فى قفاه . وانما ذكر خطب الاملاك لانهم يذكرون أنه يعرض للخطيب فيها من الحصر أكثر مما يعرض لصاحب المنبر ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « مايتصعدنى كلام كما تتصعدنى خطبة النكاح [٥] » وقال العمانى :

لا ذَفِرٌ هَشٌّ ولا بِكابِ ... ولا بِلَجْلاجٍ ولا هَيّابِ

---

[١] خ : علبة [٢] تشمروا [٣] الهش الفرس الكثير العرق [٤] الاملاك التزويج [٥] تقدم فى ا ص ٦٥

الهش الذي يجود بعرقه سريعا وذلك عيب . والذفر الكثير العرق . والكابى الذي لا يكاد يعرق كالزند الكابى الذي لا يكاد يورى . فجعل له العمانى حالا بين حالين اذا خطب. وخبر أنه رابط الجاش معاود لتلك المقامات. وقال الكميت بن زيد وكان خطيبا « ان الخطبة صعداء وهي على ذى اللب أرمى » وقولهم أرمى وأربى سواء يقال فلان قد أرمى على المائة وأربى ، ولم أر الكميت أفصح عن هذا المعنى ولا تخلص الى خاصته . وانما يجترئ على الخطبة الغمر الجاهل الماضى الذي لا يثنيه شيء أو المطبوع الحاذق الواثق بغزارته واقتداره . فالثقة تنفى عن قلبه كل خاطر يورث اللجلجة والنحنحة والانقطاع والبهر والعرق . قال عبيد الله بن زياد وكان خطيبا على لكنة كانت فيه « نعم الشيء الامارة لولا قعقعة البرد والتشدق للخطب » وقيل لعبد الملك بن مروان : عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف لا يعجل على وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين يعنى خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الامور . قال بعض الكلابيين :

وإذا خَطَبْتَ على الرِّجالِ فلا تَكُنْ     خَطِلَ الكَلامِ تَقولُه مُخْتالا

واعْلَمْ بأنَّ مِنَ السُّكوتِ ابانَةً     ومِنَ التَّكَلُّمِ مايَكُونُ خَبالا

﴿كلام بشر بن المعتمر﴾ حين مر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة السكونى الخطيب وهو يعلم فتيانهم الخطابة . فوقف بشر ، فظن ابراهيم أنه انما وقف ليستفيد أو ليكون رجلا من النظارة . فقال بشر : اضربوا عما قال صفحا واطووا عنه كشحا . ثم دفع اليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه وكان أول ذلك الكلام :

« خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك . فان قليل تلك الساعة أكرم جوهراً وأشرف حسباً وأحسن فى الاسماع وأحلى فى الصدور وأسلم من فاحش الخطا وأجلب لكل عين وغرّة من لفظ شريف ومعنى بديع . واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالكد والمطاولة والمجاهدة وبالتكلف والمعاودة ، ومهما أخطاك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا وخفيفا على اللسان سهلا . وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه . واياك والتوعر فان التوعر يسلمك الى التعقيد . والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك . ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من أجله الى أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس

اظهارها وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما . وكن فى ثلاث منازل . فان أُولى الثلاث : أن يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا و يكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا إما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت و إما عند العامة ان كنت للعامة أردت . والمعنى ليس يشرف بان يكون من معانى الخاصة . وكذلك ليس يتضع بان يكون من معانى العامة . وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظ العامى والخاصى . فان أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك و بلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك على أن تفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها الالفاظ الواسطة التى لاتلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الاكفاء فانت البليغ التام »

قال بشر فلما قرئت على ابراهيم قال لى : أنا أحوج الى هـذا من هؤلاء الفتيان

قال أبو عثمان : أما انا فلم أر قوما قط أمثل طريقة فى البلاغة من الكتّاب ، فانهم قد التمسوا من الالفاظ مالم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا . واذا سمعتمونى أذكر العوام فانى لست أعنى الفلاحين والحشوة والصناع والباعة ، ولست أعنى الاكراد فى الجبال وسكان الجزائر فى البحار ، ولست أعنى من الامم مثل البير والطيلسان ومثل موقان وجيلان ومثل الزنج وأمثال الزنج ، وانما الامم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وفارس والهند والروم . والباقون همج وأشباه الهمج . وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التى عقولها وأخلاقها فوق تلك الامم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا ، على أن الخاصة تتفاضل فى الطبقات أيضا

ثم رجع بنا القول الى بقية كلام بشر بن المعتمر والى ماذكر من الاقسام .

قال بشر :

« فان كانت المنزلة الاولى لاتواتيك ولا تعتريك ، ولا تسنح لك عند أول نظرك وفى أول تكلفك ، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر الى قرارها والى حقها من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحل فى مركزها وفى نصابها ، ولم تتصل بشكلها ، وكانت قلقة فى مكانها نافرة من موضعها ، فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن والنزول فى غير أوطانها ، فانك اذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور ، لم يعبك بترك ذلك أحد . وان أنت تكلفتها ، ولم تكن حاذقا مطبوعا ، ولا محكما لسانك بصيرا بما عليك أو مالك ، عابك من أنت أقل عيبا منه ،

ورأى من هو دونك أنه فوقك . فان ابتليت بان تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع فى أول وهلة ، وتعصى عليك بعد اجالة الفكرة ، فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك أو سواد ليلك ، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك ، فانك لاتعدم الاجابة والمواتاة ان كانت هناك طبيعة أو جريت من الصناعة على عرق . فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير طول اهمال فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة الى أشهى الصناعات اليك وأخفها عليك، فانك لم تشتهه ولم تنازع اليه الا وبينكما نسب والشيء لايحن الا الى مايشاكله ، وان كانت المشاكلة قد تكون فى طبقات ، لان النفوس لاتجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع المحبة والشهوة . فهكذا هذا »

وقال : « ينبغى للمتكلم أن يعرف أقدار المعانى ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعانى ويقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات . فان كان الخطيب متكلما تجنب ألفاظ المتكلمين ، كما أنه ان عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا كان أولى الالفاظ به ألفاظ المتكلمين، اذ كانوا لتلك العبارات أفهم والى تلك الالفاظ أميل واليها أحن وبها أشغف ، ولان كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء ، وهم تخيروا تلك الالفاظ لتلك المعانى ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية مالم يكن له فى لغة العرب اسم ، فصاروا فى ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع . ولذلك قالوا العرض والجوهر وأيس [١] وليس . وفرقوا بين البطلان والتلاشى . وذكروا الهذية والهوية والماهية . وأشباه ذلك . وكما وضع الخليل بن أحمد لاوزان القصيد وقصار الارجاز ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الاعاريض بتلك الالقاب وتلك الاوزان بتلك الاسماء كما ذكر الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل وأشباه ذلك وكما ذكر الاوتاد والاسباب والخرم والزحاف . وقد ذكرت العرب فى أشعارها السناد والاقواء والاكفاء ولم أسمع الايطاء . وقالوا فى القصيد والرجز والسجع والخطب . وذكروا حروف الروى والقوافى . وقالوا هذا بيت وهذا مصراع . وقد قال جندل الطهوى حين مدح شعره :

---

(١) أيس كلمة معناها الايجاب كما أن ليس كلمة معناها النفى

لم أُقْوِ فيهنَّ ولم أُسانِدِ

وقال ذو الرمة :

وشِعْرٍ قد أرِقْتُ لهُ غَريبٍ أُجانِبُهُ المَسانِدَ والمحالا

وقال أبو حزام العكلي :

بُيُوتًا نَصبْنا لتَقويمِها جُذُولَ (١) الرَّبيئِينَ في المَرْبَأَهْ (٢)

بيوتًا على الهاء لها سَجْحَةٌ (٣) بغير السِّنادِ ولا المُكْفَأَهْ (٤)

وكما سمى النحويون فذكروا الحال والظرف وما أشبه ذلك لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو . وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء وجعلوها علامات للتفاهم

قالوا وقبيح بالخطيب أن يقوم بخطبة العيد أو يوم السماطين أو على منبر جماعة أو في سدة دار الخلافة أو في يوم جمع وحفل إما في اصلاح بين العشائر واحتمال دماء القبائل واستلال تلك الضغائن والسخائم فيقول كما قال بعض من خطب على منبر ضخم الشان رفيع المكان « ثم ان الله عز وجل بعد أن أنشا الخلق وسواهم ومكن لهم لاشاهم فتلاشوا » ولولا أن المتكلم افتقر الى أن يلفظ بالتلاشي لكان ينبغي أن يؤخذ فوق يده . وخطب آخر في وسط دار الخلافة فقال في خطبته « وأخرجه الله من باب الليسية فادخله في باب الايسية » وقال مرة أخرى في خطبة له « هذا فريق ما بين السارّ والضار والدّفاع » وقال مرة أخرى « فدلّ ساتره على غامره ودلّ غامره على منحله » فكاد ابراهيم بن السندي يطير شغفا ويتقد غيظا . هذا وابراهيم من المتكلمين والخطيب لم يكن من المتكلمين

وإنما جازت هذه الالفاظ في صناعة الكلام حين عجزت الاسماء عن اتساع المعاني . وقد تحسن أيضا ألفاظ المتكلمين في مثل شعر أبي نواس وفي كل ماقالوه على جهة التظرف والتملح . كقول أبي نواس :

---

١ الجذول الانتصاب ٢ الربئ الطليعة والرقيب . والمربأة المرقبة ٣ تقول بيوتهم على سجح واحد أي على قدر واحد ٤ السناد عند أهل القوافي كل عيب يوجد في القافية قبل الروى . وأكفأ الشاعر أي خالف بين اعراب القوافي أو خالف بين هجائها أو أفسد في آخر البيت

وذاتِ خَدٍّ مُوَرَّدْ  قُوهِيَّةِ المُتَجَرَّدْ (١)
تَأَمَّلُ العينُ مِنها (٢)  مَحاسِناً ليسَ تَنْفَدْ
فَبَعضُهاقد (تَناهى) (٣)  وبعضُها (يَتَوَلَّدْ)
والحُسْنُ في كلِّ عُضْوٍ (٤)  مِنها مُعادٌ مُرَدَّدْ

وكقوله :

ياعاقِدَ القلبِ مِنّي  هلاّ تَذَكَّرْتَ (حلّا)
تَرَكْتَ قلبي قليلاً  مِنَ القليلِ أقلّا
يَكادُ (لايَتَجَزّا)  أَقَلُّ في اللَّفظِ مِن لا (٥)

وقد يتملح الاعرابى بان يدخل فى شعره شيئا من كلام الفارسية كقول العمانى للرشيد فى قصيدته التى مدحه فيها :

مَنْ يَلْقَهُ مِنْ بَطَلٍ مُسْرَنْدِ (٦)  فى زَغْفَةٍ مُحْكَمَةٍ بالسَّرْدِ (٧)
يَجُولُ بَيْنَ رَأْسِهِ و (الكَرْدِ) (٨)

يعنى العنق . و يقول فيه أيضا :

لَمّاهَوَى بينَ غِياضِ الأُسْدِ  وصارَ فى كَفِّ الهِزَبْرِ الوَرْدِ (٩)
آلى يَذُوقُ الدَّهْرَ (آبَ سَرْدِ) (١٠)

وكقول الآخر :

---

١ قوهية نسبة الى قوهستان وهى بلد فى كرمان . والقوهى ثياب بيض . والمتجرد العرية . لعله أراد أن جسمها لما تتعرى يشبـه بياضه بياض الثياب القوهية ٢ فى ديوانه المطبوع « تأمل الناس فيها » ٣ فى الديوان « فبعضـه فى انتهاء » ٤ فى الديوان « الحسن فى كل جزء » ٥ هـذه الابيات لاتوجد فى الديوان المطبوع ٦ اسرندى فلانا علاه وغلبه . والسرندى « بالالف المقصورة » السريع فى أموره والشديد ٧ الزغفة الدرع الواسعة الدقيقة . وسرد الدرع سرداً نسجها ٨ ووردت هذه الكلمة فى قول الفرزدق « ضربناه دون الانثيين على الكرد » وقال شاعر « واضرب بحد السيف عظم كرده » . وأصله فى الفارسية « كردان » بكاف فارسية ٩ الهزبر والورد من أسماء الاسد ١٠ آب معناه الماء وسرد بارد وكلاهما فارسى

وَوَلَّهَنِي وَقعُ الأَسِنَّةِ والقَنا وكافر كوبات لها عجرٌ قُفْدُ (١)

بأَيدِي رِجالٍ ما كَلامِي كلامُهُمْ يَسُومُونَني مرْدًا وما أَنا والمَرْدُ

ومثل هـذا موجود فى شعر العذافر الكنـدى وغيره . ويجوز أيضا أن يكون الشعر مثل شعر الحر وشاذ وأسود بن أبى كريمة كما قال يزيد بن ربيعة بن مفرغ :

آبَ اَسْتْ نَبيذَ اَسْتْ عُصاراتِ زَبيبَ اَسْتْ

سُمَيَّةُ رُوسبيد (٢) اَسْتْ

وقال أسود بن أبى كريمة :

لَزِمَ الغُرّامُ ثَوْبى بكْرَةً فى يَوْمِ سَبْت

فتمايَلْتُ عليهِمْ مَيْلَ زَنْكِيٍّ بِمَسْت

قَدْ حَسا الدّاذِيَّ صِرفا أو عقارا بايخسْت

ثم كفتم ذو زياد ويحكم انخر كفت

إنَّ جِلْدِى دَبَغَتْهُ أَهلُ صَنْعاءَ بجفت

وأبو عمْرَةَ عِنْدِى ان كور يذنمست

جالِس اندر مَكْناد ايا عمد بنهشت (٣)

وكما لاينبغى أن يكون اللفظ عاميا ساقطاً سوقيا فكذلك لاينبغى أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس كما يفهم السوقى رطانة السوقى

وكلام الناس فى طبقات كما أن الناس أنفسهم فى طبقات . فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح والسميج والخفيف والثقيل وكله عربى وبكل قد تكلموا وبكل قد تمادحوا وتعايبوا . فان زعم زاعم أنه لم يكن فى كلامهم تفاضل

---

١ الكافر الساتر ، كوبات اذا لم تكن فارسية فهى جمع كوبة بمعنى الطبل الصغير المخصر ، العجر جمع عجرة وهى نوع من العمة ، والقفدجنس من العمة أيضا ٢ رو وجه وسبيد لعلها معرب سفيد بمعنى أبيض ٣ فى هذه الأبيات تحريفات كثيرة أفسدتها

ولا بينهم فى ذلك تفاوت فلم ذكروا العي والبكي والحصر والمفحم والخطل والمسهب والمتشدق والمتفيهق والمهماز والثرثار والمكثار والهماز . ولم ذكروا الهجر والهذر والهذيان والتخليط . وقالوا رجل تلقاعة وتلهاعة ١ وفلان يتلهيع فى خطبته . وقالوا فلان يخطئ فى جوابه ويحيل فى كلامه ويناقض فى خبره . ولولا أن هذه الامور قد كانت تكون فى بعضهم دون بعض لما سمى ذلك البعض والبعض الآخر بهذه الاسماء

وأنا أقول انه ليس فى الارض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا آنق ولا ألذ فى الاسماع ولا أشدّ اتصالا بالعقول السليمة ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الاعراب الفصحاء العقلاء والعلماء البلغاء . وقد أصاب القوم فى عامة ماوصفوا الا أنى أزعم أن سخيف الالفاظ مشاكل لسخيف المعانى . وقد يحتاج الى السخيف فى بعض المواضع وربما أمتع بأكثر من امتاع الجزل الفخم ومن الالفاظ الشريفة الكريمة المعانى . كما أن النادرة الباردة جدًّا قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدًّا . وإنما الكرب الذى يختم على القلوب ويأخذ بالانفاس النادرة الفاترة التى لاهى حارة ولا هى باردة . وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط . وإنما الشأن فى الحارّ جدًّا والبارد جدًّا . وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول : والله لفلان أثقل من مغن وسط وأبغض من ظريف وسط . ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الاعراب فاياك وأن تحكيها الا مع اعرابها ومخارج ألفاظها . فانك ان غيرتها بان تلحن فى اعرابها وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجتَ من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوامّ وملحة من ملح الحشوة والطغام فاياك وأن تستعمل فيها الاعراب أو أن تتخير لها لفظا حسنا أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذى أريدت له ويذهب استطابتهم اياها واستملاحهم لها

ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتقعيب والتشديق والتمطيط والجهورة والتفخيم . وأقبح من ذلك لحن الاعاريب النازلين على طرق السابلة وبقرب مجامع الاسواق . ولاهل المدينة ألسنة ذلقة والفاظ حسنة وعبارة جيدة واللحن فى عوامهم فاش وعلى من لم ينظر فى النحو منهم غالب واللحن . من الجوارى

١ تلقاعة : كثير الكلام ، ولهع الرجل فى الكلام : تشدق

الظراف ومن الكواعب النواهد ومن الشواب الملاح ومن ذوات الخدور الغرائر أيسر وربما استملح الرجل ذلك منهن مالم تكن الجارية صاحبة تكلف ولكن اذا كان اللحن على سجية سكان البلد . وكما يستملحون اللثغاء اذا كانت حديثة السن ومقدودة مجدولة فاذا أسنت واكتهلت تغير ذلك الاستملاح وربما كان اسم الجارية غليّم وصبية وما أشبه ذلك فاذا صارت كهلة جزلة وعجوزاً شهلة وحملت اللحم وتراكم عليها الشحم وصار بنوها رجالا وبناتها نساء فما أقبح حينئذ أن يقال لها يا غليم كيف أصبحت ويا صبية كيف أمسيت . ولامر ما كنت العرب البنات فقالوا فعلت أم الفضل وقالت أم عمرو وذهبت أم حكيم . نعم حتى دعاهم ذلك الى التقدم فى تلك الكنى . وقد فسرنا ذلك كله فى (كتاب الاسماء والكنى والالقاب والانباز) . وقد قال مالك بن أسماء فى استملاح اللحن من بعض نسائه :

أَمُغَطًّى مِنّي على بَصَرٍ لِلْـ ـحُبِّ أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ النّاسِ حُسْنَا

وحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هو مِمّا يَنْعَتُ النّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنَا

مَنْطِقٌ صائِبٌ وتَلْحَنُ أحيا نًا وأَحْلَى الحَدِيثِ ما كانَ لَحْنَا

وهم يمدحون الحذق والرفق والتخلص الى حبات القلوب والى اصابة عيون المعانى . ويقولون أصاب الهدف اذا أصاب الحق فى الجملة . ويقولون قرطس فلان وأصاب القرطاس اذا كان أجود اصابة من الاول . فان قالوا رمى فاصاب الغرة وأصاب عين القرطاس فهو الذى ليس فوقه أحد . ومن ذلك قولهم فلان يفل الحز ويصيب المفصل ويضع الهناء مواضع النقب . وقال زرارة بن جزء حين أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتكلم عنده ورفع حاجته اليه :

أَتَيْتُ أَبا حَفْصٍ ولا يَسْتَطِيعُهُ مِنَ النّاسِ الاّ كالسِّنانِ طَرِيرُ

فَوَفَّقَنِي الرَّحْمٰنُ لَمّا لَقِيتُهُ ولِلْبابِ مِنْ دُونِ الخُصومِ صَرِيرُ

قُرُومٌ غَيارَى عِنْدَ بابٍ مُمَنَّعٍ تُنازِعُ مُلْكًا يَهْتَدِي وتَجُورُ

فَقُلْتُ لَهُ قَوْلاً أَصابَ فُؤادَهُ وبَعْضُ كلامِ القائِلِينَ غُرُورُ

وفى شبيه ذلك يقول عبد الرحمن بن حسان حيث يقول :

رِجالٌ أصِحّاءُ الجُلودِ مِن الخَنا وأَلسِنَةٌ مَعرُوفَةٌ أينَ تَذهَبُ

وفى اصابة فص الشيء وعينه يقول ذو الرُّمة فى مدح بلال بن أبى بردة الاشعرى :

تُناخي عِندَ خَيرِ فتًى يَمانٍ إذا النَّكباءُ عارَضَتِ الشَّمالا

وخَيرِهِم مآثِرَ أهلِ بَيتٍ وأكرَمِهِم وإنْ كَرُمُوا فَعالا

وأبعَدِهِم مَسافَةَ غَورِ عَقلٍ اذا ما الأمرُ في الشُّبُهاتِ غالا (١)

ولَبسَ بينَ أقوامٍ فكُلٌّ أعَدَّ لهُ الشَّغازِبَ والمِحالا (٢)

وكُلُّهمُ ألَدُّ لهُ كِظاظٌ (٣) أعَدَّ لِكُلِّ حالِ القَومِ حالا

فَصَلْتَ بِحِكمَةٍ فأصَبْتَ منها (٤) فُصُوصَ الحَقِّ فانفَصَلَ انفِصالا

وكان أبو سعيد الراى وهو شرشير المدنى يعيب أبا حنيفة فقال الشاعر :

عِندِي مَسائِلُ لا شِرشِيرُ يُحسِنُها عِندَ السُّؤالِ ولا أصحابُ شِرشِيرِ

ولا يُصِيبُ فُصُوصَ الحَقِّ تَعلَمُه الاّ حَنِيفيَّةٌ كُوفِيَّةُ الدُّورِ

ومما قالوا فى الايجاز و بلوغ المعانى بالالفاظ اليسيرة قال ثابت بن قطنة :

مازِلتُ بَعدَكَ فى هَمٍّ يَجِيشُ بهِ صَدرِي وفي نَصَبٍ قد كادَ يُبلِينِي

انِّى تَذَكَّرتُ قَتلَى لو شَهِدتُهُمُ في غَمرَةِ المَوتِ لَمْ يَصلَوا بها دُونِي

لا أُكثِرُ القَولَ فِيما يَهضِبُونَ بهِ (٥) مِنَ الكَلامِ قَلِيلٌ منه يَكفِينِي

وقال رجل من طيء ومدح كلام رجل فقال : هذا كلام يكتفى باولاه و يشتفى باخراه . وقال أبو وجرة السعدى من سعد بن بكر يصف كلام رجل :

يَكفِي قَلِيلُ كَلامِهِ وكَثِيرُهُ ثَبتٌ اذا طالَ النِّضالُ مُصِيبُ

---

١ فى ديوان ذى الرمة وفى مادة سوف من أساس البلاغة « اذا ما الامر ذو الشبهات عالا » ٢ فى ديوانه « الشغارب » جمع شغربية ، والشغربية والشغزبية اعتقال المصارع رجله برجل خصمه وصرعه اياه بهذه الحيلة . والمحال : الكيد والحيلة ٣ فى ديوانه « أخو كظاظ » والكظاظ : الممارسة الشديدة فى الحرب ٤ فى ديوانه « قضيت بمره فأصبت منه » ٥ يسحون به سحا

ومن كلامهم الموجز فى أشعارهم قول العكلى فى صفة قوس :

فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنُوعُ　　مُوثَقَةٌ صَابِرَةٌ جَزُوعُ

وقال الآخر ووصف سهم رام أصاب حمارا فقال :

حَتَّى نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وما نَجَا

وقال الآخر وهو يصف ذئبا :

أَطْلَسُ يُخْفِي شَخْصَهُ غُبَارُهُ　　فى شِدْقِهِ شَفْرَتُهُ ونَارُهُ

وَهْوَ الْخَبِيثُ عَيْنُهُ فَرَارُهُ　　بَهْمُ بَنِي مُحَارِبٍ مُزْدَارُهُ(١)

ووصف الآخر ناقة فقال :

خَرْقَاءُ إلا أَنَّهَا صَنَاعُ

وقال الآخر ووصف سهما صادراً :

أَلْقَى عَلَى مَفْطُوحِهَا مَفْطُوحَا　　غَادَرَ دَاءً وَنَجَا صَحِيحَا

المفطوح الاول للقوس وهو العريض وهو هاهنا موضع مقبض القوس . والمفطوح الثانى السهم العريض . يعنى أنه ألقى على مقبض القوس سهما عريضا . وقال الآخر :

إنَّكَ يا ابْنَ جَعْفَرٍ لا تُفْلِحُ　　اللَّيْلُ أَخْفَى والنَّهَارُ أَفْضَحُ

وقالوا فى المثل « الليل أخفى للويل » . وقال رؤبة يصف حمارا :

حَشْرَجَ فى الْجَوْفِ سَحِيلاً أَوْ شَهَقْ　　حتى يُقَالَ نَاهِقٌ وما نَهَقْ

الحشرجة صوت الصدر . والسحيل صوت الحمار اذا مده . والشهيق أن يقطع الصوت

وقال بعض ولد العباس بن مرداس السلمى فى فرس أبى الاعور السلمى :

جاءَ كَلَمْحِ الْبَرْقِ جَاشَ نَاظِرُهْ　　يَسْبَحُ أُولاهُ وَيَطْفُو آخِرُهْ

فَمَا يَمَسُّ الأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهْ

---

(١) اسم مفعول من « ازداره » بمعنى « زاره »

قوله جاش ناظره أى جاش بمائه . وناظر البرق سحابه . يسبح يعنى يمد ضبعيه فاذا مدهما علا كفله . وقال الآخر :

إِنْ سَرَّكَ الأَهْوَنُ فابْدَأْ بالاشَدّْ

وقال العجاج :

يُمكّنُ السيْفَ إذا الرُّمْحُ انأَطَرْ[١] مِنْ هامَةِ اللَّيْثِ إذ اللَّيْثُ هتَرْ

كجَمَلِ البَحْرِ اذا خاضَ جَسَرْ غَوارِبَ اليَمِّ اذا اليَمُّ هَدَرْ

حتى يقالَ جاسِرٌ وما جَسَرْ

اليمّ معظم الماء . وغوارب اليم معظمه . جسر قطع . ومنه قيل للجسر جسر لان الناس يقطعون عليه . وقوله حتى يقال جاسر وما جسر أى قطع الامر وهو بعد فيه لما يرون من مضائه فيه وقدرته عليه . وقال الآخر :

يادارُ قدْ غيّرَها بِلاها كانّما بِقَلَمٍ مَحاها

أَخْرَبها عُمْرانُ مَنْ بَناها وكَرُّ مُمْساها على مَغْناها

وطَفِقَتْ سَحابَةٌ تَغْشاها تَبْكى على عِراصِها عيْناها

قوله أخربها عمران من بناها يقول عمرها بالخراب . وأصل العمران ماخوذ من العمر وهو البقاء فاذا بقى الرجل فى داره فقد عمرها . فيقول إنّ مدة بقائه فيها أبلت منها لان الايام مؤثرة فى الاشياء بالنقص والبلاء . فلما بقى الخراب فيها وقام مقام العمران فى غيرها سمى بالعمران . وقال غيره :

ياعَجَّلَ الرَّحمٰنُ بالعَذابِ لِعامِراتِ البَيْتِ بالخَرابِ

يعنى الفار . يقول هذا عمرانها ، كما يقول الرجل ما نرى من خيرك ورفدك الا ما يبلغنا من خطبك علينا وفتك فى أعضادنا . وقال الله عز وجل « هذا نزلهم يوم الدين » والعذاب لايكون نزلا ولكنه لما أقام العذاب لهم فى موضع النعيم لغيرهم سمى باسمه . وقال الآخر :

فقُلْتُ أَطْعِمْني عُمَيْرُ تَمْرا فكانَ تَمرِى كَهْرَةً وزَبْرا[٢]

---

١ انثنى ٢ الكهر : القهر والانتهار . وزبره زبراً : رماه بالحجارة

والتمر لا يكون كهرة وزبراً ولـكنه على ذا . وقال الله عز وجل « ولهم رزقهم فيهـا بكرة وعشـيا » وليس فى الجنـة بكرة ولا عشى ولـكن على مقـدار البكـر والعشـيات . وعلى هـذا قول الله عز وجـل « وقال الذين فى النار لخزنة جهنم » والخزنة الحفظة وجهنم لا يضيع منها شىء فيحفظ ولا يختار دخولها إنسان فيمنع منها ولكن لما قامت الملائـكة مقام الحافظ الخازن سميت به . قوله ممساها يعنى مساءها . ومغناها موضعها الذى أقيم فيه . والمغانى المنازل التى كان بها أهلوها . وطفقت يعنى ظلت . تبكى على عراصـها عيناها يقال لـكل جـوبة ١ منـفتـقة ليس فيهـا بناء « عرصـه » . عيناها هاهنا للسحاب وجعـل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشىء باسم غيره اذا قام مقامه . وقال أبو عمرو بن العلاء اجتمع ثلاثة من الرّواة فقال لهم قائل : أى نصف بيت شعر أحكم وأوجز . فقال أحدهم قول حميد بن ثور الهلالى :

وَحَسبُكَ داءً أَنْ تَصِحَّ وتَسلَما

ولعل حميدا أخذه عن النمر بن تواب ، قال النمر :

يُحبُّ الفتَى طُولَ السَّلامةِ والغِنَى  فَكَيفَ تَرَى طُولَ السَّلامَةِ يَفعَلُ

وقال أبو العتاهية :

أسرَعُ فى نَقصِ أَمرٍ تَمَامُه

ذهب الى كلام الاول « كلُّ ماأقام شَخَص . وكلّ ماازداد نَقَص » و « لوكان الناس يُميتهم الداء إذن لأعاشهم الدواء »

وقال الثانى من الرواة الثلاثة بل قول أبى خراش الهذلى :

نُوَكّلُ بالادْنَي وانْ جلَّ مايَمضِى

وقال الثالث بل قول أبى ذؤيب الهذلى :

واذا تُرَدُّ الى قَليلٍ تَقنَعُ

فقال قائل : هذا من مفاخر هذيل أن يكون ثلاثة من الرواة لم يصيبوا فى جميع أشـعار العرب الا ثلاثة أنصاف اثنان منها لهذيل وحدها . فقيل لهذا القائل : انمـا كان الشرط أن يأتوا بثلاثة أنصاف مستغنيات بانفسها . والنصف الذى لابى ذؤيب

---

١ فضاء أملس بين أرضين

لا يستغنى بنفسه ولا يفهم السامع معنى هذا النصف حتى يكون موصولا بالنصف الاول ، لانك اذا أنشدت رجلا لم يسمع بالنصف الاول وسمع « واذا تُردّ الى قليل تَقنعُ » قال ومن هذه التى ترد الى قليل فتقنع . وليس المضمن كالمطلق . وليس هذا النصف مما رواه هذا العالم وانما الرواية قوله :

وَالدَّهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مَنْ يَجزَعُ

ومما مدحوا به الايجاز والكلام الذى كالوحى والاشارة قولُ أبى دؤاد بن جرير الايادى :

يَرْمُونَ بِالخُطَبِ الطِّوالِ وتارَةً  وَحْيَ المَلاحِظِ خِيفَةَ الرُّقَباءِ (١)

فمدح كما ترى الاطالة فى موضعها والحذف فى موضعه

ومما يدل على شغفهم وكلفهم وشدة حبهم للفهم والافهام قولُ الاسدى فى صفة كلام رجل نعت له موضعا — من تلك السباسب التى لا أمارة فيها — بأقل اللفظ وأوجزه ، فوصف ايجاز الناعت وسرعة فهم المنعوت له فقال :

بِضَرْبَةِ نَعْتٍ لم تُعَدْ غَيرَ أنَّنِى  عَقُولٌ لأوْصافِ الرِّجالِ ذَكُورُها

وهو كقولهم لابن عباس : أنى لك هذا العلم . قال : قلب عقول ولسان سؤول . وقد قال الراجز :

ومَهْمَهَينِ فَدْفَدَينِ مَرْتَيْنْ (٢)  جُبْتُهُما بِالنَّعْتِ لا بِالنَّعْتَيْنْ

وقالوا فى التحذير من مِيسم (٣) الشعر ومن شدة وقع اللسان ومن بقاء أثره على الممدوح والمهجوّ . قال امرؤ القيس بن حُجْر :

ولَوْ عَنْ نَثا (٤) غَيْرِهِ جاءَنِى  وجُرْحُ اللِّسانِ كَجُرْحِ اليَدِ

وقال طرفة :

بِحُسامِ سَيفِكَ أو لِسانِكَ والـ  ـكَلِمُ الأصِيلُ كَأرْغَبِ الكَلْمِ (٥)

قال وأنشدنى محمد بن زياد :

---

١ سبق فى ص ٢٦ من هذا الجزء ٢ المهمه : المفازة البعيدة . والفدفد : الفلاة . والمرت : المفازة بلا نبات ٣ الميسم : المكواة . سميت به لانه توسم به الابل وغيرها ٤ النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سئ ٥ الكلم « بكسر أوله وسكون ثانيه » : الجرح . ورغب الشئ « بضم الغين » : اتسع . والمعنى أن الكلام الاصيل أوسع خرقا فى الجلد من الجرح الواسع

لحوتْ شَمّاساً كماتلحى (١) العِصِيّْ ... سبا لو انَّ السبَّ يُدْمِي لَدَمِي
مِنْ نَفَرٍ كلُّهمُ نِكْسٌ (٢) دَنِيّْ ... مَحامِدُ الرَّذْلِ مَشاتِيمُ السَّرِيّْ
مَخابِطُ العِكْمِ (٣) مواديعُ المَطِيّْ ... مَتارِكُ الرَّفِيقِ بالخَرْقِ النَّطِيّْ (٤)

وأنشد محمد بن زياد :

تَمَنَّى أبو العَفَّاقِ عِنْدِيَ هَجْمَةً ... تُسَهِّلُ مأْوَى لَيْلِها بالكَلاكِلِ
ولا عَقْلَ عندى غيرُ طَعْنٍ نَوافِذٍ ... وضَرْبٍ كأَشْداقِ الفِصالِ الهَوادِلِ
وَسَبٍّ يَوَدُّ المَرْءُ لو ماتَ قَبْلَهُ ... كَصَدْعِ الصَّفا فَلَّقْتَهُ بالمَعاوِلِ

الهجمة القطعة من النوق فيها فحل . والكلكل الصدر . والفصال جمع فصيل والفصيل ولد الناقة اذا فصل عنها . والهوادل العظام المشافر . والعقل هاهنا الدية . والعاقلة أهل القاتل الادنون والابعدون . والصفا جمع صفاة وهى الصخرة

وقال طرفة :

رَأَيْتُ القَوافِي يَتَّلِجْنَ مَوالِجاً (٥) ... تَضايَقُ عنها أنْ تَوَلَّجَها الابَرْ

وقال الاخطل :

حَتَّى أقَرُّوا وَهُمْ مِنِّي عَلَى مَضَضٍ (٦) ... والقَوْلُ يَنْفُذُ مالا تَنْفُذُ الابَرْ

وقال العمانى :

اِذْ هُنَّ فى الرَّيْطِ وفي المَوادِعِ ... تَرْمِي اليَهِنَّ كَبِذْرِ الزَّارِعِ

الريط الثياب واحدها ريطة . والريطة كل مُلاءة لم تكن لفقين . والحُلة لاتكون الا ثوبين . والموادع الثياب التى تصون غيرها واحدها ميدعة

وقالوا : الحرب أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى . وكتب نصر بن سيار الى ابن هبيرة أيام تحرك أمير السواد بخراسان :

---

١ تقشر ٢ الضعيف الدنئ الذين لاخير فيه ٣ خ : مخابط العكم . المخبط : الابرة . والمخبط : العصا . والعكم « بكسر أوله » : العدل « بكسر العين » . والعكم « بفتح أوله » : داخل الجنب ٤ الخرق : القفر . والنطى : البعيد ٥ القوافى : القصائد . يتلجن : يدخلن . موالجا : مداخلا ٦ وجع المصيبة

أرَى خَلَلَ الرَّمادِ وَمِيضَ جَمْرٍ … فَيُوشِكُ أنْ يَكُونَ لَهُ اضْطِرامُ
فَإنَّ النّارَ بالعُودَيْنِ تُذْكَى (١) … وإنَّ الحَرْبَ أوَّلُها كَلامُ
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي … أأيْقاظٌ أُمَيَّةُ أمْ نِيامُ
فَإنْ كانُوا لِحِينِهِم نِياماً … فَقُلْ قُومُوا فَقَدْ حانَ القِيامُ

وقال بعض المولدين :

اذا نِلتُ العَطِيَّةَ بَعْدَ مَطْلٍ … فلا كانَتْ وإنْ كانَتْ جَزِيلَه
وَسُقْياً للمَطِيَّةِ ثُمَّ سُقْيا … اذا سَهُلَتْ وإنْ كانَتْ قَلِيلَه
وللشُّعَراءِ ألْسِنَةٌ حِدادٌ … عَلَى العَوْراتِ مُوفِيَةٌ دَلِيلَه
ومِنْ عَقْلِ الكَرِيمِ اذا اتَّقاهُمْ … وداراهُمْ مُداراةً جَمِيلَهْ
اذا وَضَعُوا مَكادِيَهُمْ (٢) عَلَيْهِ … وإنْ كَذَبُوا فلَيْسَ لَهُنَّ حِيلَهْ

وقالوا « مذاكرة الرجال تلقيح لالبابها » ٣ ومما قالوا فى صفة اللسان قول الاسدى. أنشدنيها ابن الاعرابى :

وأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ للنّائِباتِ … عِرْضاً بَرِيئاً وَعَضْباً صَقِيلا
ووقْعَ لِسانٍ كَحَدِّ السِّنانِ … ورُمْحاً طَوِيلَ القَناةِ عَسُولا

وقال الاعشى :

أُدافِعُ عَنْ أعْراضِكُمْ وأُعِيرُكُمْ … لِساناً كَمِقْراضِ الخَفاجِيِّ مِلْحَبا

الملحب القاطع . وقال ابن هرمة :

قُلْ لِلَّذِي ظَلَّ ذا لَوْنَيْنِ يَأْكُلُنِي … لَقَدْ خَلَوْتَ بِلَحْمٍ عادِمِ البَشَمِ (٤)
إيّاكَ لا أُلْزِمَنْ لَحْيَيْكَ مِنْ لُجُمٍ … نَكَلاً (٥) يُنَكِّلُ قَرّاصاً مِنَ اللُّجُمِ

١ يشتد لهبها ٢ خ : مكاذبهم ٣ هذا من كلام أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله « راجع ص ٦٤ من سيرته المطبوعة فى القاهرة » ٤ البشم : التخمة ٥ النكل : حديدة اللجام

إني امرؤ لا أصوغ الحلى تعمله كفاى لكن لساني صائغ الكلم

وقال الراجز:

إني بغيت الشعر وابتغاني حتى وجدت الشعر في مكاني

في عيبة مفتاحها لساني

وأنشد:

إني وإن كان إزارى خلقا وبرتكاني سملا قد أخلقا(١)

قد جعل الله لساني مطلقا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عثمان: والعتابى – حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ – لم يعن أن كل من أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف من حقه أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان، بعد أن نكون قد فهمنا عنه معنى كلام النبطى الذى قيل له: لم اشتريت هذه الاتان، قال «أركبها وتلد لى» ٢ وقد علمنا أن معناه كان صحيحا. وقد فهمنا قول الشيخ الفارسى حين قال لاهل مجلسه «ما من شر من دبن» وأنه قال حين قيل له: ولم ذاك ياأبا فلان، قال «من جرى يتعلقون» وما نشك أنه قد ذهب مذهبا. وأنه كما قال معنى قول أبى الجهير الخراسانى النخاس حين قال له الحجاج: أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان. قال «شريكاتنا فى هوازها وشريكاتنا فى مداينها وكما تجىء تكون» قال الحجاج: ماتقول ويلك. فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك: يقول شركاؤنا بالاهواز والمدائن يبعثون الينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها. وقلت لخادم لى: فى أى صناعة أسلم هذا الغلام. قال «أصحاب سند نعال» يريد فى أصحاب النعال السندية. وكذلك قول الكاتب المغلاق للكاتب الذى دونه «اكتب لى قل حطين وريحنى منه»

فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللكنة

١ برتك الرجل الثوب: مزقه. وفى نسخة «وردائى». والسمل الثوب الخلق ٢ راجع ص ٤٢ من هذا الجزء قبل باب البيان

والخطا والصواب والاغـلاق والابانة والملحون والمعرب كله سواء وكله بيانا . وكيف يكون ذلك كله بيـانا ولولا طول مخالطـة السامع للعجم وسماعه للفاسـد من الكلام لمـا عرفه . ونحن لم نفهم عنـه الا للنقص الذى فينا . وأهـل هذه اللغـة وأرباب هذا البيان لايستدلون على معانى هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رطانة الرومى والصقلبي . وان كان هـذا الاسم انمـا يستحقونه بانا نفهم عنهـم كثيرا من حوائجهم فنحن قد نفهم من حمحمة الفرس كثيرا من حاجاته ونفهم بضغاء [١] السنّور كثيرا من ارادته . وكذلك الكلب والحمار والصبي الرضيع . وانمـا عنى العتابى افهامك العرب حاجتك على مجرى كلام الفصحاء . وأصحاب هذه اللغة لا يفقهون قول القائل منا :

((مُكْرَهٌ أخاكَ لا بَطَلْ)) و ((اذا عَزَّ أخاكَ فهُنْ))

ومن لم يفهم هـذا لم يفهم قولهم « ذهبت الى أبو زيد » و « رأيت أبى عمرو » ومتى وجد النحويون أعرابيا يفهم هذا وأشباهه بهرجوه [٢] ولم يسمعوا منه لان ذلك يدل على طول اقامته فى الدار التى تفسد اللغة وتنقص البيان . لان تلك اللغـة انمـا انقادت واستوت واطردت وتكاملت بالخصال التى اجتمعت لها فى تلك الجزيرة وفى تلك الجيرة . ولفقد الخطأ من جميع الامم . ولقد كان بين يزيد بن كثوة يوم قدم علينا البصرة و بينه يوم مات بون بعيـد . على أنه قد كان وضع منزله فى آخر موضع الفصاحة وأول موضع العجمة . وكان لا ينفك من رواة ومذاكرين . وزعم أصحابنا البصريون عن أبى عمرو بن العـلاء أنه قال : لم أر قرويّين أفصح من الحسن والحجاج . وكان ما زعموا لا يبرئهما من اللحن . وزعم أبو العاصى أنه لم ير قرويا قط لا يلحن فى حديثه وفيما يجرى بينه و بين الناس الا ما تفقده من أبى زيد النحوى ومن أبى سـعيد المعـلم . وقد روى أصحابنا أن رجلا من البـلديين قال لاعرابى : كيف أهلِك . قالها بكسر اللام . قال : صلبا . لانه أجابه على فهمه ولم يعلم أنه أراد المسألة عن أهـله وعياله . وسمعت ابن بشير ـ وقال له المفضل العنبرى انى عثرت البارحـة بكتاب وقد التقطته وهو عندى وقد ذكروا أن فيـه شعراً فان أردته وهبتـه لك ـ قال ابن بشير : أريده ان كان مقيداً . قال : والله ما أدرى أكان مقيدا أو مغلولا . ولو عرف التقييد لم يلتفت الى روايتـه . وحكى الكسائى أنه قال لغلام بالبادية : من خلقك ـ وجزم القاف ـ فلم يدر ما قال ولم يجبه . فرد عليـه السؤال . فقال الغلام :

---

١) صياح ٢) البهرج : الباطل . وبهرج الدرهم اذا كان زائفا

لعلك تريد من خلقك . وكان بعض الاعراب اذا سمع رجلا يقول « نعم » فى الجواب قال « نعم وشاء » لان لغته « نِعم » . وقيل لعمر بن لجاء : قل « انا من المجرمون منتقمين » قال « انا من المجرمين منتقمون » . وأنشد الكسائى كلاما دار بينه و بين بعض فتيان البادية فقال :

عَجَبًا ماعَجَبٌ أَعْجَبَنِي مِنْ غُلام حَكَمِيٍّ أُصُلَا
قُلْتُ هَلْ أَحْسَسْتَ رَكْبًا نَزَلُوا حِضْنًا مادُونَهُ قالَ هَلَا (١)
قلتُ بَيِّنْ ماهَلَا هَلْ نَزَلُوا قالَ حُوبًا (٢) ثُمَّ وَلَّى عَجِلَا
لَسْتُ أَدْرِي عِنْدَها ماقالَ لِى أَنَعَمْ ما قالَ لِي أَمْ قالَ لا
تِلْكَ مِنْهُ لُغَةٌ تُعْجِبُنِى زادَتِ القَلْبَ خَبالا خَبَلا

قال أبو الحسن قال مولى زياد لزياد « أهدوا لنا همار وهش » قال أى شىء تقول ويلك. قال « أهدوا لنا أَيْرا » يريد « أهدوا لنا عيرا » قال زياد ويلك الاول خير ٣ . وقال الشاعر يذكر جارية له لكناء ٣ :

أَوَّلُ ماأَسْمَعُ مِنْها فى السَّحَرْ تَذْكِيرُها الأُنثى وتَأْنِيثُ الذَّكَرْ
والسَّوْأَةُ السَّوْآءُ فى ذِكْرِ القَمَرْ

فزياد قد فهم عن مولاه وصاحب الجارية قد فهم عن جاريته . ولكنهما لم يفهما عنهما من افهامها لهما . ولكنهما لما طال مقامهما فى الموضع الذى يكثر فيه سماعهما لهذا الضرب صارا يفهمان هذا الضرب من الكلام

---

١ حضن الانسان : مادون ابطه الى كشحه . وأحضن الارض نواحيها . وحضن الجبل أصله . وحضن الشىء جانبه ٢ الحوب : الاثم والهلاك والبلاء والمرض ٣ سبق هذا فى ص ٤١ من هذا الجزء

## ﴿ ذكر ماقالوا فى مديح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنثور ﴾

### ماجاء فى الاثر وصح به الخبر

قال الشاعر :

أرى النّاسَ فِى الأخلاقِ أهلَ تَخَلُّقٍ ... وأخبارُهُمْ شتّى فَعُرْفٌ ومُنْكَرُ
قَرِيباً تَدانيهِمْ اذا مارأيتَهُمْ ... ومُخْتَلِفاً مابَيْنَهُمْ حِينَ تَخْبُرُ
فلا تحْمَدَنَّ الدَّهرَ ظاهِرَ صفْحةٍ ... مِنَ المَرْءِ مالَمْ تَبْلُ مالَيْسَ يَظْهَرُ
فما المَرْءُ الا الأصْغَرانِ لِسانُهُ ... ومَعْقُولُهُ والجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ
وما الزَّيْنُ فى ثَوْبٍ تَراهُ وانما ... يَزِينُ الفَتَى مَخْبُورُهُ حِينَ يُخْبَرُ
فانْ طُرَّةٌ رَاقَتْكَ مِنْهُمْ فَرُبَّما ... أَمَرَّ مَذاقُ العودِ والعُودُ أخْضَرُ

وقال سويد بن أبى كاهل فى ذلك :

وَدَعَتْنِى بِرُقاها انّها ... تُنْزِلُ الأعْصَمَ مِنْ رَأْسِ اليَفَعْ(١)
تُسْمِعُ الحُدَّاثَ قَوْلاً حَسَناً ... لَوْ أرادُوا غَيْرَهُ لَمْ يُسْتَطَعْ
ولِساناً صَيْرَفِيّاً صارِماً ... كَحُسامِ السَّيْفِ مامَسَّ قَطَعْ

وقال جرير :

ولَيْسَ لِسَيْفِي فى العِظامِ بَقِيَّةٌ ... ولا السيْفُ أشْوَى وقْعةً منْ لِسانِيا

وقال الآخر :

وجُرْحُ السَّيْفِ تَدمُلُهُ فيَبْرَى ... ويَبْقَى الدَّهْرَ ماجَرَحَ اللِّسانُ

وقال الآخر :

أبا ضبيعةَ لاتَعْجَلْ بِسَيِّئةٍ ... الى ابْنِ عَمِّكَ واذْكُرْهُ باحسانِ

١ الرق : جمع الرقية وهى العوذة • والاعصم من الظباء والوعول : ما فى ذراعيه أوفى أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر • واليفع واليفاع : التل المشرف والارض المرتفعة

إنّي وإن كُنتُ أثوابي ملفقة (١) … ليست بخزّ ولا من حرّ (٢) كتّانِ
فإنّ في المجدِ همّاتي وفي لغتي … علويّةٌ ولساني غيرُ لحّانِ

وفيما مدحوا به الاعرابيّ اذا كان أديبا أنشدني ابن أبي خزيمة واسمه أسود :

ألا زَعَمَتْ عفراءُ بالشّامِ أنّني … غلامُ جوارٍ لا غلامُ حروبِ
وانّي لأهدى بالأوانسِ كالدُّمى (٣) … وانّي بأطرافِ القنا للعوبُ
واني على ما كانَ مِنْ عُنجُهيّتي (٤) … ولوثةِ (٥) أعرابيّتي لأديبُ

وقال ابن هرمة :

للهِ درُّكَ مِنْ فتًى فجعتْ به … يومَ البقيعِ حوادثُ الأيّامِ
هشٌّ اذا نزلَ الوفودُ ببابهِ … سهلُ الحجابِ مؤدَّبُ الخُدّامِ
فاذا رأيتَ شقيقَهُ وصديقَهُ … لَمْ تدرِ أيّهما أخو الأرحامِ

وقال كعب بن سعد الغنوي :

حبيبٌ الى الزُّوّارِ غشيانُ (٦) بيتِهِ … جميلُ المحيّا شبَّ وهوَ أديبُ
اذا ما تراآهُ الرِّجالُ تحفّظوا … فلمْ تنطقِ العوراءُ وهوَ قريبُ

وقال الحارثي :

وتعلمُ أنّي ماجدٌ وتروعُها … بقيّةُ أعرابيّةٍ في مُهاجرِ

وقال الآخر :

وانّ امرءًا في النّاسِ يُعطي ظُلامةً … ويمنعُ نصفَ الحقِّ منه لراضعُ
أألموتَ يخشى أثكلَ اللهُ أمّهُ … أم العيشَ يرجو نفعهُ وهوَ ضائعُ

---

١ خ : أما تراني وأثوابي مقاربة ٢ خ : من خز . وخ : من نسج ٣ جمع دمية وهي الصورة المنقشة المزينة فيها حمرة كالدم وقد تكون من الرخام أو العاج ٤ الجفاء والعظمة والكبر والخشونة في المطعم وغيره وكل هذا من لوازم البداوة ٥ الحماقة ٦ اتيان

ويطعَم ما لَم يَندَفِع في مَريئِه (١) ويَمسَحُ أعلى بَطنِه وهوَ جائعُ
وإنّ العقولَ فاعلمنّ أسنّةٌ حدادُ النواحي أرهفتها المواقعُ

ويقولون كأن لسانه لسان ثور . وحدثني من سمع أعرابيا مدح رجلا برقة اللسان فقال كان والله لسانه أرق من ورقة وألين من سرقة ٢ . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ما بقي من لسانك . فاخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته ثم قال : والله ما يسرني به مقول من معدّ والله لو أن وضعته على صخر لفلقه أو على شعر لحلقه ٣ . قال وسمعت أعرابيا يصف لسان رجل فقال كان يشول بلسانه شولان البروق ويتخال به تخال الحية . وأظن هذا الاعرابى أبا وجيه العكلى

يشول يرفع . البروق الناقة اذا طلبت الفحل فانها حينئذ ترفع ذنبها

وإنما سمى شوّال شوّالا لان النوق شالت باذنابها فيه . فان قال قائل قد يتفق أن يكون شوّال فى وقت لا تشول الناقة بذنبها فيه فلم بقى هذا الاسم عليه وقد ينتقل ماله لزم عنه . قيل له انما جعل هذا الاسم له سمة حيث اتفق أن شالت النوق باذنابها فيه فبقى عليه كالسمة . وكذلك رمضان إنما سمى لرمض ٤ الماء فيه فى شدة الحر فبقى عليه فى البرد . وكذلك ربيع انما سمى لرعيهم الربيع فيه وان كان قد يتفق هذا الاسم فى وقت البرد والحر

قال ووصف أعرابىّ رجلا فقال أتيناه فاخرج لسانه كانه مخراق ٥ لاعب . قال وقال العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله عليه وسلم : يارسول الله فيم الجمال. قال : فى اللسان . قال وكان مجاشع بن دارم خطيبا سليطا وكان نهشل بكيئا منزورا ٦. فلما خرجا من عند بعض الملوك عذله مجاشع فى تركه الكلام . فقال له نهشل : انى والله لاأحسن تكذابك ولا تأثامك ، تشول بلسانك شولان البروق . وقالوا : أعلى جميع الخلق مرتبة الملائكة ثم الانس ثم الجن . وانما صار لهؤلاء المزية على جميع الخلق بالعقل وبالاستطاعة على التصرف وبالمنطق . قال وقال خالد بن صفوان : ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة . قال وقال رجل لخالد بن صفوان : مالى اذا رأيتكم تتذاكرون الاخبار وتتدارسون الآثار وتتناشدون الاشعار وقع علىّ النوم . قال : لانك حمار فى مسلاخ ٧ انسان . وقال صاحب المنطق . حد

١ رأس المعدة والكرش اللاصق بالحلقوم ٢ الشقة من الحرير الابيض ٣ سبق هذا فى ص ٣٦ من هذا الجزء ٤ رمض الماء سخن واشتد حره . والرمضاء شدة الحر ٥ منديل يلف ليضرب به ٦ البكئ : القليل الكلام . والمنزور : الذى لايعلمك ولا يعطيك الا اذا ألححت عليه فى السؤال ٧ الجلد

الانسان الحيّ الناطق الميت . وقال الاعور الشنى ١ :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم تبق الا صورة اللحم والدم

ولما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر زرى عليه للذى رأى من دمامته وقصره وقلته فقال النعمان : تسمع بالمعيدى لأن تراه . فقال : أبيت اللعن ان الرجل لا تكال بالقفزان ٢ ولا توزن بميزان وليست بمسوك ٣ يستقى بها وانما المرء باصغريه بقلبه ولسانه ان صال صال بجنان وان قال قال ببيان . واليمانية تجعل هذا للصقعب النهدى فان كان ذلك كذلك فقد أقروا أن نهدا من معد . وكان يقال : عقل المرء مدفون بلسانه

# باب فى ذكر اللسان

أبو الحسن قال قال الحسن « لسان العاقل من وراء قلبه فاذا أراد الكلام تفكر ، فان كان له قال وان كان عليه سكت . وقلب الجاهل من وراء لسانه ، فان هم بالكلام تكلم به له أو عليه » قال أبو عبيدة قال أبو الوجيه حدثنى الفرزدق قال : كنا فى ضيافة معاوية بن أبى سفيان ومعنا كعب بن جعيل التغلبي . فقال له يزيد : ان ابن حسان ــ يريد عبد الرحمن ــ قد فضحنا فاهج الانصار . قال أرادّى أنت الى الاشراك بعد الاسلام . لا أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى أدلك على غلام منا نصرانى كأن لسانه لسان ثور يعنى الاخطل ٤ . وقال سعد بن أبى وقاص لعمر ابنه ــ حين نطق مع القوم فبذهم ٥ وقد كانوا كلموه فى الرّضا عنه ــ قال : هذا الذى أغضبنى عليه أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يكون قوم يأكلون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الارض البقرةُ بلسانها » . قال وقال معاوية لعمرو بن العاص « يا عمرو إن أهل العراق قد أكرهوا عليًّا على أبى موسى وأنا وأهل الشام راضون بك وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى فاجد الحزّ وطبق المفصل ولا تلقه برأيك كله » . والعجب من قول ابن الزبير للاعراب « سلاحكم رثّ وحديثكم

١ خ : الشيبى ٢ جمع قفيز وهو مكيال ثمانية مكاكيك والمكوك ثلاث كيلجات والكيلجة من وسبعة أثمان من ، والقفيز من الارض قدر مأة وأربع وأربعين ذراعا ٣ المسك بفتح الميم : الجلد وجمعه مسوك ، والمسك بفتحتين : الموضع يمسك الماء ، وسقاء مسيك : كثير الاخذ للماء ٤ راجع ص ٣٦ من هذا الجزء ٥ غلبهم وفاقهم

غثّ » وكيف يكون هـذا وقد ذكروا أنه أحسن الناس حديثا وأن أبا نضرة وعبد الله بن أبي بكرا انما كانا يحكيانه فلا أدري الا أن يكون حُسن حديثـه هو الذي ألقى الحسد بينه و بين كل حسَن الحديث . وقد ذكروا أن خالد بن صفوان تكلم في بعض الامر فاجابه رجل من أهل المدينة بكلام لم يظن خالد أن الكلام كان عنده فلما طال بهما المجلس كان خالد أعرض له ببعض الامر فقال المدنى : ياأبا صـفوان ما من ذنب الا اتفاق الصـناعتين . ذكر ذلك الاصمعي . قال فضال الازرق قال رجـل من بني منقر : تكلم خالد بن صـفوان في صلح بكلام لم يسمع الناس قبـله مثله ، واذا أعرابي في بث [١] ما في رجليه حذاء فاجابه بكلام وددت والله أني كنت متّ وأن ذلك لم يكن ، فلما رأى خالد ما نزل بي قال : كيف نجاريهم وانما نحكيهم وكيف نسابقهم وانما نجري على ما سبق الينا من أعراقهم [٢] وليفرخ رُوعك [٣] فانه من مقاعس ومقاعس لك . فقلت يا أبا صفوان والله ما ألومك على الاُولى ولا أدع حمدك على الاخرى . قال أبو اليقظان قال عمر بن عبـد العزيز : ما كلمني رجل من بني أسد إلا تمنيت أن يمدّ له في حجته حتى يكثر كلامه فأسمعه . قال وقال يونس : ليس في بني أسد إلا خطيب أو شاعر أو قائف [٤] أو زاجر أو كاهن أو فارس . قال وليس في هُـذَيـل إلا شاعر أو رام أو شديد العَدْو . الترجمان بن هزيم بن عدى ابن أبي طحمة قال : دعي رقبة بن مصـقلة ـ أو كرب بن رقبـة ـ إلى مجلس ليتكلم فيـه ، فرأى مكان أعرابي في شملة ، فانكر موضعه ، فسال الذي عن يمينه عنه ، فخبره أنه الذي أعـدوه لجوابه ، فنهض مسرعا لا يلوى على شيء كراهة أن يجمع بين الديباجتين فيتضع عند الجميع . وقال خلاد بن يزيد : لم يكن أحـد بعد أبي نضر أحسن حـديثا من مسلم بن قتيبـة . قال وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول احـذفوا الحديث كما يحذفه مسلم بن قتيبة . و يزعمون أنهم لم يروا محدثا قط صاحب آثار كان أجود حـذفا وأحسن اختصارا للحديث من سفيان بن عيينـة ، سالوه مرة عن قول طاووس في زكاة الجراد فقال ابنه عنه : زكاته أخذه

*( وباب آخر )* وكانوا يمدحون شـدة العارضة وقوة المنـة وظهور الحجـة وثبـات الجنـان وكـثرة الريق والعـلو على الخصم . و يهجون بخلاف ذلك . قال

---

١ ألبث : أشد الحزن. ٢ جمع عرق « بكسر فسكون » وهو من كل شيء أصـله ٣ أي ليذهب وعبك فان الامر ليس على ما تحاذر ٤ الذي يعرف الآثار والذي يعرف النسب بفراسته ونظره الى أعضاء المولود

الشاعر :

طَباقاءِ (١) لم يَشهَدْ خُصوماً ولم يَعِش حَمِيداً ولم يَشهدْ حِلالا ولا عِطرا

قال أبو زبيد الطائى :

وخَطيبٍ إذا تَموتُ الأوْ جُهُ يوماً فى مأقِطٍ مَشهودُ

طباقاء: يقال للبعير اذا لم يحسن الضراب جمل عياياء وجمل طبقاء وهو هاهنا للرجل الذى لا يتجه للحجة . الحلال الجماعات ويقال حى حلال اذا كانوا متجاورين مقيمين . والعطر هاهنا الحرس . المأقط الموضع الضيق والمأقط الموضع الذى يقتتل فيه . وقال نافع بن خليفة الغنوى :

وخَصمٍ لَدَى بابِ الأَمِيرِ كأنَّهمْ قُرومٌ فَشا فِيها الزَّوائرُ والهَدْرُ

القروم الجمال المصاعب . الزوائر الذين يزأرون . الهدر صوته عند هيجه ويقال له الهدير

دَلَفتُ لَهمْ دُونَ المُنَى بمُلِمَّةٍ (٢) من الدُّرِّ فى أَعقابِ دُرَّتِها شَذْرُ (٣)

دلفت دنوت

إذا القومُ قالوا أَدْنِ مِنها وَجدْتَها مُطبِّقةً يَهماءَ لَيسَ لها خَصْرُ

قوله أدن منها أى قللها واختصرها . وجدتها مطبقة أى طبقتهم بالحجة . اليهماء الأرض التى لا يهتدى فيها الطريق ويهماء هاهنا يعنى التى لا يهتدى اليها ويضل الخصوم عندها والأيهم من الرجال الحائر الذى لا يهتدى لشيء وأرض يهماء اذا لم تكن فيها علامة . وقال الاسلع بن قطاف الطهوى :

فِداءٌ لِقَومِى كلُّ مَعشَرِ جارِمٍ طَرِيدٍ ومَخذُولٍ بِما جرَّ مُسلَمِ

هُمُ أَفحَمُوا الخَصمَ الذِي يَستَقيدُنِي وَهُمْ قَصَموا حِجْلِى (٤) وهم حقَنوا دَمى

بأيدٍ يُفَرِّجنَ المَضِيقَ وأَلسُنٍ سِلاطٍ وجمعٍ ذِي زُهاءٍ عَرَمْرَمِ (٥)

---

١ قال ابن الاثير فى النهاية : هو المطبق عليه حمقا . أو الذى أموره مطبقة عليه . أو الذى يعجز عن الكلام فتنطبق شفتاه ٢ يصف قصيدة أو خطبة له ٣ الشذر : قطع من الذهب . وخرز يفصل به بين الجواهر واللؤلؤ الصغير ٤ الحجل : القيد ٥ لسان سليط : طويل ، والزهاء : الزينة والزخرف ، والعرمرم : الشديد والجيش الكثير

إذا شئتَ لم تعدَمْ لدَى البابِ منهمُ … جميلَ المحيّا واضحاً غيرَ توأمِ

التوأمان الاخوان المولودان فى بطن . وقال التميمى فى ذلك :

أَمَا رأيتَ الألسُنَ السِّلاطا … والجاهَ والإقدامَ والنَّشاطا

إنّ النّدَى حيثُ ترَى الضغاطا (١)

ذهب فى البيت الأخير الى قول الشاعر :

يَسقُطُ الطيرُ حيثُ ينتشرُ الحبُّ … وتُغشَى منازلُ الكُرَماء

والى قول الآخر ٢ :

يرفضُ عنْ بيتِ الفقيرِ ضيوفُهُ … وترَى الغنَى يُهدِي لكَ الزُّوّارا

وأنشد فى المعنى الاول :

وخطيبِ قومٍ قدّموهُ أمامَهمْ … ثِقةً بهِ متخمِّطٍ تيّاحِ

المتخمط المتكبر مع غضب . التياح والمتيح الذى يعرض فى كل شيء ويدخل فيما لا يعنيه

جاوبتُ خطبتَهُ فظلّ كأنّهُ … لمّا خطبتُ مملّحٌ بملاحِ

قوله مملح بملاح أى منقبض كأنه ملح من الملح . وأنشد أيضا :

أرقتُ لضوءِ برقٍ فى نَشاصٍ … تلألأ فى مملأةٍ غِصاصِ

النشاص السحاب الأبيض المرتفع بعضه فوق بعض وليس بمنبسط . والتلألؤ ظهور البرق فى سرعة . مملأة بالماء . غصاص قد غصت بالماء

لواقحُ دُلّحٌ بالماءِ سُحْمٌ … تمجُّ الغيثَ منْ خللِ الخَصاصِ

اللواقح التى قد لقحت من الريح . والدلح الدانية الظاهر المثقلة بالماء . سحم سود . الخصاص هاهنا خلل السحاب :

سلِ الخطباءَ هلْ سبحوا كسَبْحِى … بُحورَ القولِ أوْ غاصوا مغاصِى

لِسانِى بالنّثيرِ وبالقوافِي … وبالأسجاعِ أمهرُ فى الغواصِ

---

١ الضغاط : الزحام ٢ خ : والى قوله

النشير الكلام المنثور . القوافى خواتم أبيات الشعر . الاسجاع الكلام المزدوج على غير وزن

مِنَ الحوتِ الذي فى لُجِّ بَحرٍ يُجيدُ الغَوْصَ في لُجَجِ المَغاصِ
لَعَمْرُكَ انَّنى لأُعفُّ نفسى وأستُرُ بالتَّكرُّمِ من خَصاصِ

وأنشد لرجل من بنى ناشب بن سلمان بن سلامة بن سعد بن مالك بن ثعلبة :

لَنا قَمَرُ السَّماءِ وكلُّ نَجمٍ يُضيءُ لَنا اذا القَمَرانِ غارا
ومَنْ يفْخَرْ بغَيرِ أبى نِزارٍ فَليسَ بأوَّلِ الخُطَباءِ جارا

وأنشد الاقرع :

انّى امرُؤٌ لا أُقيلُ الخصمَ عَثْرَتَهُ عِندَ الأميرِ اذا ما خَصْمُهُ طَلَعا
يُنيرُ وَجهي اذا جَدَّ الخِصامُ بِنا ووَجهُ خَصمِي تَراهُ الدَّهرَ مُلْتفِعا[١]

وأنشد :

تَراهُ بنَصْرِى فى الحَفيظَةِ[٢] واثِقاً وانْ صدَّ عنّى العَينُ منهُ وحاجِبُهُ
وانْ خَطَرَتْ أيْدِى الكُماةِ وجَدْتَني نَصُوراً إذا ما استَيْبَسَ الرِّيقَ عاصِبُهُ

عاصبه يابسه يعتصم به حتى يتم كلامه . الكماة جمع كمى ، والكمى الرجل المتكمى وهو المتكمى بالسلاح بعنى المتكفر به المستتر ، ويقال كمى الرجل شهادته يكمها اذا كتمها وسترها . وقال ابن أحمر وذكر الريق والاعتصام به :

هَـذا الثَّناءُ وأجدِرْ أنْ أُصاحِبَهُ وقَد يُدَوِّمُ[٣] رِيقَ الطَّامعِ الأمَلُ

وقال الزبير بن العوام وهو يرقص ابنه عروة :

أبيَضُ مِن آلِ أبى عَتيقِ مُبارَكٌ مِنْ وَلَدِ الصِّدِّيقِ
أَلَذُّهُ كما أَلَذُ رِيقى

١ التفع بالثوب التحف به ، وفى نسخة ملتمعا ٢ الحفيظة : التقية والغضب فيما يجب أن يحفظ منه واسم من المحافظة للذب عن المحارم عند الحرب ٣ يبل

وقالت امرأة من بنى أسد :

أَلا بَكَرَ النَّاعِى بِخَيْرِ بَنِي أَسَدْ ... بعمْرِو بنِ مَسْعودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

فَمَنْ كانَ يَعْيَ بالجوابِ فانَّهُ ... أبو معقِلٍ لا حَجْرَ عنْهُ ولا صَدَدْ

أثارُوا بِصَحْراءِ الثُّوَيَّةِ قَبْرَهُ ... وما كنتُ أخشى أنْ تناءَى بهِ البَلَدْ

تناءى تبعد . الثوية موضع يقال له صحراء الثوية ومن قال الثُّوَيَّة فهى تصغير الثَّوِيّة . وقال أوس بن حجر فى فضالة بن كلدة :

أَبادليجَةَ مَنْ يُوصَى بأرْمَلَةٍ ... أمْ مَنْ لأشعثَ ذِى هِدمَيْنِ طِمْلالِ

هدمين ثوبين خليقين ، يقال ثوب أهدام اذا كان خلقا . والطملال الفقير

أمْ مَنْ يَكونُ خَطيبَ القَوْمِ ان حفَلُوا ... لَدَى الملوكِ أولى كَيْدٍ وأقوالِ

وقال أيضا فى فضالة بن كلدة :

أَلهفًا على حُسْنِ آلائِهِ ... على الجابرِ الحيِّ والحاربِ (١)

ورِقْبَتُه حتماتِ الملوكِ ... بَيْنَ السُّرادِقِ والحاجِبِ

ورقبته انتظاره إذن الملوك . وجعله بين السرادق والحاجب ليدل على مكانته من الملك

ويَكْفِى المَقالةَ أهْلَ الرِّجا ... لِ غيْرَ مَعيبٍ ولا عائِبِ

وأنشد أيضا :

وخَصْمٍ غِضابٍ يَنْغِضونَ رُؤسَهُمْ (٢) ... أولى قَدَمٍ فى الشَّغْبِ صُهْبٍ سِبالُها (٣)

ضَرَبْتَ لَهمْ إبْطَ الشِّمالِ فأصبحتْ ... يَرُدُّ غُواةً آخَرينَ نَكالُها

ابط الشمال يعنى الفؤاد لانه يكون فى تلك الناحية . وقال شُتَيْم بن خويلد :

وقُلْتُ لِسَيِّدِنا يا حَليمُ ... انكَ لمْ تَأْسُ أسْوًا رَفِيقا

---

١ الحارب : المشلح « بتشديد اللام المكسورة » وهو الذى يعرى الناس ثيابهم ٢ يحركونها بارتجاف
٣ الشغب : تهييج الشر . الصهب « جمع أصهب وصهباء » الذى يخالط بياض شعره حمرة ، والسبال « جمع سبلة بفتحتين » شعر الشارب ومقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر ، ويقال للعدو « هم صهب السبال وسود الاكباد »

أعنْتَ عَـدِيا عَلَى شَأوِها ... تُعـادِي فَرِيقاً وتُبْقِي فَرِيقا

زَجَرْتَ بِها لَيْـلَةً كلَّها ... فَجِئْتَ بِها مُؤْيِداً خنفقيقا

تاسوا تداوى ، أسوا وأسى مصـدران . والآسى الطبيب . ومؤيد داهيـة . خنفقيق داهية أيضا . الشأو الغلوة لركض الفرس

وأنشد لآدم مولى بلعنبر يقولهـا لابن له :

يا بأبِي أنتَ ويافَوْقَ بأبْ ... يابأَبِي خُصيكَ مِنْ خُصْيٍ وزُبّْ

أنتَ الحبيبُ وكذاقولُ المحبّْ ... جنَّبكَ اللهُ مَعـارِيضَ الوَصَبْ

حتَّى تفيدَ وتُداوِي ذا الجرَبْ ... وذا الجُنونِ مِنْ سُعالٍ وكَلَبْ

والجذبَ حتّى يَستَقِيمَ ذُوالجذَبْ ... وتحمِلَ الشّاعِرَ فى اليوم العَصِبْ

على مَباهِـيرَ كَثيراتِ التَّعَبْ ... وان أرادَ جدِلٌ صَعْبٌ أرِبْ

خُصومَةً تَنقُبُ أوساطَ الرُّكَبْ ... أظلَعتَهُ مِنْ رُتَبٍ الى رُتَبْ

حتّى تَرَى الأبْصارُ أمثالَ الشُّهُبْ ... يَرْمِي بِها أشوَسُ مِلْحاحٌ كَلِبْ

مُجرّبُ الشّدّاتِ مَيمُونٌ مِذَبّْ

الوصب المرض . والعصيـب الشديد ، يقال يوم عصيـب وعصيب وعصبصب اذا كان شديدا . مباهير متاعيب قد علاهم البهر . الارب يقال رجل أريب وأرب وله أرب اذا كان عاقلا أديبا حازما . أظلعتـه يقال ظلع الرجل اذا خمع فى مشـيه . الرتبـة واحـدة الرتب والرتبات وهى الدرج ، وهى هاهنا الاشـياء المختلفـة ، أى تخرجه من شيء الى شيء . الاشوس الذى ينظر بمؤخر عينه . ملحاح ملحّ من الالحاح على الشيء . كلب أى الذى قد كلب . مِذَبّ أى يذب عن حريمـه وعن نفسـه

وقالت ابنة وثيمة ترثى أباها وثيمة بن عثمان :

الواهِبُ المالَ التِّلا ... دَ لنا ويَكْفينا العَظِيمهْ

ويَكونُ مِدرَهَنا اذا ... نزَلَتْ مُجلِّحةٌ عَظِيمَهْ

التلاد القديم من المـال ، والطارف المستفاد . والمدره لسان القوم المتكلم عنهم . مجلحة

أى داهية مصممة

واحمرَّ آفاقُ السَّما ءِ ولم تقعْ فى الارضِ دِيمَهْ

احمر آفاق السماء اشتد البرد وقل المطر وكثر القحط . ديمة واحدة الديم وهى الامطار الدائمة مع سكون

وتعذَّرَ الآكالُ حتَّى كانَ أحمدَها الهَشيمَهْ

تعذر تمنع . الآكال جمع أكل وهو مايؤكل . الهشيمة مايُهشم من الشجر أى يكسر

لا ثلَّةٌ ترْعى ولا إبلٌ ولا بقَرٌ مُسيمَهْ

الثلة مابين الست الى العشرة من الغنم . مسيمة راعية

ألفيتهُ مأوى الأرا ملِ والمُدَفَّعَةِ (١) اليتيمَه

والدَّافعَ الخصمَ الألدَّ اذا تُفوضِحَ فى الخُصومَهْ

بلسانِ لُقْمانَ بنِ عا دَ وفَصلِ خُطبتِهِ الحكيمَهْ

أَلجمتَهمْ بعدَ التَّدا فُعِ والتَّجاذُبِ فى الحُكومَهْ

وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الاكبر والاصغر ولُقَيم بن لقمان فى النباهة والقدر وفى العلم والحكم وفى اللسان وفى الحلم . وهذان غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن على مايقول المفسرون . ولارتفاع قدره وعظم شانه قال النمر ابن تولب :

لُقَيمُ بنُ لُقمانَ مِنْ أُختِهِ فكانَ ابنَ أُختٍ لهُ وابنَما

لَيالِيَ حُمِّقَ فاستَحْصَنَتْ عليهِ فغُرَّ بِها مُظْلِما

فغَرَّ بِها رَجُلٌ مُحْكَمٌ فجاءَتْ بهِ رَجُلاً مُحْكَما

وذلك أن أخت لقمان قالت لامرأة لقمان انى امرأة محمقة ولقمان رجل منجب محكم ، وأنا فى ليلة طهرى ، فهى لى ليلتك . ففعلت . فباتت فى بيت امرأة لقمان ،

١ التى يتدافعها الحى فلا يضيفونها اذا استضافت ولا يعطونها اذا استجدت

فوقع عليها ، فاحبلها بلقيم . فلذلك قال النمر بن تولب ماقال . والمرأة اذا ولدت الحمق فهى محمقة ، ولا يعلم ذلك حتى يرى ولد زوجها من غيرها أكياسا [١]

وقالت امرأة ذات بنات :

وماأُبالِى أنْ أكونَ مُحمِقَهْ ... اذا رأيتُ خُصيةَ مُعلَّقَهْ

وقال الآخر :

أزرَى بسَعيكَ أنْ كنتَ امرءاً حَمِقاً ... مِن نَسلِ ضاويةِ الاعراقِ مِحماقِ

ضاوية الاعراق أى ضعيفة الاعراق نحيفتها ، يقال رجل ضاو وفيه ضاوية اذا كان نحيفا قليل الجسم ، وجاء فى الحديث « اغتربوا لاتضووا » أى لايتزوج الرجل القرابة القريبة فيجيء ولده ضاويا [٢] والفعل منه ضوى يضوى ضوًى . والاعراق الاصول . والمحماق التى عادتها أن تلد الحمق . ولبعضهم فى البنات قالت احدى القوابل :

أياسَحابُ طَرِّقي بخَيرِ ... وطَرِّقى بخُصيَةٍ وأيرِ

ولاتُرِينا طَرَفَ البُظَيرِ [٣]

وقال آخر فى انجاب الامهات وهو يخاطب بنى اخوته :

عَفارِيتاً علىَّ وأكلِ مالى ... وحلماً عن أُناسٍ آخَرِينا

فَهَلّا غَيرَ عَمِّكُمُ ظَلَمتُمْ ... إذا ما كُنتُمُ مُتَظَلِّمينا [٤]

فلو كنتم لِكَيِّسَةٍ أكاسَتْ ... وكَيسُ الأُمِّ أكيَسُ للبَنِينا

وكانَ لَنا فَزارَةُ عَمَّ سُوءٍ ... وكُنتُ له كشَرِّ بَنِى الأَخِينا

ولبغض البنات هجر أبو حمزة الضبى خيمة امرأته ، وكان يقيل ويبيت عند جيران له حين ولدت امرأته بنتا ، فمر يوما بخبائها واذا هى ترقصها وتقول :

مالأبى حَمزَةَ لايَأتِينا ... يَظَلُّ في البَيتِ الذي يَلِينا

---

١ جمع كيس « بتشديد الياء المكسورة » وهو ضد الأحمق ٢ هذه الحقيقة مبرهن على صحتها فى العلم الطبيعى . وأورد ابن الاثير فى النهاية غير هذا قوله صلى الله عليه وسلم « لاتنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا » ٣ تصغير بظر وهو لحمة بين شفرى المرأة تقطع فى الختان ٤ تظلم فلانا حقه : ظلمه اياه

غَضْبانَ أنْ لا نَلِدَ البَنِينا تاللهِ ما ذلك فى أيدينا
وإنّما نأخُذُ ما أُعطِينا ونحنُ كالارضِ لزارِعِينا
نُنبتُ ماقدْ زرَعُوه فِينا

قال فغدا الشيخ حتى ولج البيت فقبل رأس امرأته وابنتها . وهذا الباب يقع فى كتاب الانسان من (كتاب الحيوان) وفى فضل مابين الذكر والانثى تاما . وليس هذا الباب مما يدخل فى باب البيان والتبيين . ولكن قد يجرى السبب فيجرى معه بقدر مايكون تنشيطا لقارئ الكتاب . لان خروجه من الباب اذا طال لبعض العلم كان ذلك أروح على قلبه وأزيد فى نشاطه ان شاء الله

وقد قال الاول فى تعظيم شأن لقيم بن لقمان :

قُومى اصْبَحِينِى فما صِيغَ الفَتَى حَجَراً لكِنْ رَهِينَةَ أَحْجارٍ وأَرْماسِ

اصبحينى : الصبوح شرب الغداة والغبوق شرب العشى . الرمس القبر يقال رمست الميت أرمسُه وأرمُسُه اذا دفنته

قُومى اصْبَحِينى فانّ الدّهرَ ذُو غِيَرٍ أفنى لُقَيماً وأفنَى آلَ مِرْماسِ
اليَوْمَ خَمْرٌ ويَبْدُو فى غَدٍ خَبَرٌ والدّهرُ مِنْ بَيْنِ انعامٍ وإِيآسِ
فاشْرَبْ عَلى حَدَثانِ الدّهرِ مُرْتفِقاً لا يَصْحَبُ الهمّ قَرْعُ السِّنِّ بالكاسِ

وقال أبو الطمحان القينى فى ذكر لقمان :

إنّ الزّمانَ ولا تَفْنَى عَجائِبُهُ فِيهِ تَقَطّعُ أُلّافٍ وأقرانِ
أمْسَتْ بَنُو القَيْنِ أفراقاً مُوَزّعةً كأنّهمْ مِنْ بَقايا حَيِّ لُقمانِ

وقد ذكرت العرب هذه الامم البائدة والقرون السالفة . ولبعضهم بقايا قليلة وهم أشلاء فى العرب متفرقون مغمورون . مثل جرهم وجاسم ووبار وعملاق وأميم وطسم وجديس ولقمان والهس ماس وبنى الناصور وقيل [١] ابن عنز وذى جدن . ويقال فى بنى الناصور أن أصلهم من الروم

١ كذا فى نسخة الشنقيطى

فاما ثمود فقد خبر الله عز وجل عنهم فقال « وثمود فما أبقى » وقال « فهل ترى لهم من باقية » . أنا أعجب من مسلم يصدق بالقرآن و يزعم أن فى قبائل العرب من بقايا ثمود . وكان أبو عبيدة يتأوّل قوله « وثمود فما أبقى » أن ذلك انما وقع على الاكثر وعلى الجمهور الاكبر . وهذا التاويل أخرجه من أبي عبيدة سوء الرأى فى القوم وليس له أن يجيء الى خبر عام مرسله غير مقيد وخبر مطلق غير مستثنى منه فيجعله خاصا كالمستثنى منه . وأى شيء بقى لطاعن أو متاوّل بعد قوله « فهل ترى لهم من باقية » فكيف يقول ذلك اذا كنا نحن قد نرى منهم فى كل حى باقية . معاذالله من ذلك . ورووا أن الحجاج قال يوما على المنبر « يزعمون أنا من بقايا ثمود وقد قال الله تبارك وتعالى : وثمود فما أبقى »

فاما الامم البائدة من العجم مثل كنعان و يونان وأشباه ذلك فكثير ولكن العجم ليست لها عناية بحفظ شان الاموات ولا الاحياء

وقال المسيب بن عاس فى ذكر لقمان :

وإليكَ أعملتُ المطيَّةَ مِنْ ... سَهْلِ العِراقِ وأنتَ بالقَفْرِ
أنتَ الرَّئيسُ إذا هُمُ نَزَلوا ... وتَوَجَّهوا كالأُسْدِ والنُّمْرِ
لوْ كُنْتَ منْ شَيءٍ سِوَى بَشَرٍ ... كُنْتَ المُنَوِّرَ لَيْلَةَ القَدْرِ
ولأَنْتَ أجودُ بالعطاءِ منَ الـ ... ـرَّبابِ[1] لما جادَ بالقَطْرِ
ولأَنْتَ أشجعُ منْ أُسامةَ[2] إذْ ... نَقَعَ[3] الصُّراخُ ولَجَّ فى الذُّعْرِ[4]
ولأَنْتَ أبينُ حينَ تَنطِقُ منْ ... لُقمانَ لماعَيَّ بالأمرِ

وقال لبيد بن ربيعة الجعفرى :

وأَخْلَفُ قُسًّا لَيْتَنِي ولَوَ انَّني ... وأُعْيِي على لُقْمانَ حُكْمَ التَّدَبُّرِ
فانْ تَسأَلِينا كَيْفَ نحنُ فانَّنا ... عَصافيرُ منْ هذا الأنامِ المُسَحَّرِ

السحر الرئة . والمسحر المعلل بالطعام والشراب . والمسحر المخدوع كما قال امرؤ القيس :

١ السحاب الأبيض ٢ الاسد ٣ رفع صوته ٤ تمادى فى التخويف

أرانا مُوضِعِينَ لأمرِ غَيبٍ ونُسحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ

أى نعلل فكاننا نخدع ونسحر بالطعام و بالشراب . وقال الفرزدق :

لئنْ حَوْمَتِي صانَتْ مَعَدٌّ حِياضَها لقد كانَ لقمانُ بنُ عادٍ يَهابُها

وقال آخر :

اذا ماماتَ مَيْتٌ مِنْ تَميمٍ فَسَرَّكَ أنْ يَعيشَ فَجِئْ بزادِ

بِخُبْزٍ أو بلَحْمٍ أو بتَمْرٍ أو الشَّئِ المُلَفَّفِ فى البِجادِ (١)

تَراهُ يُطَوِّفُ الآفاقَ حِرْصاً لِيأْ كُلَ رَأْسَ لقمانَ بنِ عادِ

وقال أفنون التغلبي :

لَوانَّنِي كُنتُ من عادٍ ومن ارَمٍ رَبِيبَ قَيلٍ ولقمانٍ وذى جَدَنِ (٢)

وقال آخر :

مالَذَّةُ العَيْشِ والفَتَى للدَّهْرِ والدَّهرُ ذُوفُنُونْ

أَهلَكَ طَسْماً وقَبْلَ طَسْمٍ أَهلَكَ عاداً وذا جُدُونْ

وأهلُ جاسِمٍ ومأرِبَ بَنوحَيِّ لقمانَ والتقُونْ

واليُسرُ لِلعُسرِ والتَّغَنِّى لِلفقرِ والحَىُّ لِلمَنُونْ

قال وهم وان كانوا يحبون البيان والطلاقة والتحبير والبلاغـة والتخلص والرشاقة فانهم كانوا يكرهون السلاطة والهذر والتكلف والاسهاب والاكثار ، لما فى ذلك من التزيد والمباهاة واتباع الهوى والمنافسـة فى العلو والقدر . وكانوا يكرهون الفضول فى البلاغـة لان ذلك يدعو الى السـلاطة ، والسلاطة تدعو الى البـذاء ، وكل مراء فى الارض فانمـا هو من نتاج الفضول . ومن حصل كلامه وميزه وحاسب نفسه وخاف الاثم والذم أشـفق من الضراوة ٣ وسوء العادة ، وخاف ثمرة العجب وهجنـة القبح . وما فى حب السمعة من الفتنة وما فى الرياء من مجانبة الاخلاص

ولقد دعا عبادة بن الصامت بالطعام بكلام ظن أنه ترك فيه المحاسبة ، فقال أوس

١ كساء مخطط من أكسية الاعراب يشتملون به ٢ سبق فى ص ٦ من هذا الجزء ٣ ضرى بالشىء ضراوة : لهج به

ابن شداد انه قد ترك فيه المحاسبة ، فاسترجع ثم قال : ماتكلمت بكلمة منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مزمومة [١] مخطومة . قال ورووا عن حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابراهيم قال «انما يهلك الناس فى فضول الكلام وفضول المال» وقال «دع المعاذر فان أكثرها مفاجر» وانما صارت المعاذر كذلك لانها داعية الى التخلص بكل شيء . وقال سلام بن مطيع قال قال لى أيوب : اياك وحفظ الحديث . خوفا عليه من العجب . وقال ابراهيم النخعى : دع الاعتذار فانه يخالط الكذب . قالوا ونظر شاب وهو فى دار ابن سيرين الى فرش فى داره فقال : مابال تلك الآجرة أرفع من تلك الآجرة الاخرى ، فقال ابن سيرين : ياابن أخى ان فضول النظر يدعو الى فضول القول . وزعم ابراهيم بن السندى قال أخبرنى من سمع عيسى بن على يقول فضول النظر من فضول الخواطر وفضول النظر يدعو الى فضول القول وفضول القول يدعو الى فضول العمل ، ومن تعود فضول الكلام ثم تدارك استصلاح لسانه خرج من استكراه القول ، وان أبطأ أخرجه ابطاؤه الى أقبح من الفضول . قال أبو عمرو بن العلاء أنكح ضرار بن عمرو الضبى ابنته معبدا ابن زرارة فلما أخرجها اليه قال لها : يابنية أمسكى عليك الفضلين . قالت : وما الفضلان . قال : فضل الغلمة [٢] وفضل الكلام . وضرار بن عمرو هو الذى قال : من سره بنوه ساءته نفسه . وهو الذى لما قال له المنذر : كيف تخلصت يوم كذا وكذا وما الذى نجاك . قال : تأخير الاجل واكراهى نفسى على المق الطوال

المقاء المرأة الطويلة والمق جماعة النساء الطوال والمق أيضا الخيل الطوال

وكان اخوته قد استشالوه حتى ركب فرسه ورفع عقيرته بعكاظ فقال : ألا ان خير حائل [٣] أم ، ألا فزوجوا الامهات . وذلك أنه صرع بين القنا فانشل عليه اخوته لامه [٤] حتى أنقذوه

---

١ لها زمام تنقاد به ٢ الانقياد للشهوة ٣ الحائل : كل انثى لاتحمل ٤ خ : وأمه

# باب الصمت

قال وكان أعرابي يجالس الشعبي يطيل الصمت فسئل عن طول صمته فقال «أسمع فأعلم وأسكت فأسلم» وقالوا «لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب» وقالوا «مقتل المرء بين لحييه وفكيه» وأخذ أبو بكر الصديق رضي الله عنه بطرف لسانه وقال «هذا الذي أوردني الموارد» وقالوا «ليس شيء أحق بطول سجن من لسان» وقالوا «اللسان سبع عقور» وقال النبي صلى الله عليه وسلم «وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد ألسنتهم» وقال ابن الاعرابي عن بعض أشياخه: تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فخطل في كلامه فقال النبي صلى الله عليه وسلم «ما أعطي العبد شرا من طلاقة اللسان» وقال العايشي وخالد بن حداس حدثنا مهدي بن ميمون عن غيلان بن جرير عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد فقلنا: يارسول الله أنت سيدنا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستفزنكم الشيطان فانما أنا عبد الله ورسوله [١]» قال وقال خالد بن عبد الله القسري لعمر بن عبد العزيز رحمه الله من كانت الخلافة زانته فقد زينتها ومن شرفته فقد شرفتها فانت كما قال الشاعر:

وتَزِيدِينَ أَطيبَ الطيبِ طِيبا ... ان تَمَسِّيه أين مثلُك أينا

واذا الدرُّ زان حُسْنَ وُجُوه ... كان للدر حُسنُ وجهك زينا

قال عمر «ان صاحبكم أعطي مقولا ولم يعط معقولا [٢]» وقال الشاعر:

لِسانُكَ معسُولٌ ونفسكَ شحّةٌ ... ودُون الثرَيَّا مِنْ صَدِيقِكَ مالكا

وأخبرنا باسناد له أن ناسا قالوا لابن عمر: أدع الله لنا بدعوات. فقال: اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا. فقالوا لو زدتنا ياأبا عبد الرحمن. قال: نعوذ بالله من الاسهاب. [٣]

---

١ رواه ابن الاثير في النهاية «قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان» أي قولوا بقول أهل دينكم وملتكم . أي ادعوني رسولا ونبيا . ٢ يعني الاقتصار في الكلام ٢ راجع ص ٩٣ و ١٧٥ من سيرة عمر بن عبد العزيز المطبوعة في القاهرة ٣ سبق في ص ٥٤ من هذا الجزء

وقال أبو الاسود الدؤلى فى ذكر الاسهاب ـ يقولها فى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة ، والحارث هو القباع وكان خطيبا من وجوه قريش ورجالهم ، وانما سمى القباع لانه أتى بمكتل ١ لاهل المدينة فقال ان هذا المكتل لقباع فسمي به ، والقباع الواسع الرأس القصير . وقال الفرزدق لجرير :

وقبلكَ ما أعييتُ كاسرَ عينهِ  زياداً فلمْ تقدِرْ علَيَّ حبائلُهْ
فأقسمتُ لا آتيهِ تسعينَ حجةً  ولو كُسِرَتْ عُنْقُ القُباعِ وكاهِلُهْ

وقال أبو الاسود :

أميرَ المؤمنينَ جُزيتَ خيراً  أرِحْنا منْ قُباعِ بَنِي المُغيرَهْ
بَلَوْناهُ فلُمناهُ فأعيا  علينا مايُمِرُّ لَناهَرِيرَهْ (٢)
علىأنَّ الفتَى نِكْحٌ أكولٌ  ومِسهابٌ مَذاهبه كثيرَهْ

وقال الشاعر :

إيّاكَ إيّاكَ المِراءَ (٣) فانَّهُ  إلى الشرِّ دعّاءٌ وللصَّرمِ جالِبُ

وقال أبو العتاهية :

والصمْتُ أجملُ بالفتى  مِنْ منْطِقٍ فى غيرِ حِينِهْ
كلُّ امرِئٍ فى نفسِهِ  أعلى وأشرفُ منْ قَرِينِهْ

وكان سهل بن هرون يقول « سياسة البلاغة أشد من البلاغة ، كما أن التوقى على الدواء أشد من الدواء » وكانوا يامرون بالتبين والتثبت وبالتحرز من زلل الكلام ومن زلل الرأى ومن الرأى الدبرى . والرأى الدبرى هو الذى يعرض من الصواب بعد مضى الرأى الاول وفوت استدراكه . وكانوا يامرون بالتحلم والتعلم وبالتقدم فى ذلك أشد التقدم . وقال الاحنف قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « تفقهوا قبل أن تسودوا » وكان يقول رضى الله عنه « السؤدد مع السواد » وأنشدوا لكثير عزة :

١ زنبيل يسع خمسة عشر صاعا ٢ بلوناه : اختبرناه . وأعيا الامر على فلان : أعجزه . وأمر الشئ جعله مراً . والهر « بفتح الهاء » والهرير : الكره وسوء الخلق ٣ الجدال والنزاع والطعن والتزييف للقول ، ولا يكون المراء الا اعتراضا بخلاف الجدال فانه يكون ابتداء واعتراضا

وفى الحلم والاسلام للمرءِ وازِعٌ ... وفي تركِ طاعاتِ الفؤادِ المتيَّمِ
بصائرُ رُشدٍ للفتى مستبينةٌ ... وأخلاقُ صدقٍ علمُها بالتعلُّمِ

الوازع الناهى ، والوزعة جمع وازع وهم الناهون الكافون . وقال الافوه الاودى :

أضحت فرينةُ قد تغيَّرَ بِشرُها ... وتجهَّمتْ (١) بتحيةِ القومِ العِدا
ألوتْ بإصبعِها وقالتْ إنّما ... يكفيكَ ممّا لا ترى ما قد ترى

وأنشد :

إبدأ بنفسك فانهها عن غيّها ... فاذا انتهتْ عنهُ فأنتَ حكيمُ
فهناكَ تعذرُ إنْ وعظتَ ويقتدى ... بالقولِ منكَ ويقبلُ التعليمُ

قالوا : وكان الاحنف أشد الناس سلطانا على نفسه . قالوا : وكان الحسن أترك لما نهى عنه . وقال الآخر :

لا تعذِراني في الإساءةِ إنّهُ ... شرُّ الرجالِ مَنْ يسئُ فيعذرُ

وقال الكميت بن زيد الاسدى :

ولَمْ يقلْ بعد زلَّةٍ لهمُ ... عندَ المعاذيرِ إنّما حسبوا

وأنشد الاخوص بن محمد :

قامتْ تخاصِرُني بقنّتِها ... خودٌ تأطرُ غادةٌ بكرُ

تخاصرنى آخذ بيدها وتاخذ بيدى . والقنة المواضع الغليظة من الارض فى صلابة . الخود الحسنة الخلق . تاطر تتثنى . والغادة الناعمة اللينة

كلٌّ يرى أنّ الشبابَ لهُ ... في كلِّ مبلغِ لذّةٍ عذرُ

وقال جرير فى فوت الرأى :

ولا يتّقونَ الشرَّ حتّى يصيبَهمْ ... ولا يعرفونَ الأمرَ إلّا تدبُّرا

قال ومدح النابغة ناسا بخلاف هذه الصفة فقال :

ولا يحسبونَ الخيرَ لا شرَّ بعدهُ ... ولا يحسبونَ الشرَّ ضربةَ لازبِ

---

١ استقبلتنى بوجه كريه .

اللازب واللازم واحد ، واللازب فى مكان آخر اليابس قال الله عز وجل من طين لازب . واللزبات السنون الجدبة . وأنشد :

هفا هفوةً كانتْ مِنَ المرءِ بدْعةً ... وما مثلُه عَنْ مِثلِها بسليمِ
فانْ يَكُ أخطَا في أخِيكُمْ فرُبَّما ... أصابَ التى فيها صلاحُ تميمِ

قال وقال قائل عند يزيد بن عمر بن هبيرة : والله ماأتى الحارث بن شريح بيوم خير قط . قال فقال له الترجمان بن هريم : الا يكن أتى بيوم خير فقد أتى بيوم شر . وذهب الترجمان بن هريم الى مثل معنى قول الشاعر :

وما خُلِقَتْ بَنُو زمانَ الاّ ... أخيراً بَعدَ خلقِ النّاسِ طُرّا
وما فَعَلَتْ بَنُو زمّانَ خيراً ... ولا فعلَتْ بَنُو زِمّانَ شرّا

ومن هذا الجنس من الاحاديث ــ وهو يدخل فى باب الملح ــ قال الاصمعى : وصلت بالعلم ونلت بالملح . قال رجل مرة : أبى الذى قاد الجيوش وفتح الفتوح وخرج على الملوك واغتصب المنابر . فقال له رجل من القوم : لاجرم لقد أسر وقتل وصلب . قال فقال له المفتخر بابيه : دعنى من أسر أبى وقتله وصلبه ، أبوك أنت حدث نفسه بشيء من هذا قط

قد سمعنا رواية القوم واحتجاجهم ، وأنا أوصيك أن لاتدع التماس البيان والتبيين ان ظننت أن لك فيهما طبيعة وأنهما يناسبانك بعض المناسبة ويشاكلانك فى بعض المشاكلة . ولا تهمل طبيعتك فيستولى الاهمال على قوة القريحة ويستبد بها سوء العادة . وان كنت ذا بيان وأحسست من نفسك بالنفوذ فى الخطابة والبلاغة وبقوة المنة يوم الحفل فلا تقصر فى التماس أعلاها سورة وأرفعها فى البيان منزلة . ولا يقطعنك تهييب الجهلاء وتخويف الجبناء . ولا تصرفنك الروايات المعدولة عن وجوهها والاحاديث المتناولة على أقبح مخارجها

وكيف تطيعهم بهذه الروايات المعدولة والاخبار المدخولة وبهذا الرأى الذى ابتدعوه من قبل أنفسهم وقد سمعت الله تبارك وتعالى ذكر داود النبى صلوات الله عليه فقال «واذكر عبدنا داود ذا الايد انه أواب ــ الى قوله ــ وفصل الخطاب» فجمع له بالحكمة البراعة فى العقل والرجاحة فى الحلم والاتساع فى العلم والصواب فى الحكم . وجمع له بفصل الخطاب تفصيل المجمل وتلخيص الملتبس والبصر بالحزّ فى

موضع الحز والحسم فى موضع الحسم ١ . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شعيبا النبي عليه السلام فقال «كان شعيب خطيب الانبياء» وذلك عند بعض ماحكاه الله عنه فى كتابه وحلاه لاسماع عباده . فكيف تهاب منزلة الخطباء وداود عليه السلام سلفك وشعيب امامك ، مع ماتلونا عليك فى صدر هذا الكتاب من القرآن الحكيم والآى الكريم . وهذه خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مدوّنة محفوظة ومخلدة مشهورة . وهذه خطب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم . وقد كان لرسول الله شعراء ينافحون عنه وعن أصحابه بامره . وكان ثابت بن قيس بن الشماس الانصارى خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدفع ذلك أحد

فاما ما ذكرتم من الاسهاب والتكلف والخطل والتزيد فانما يخرج الى الاسهاب المتكلف والى الخطل المتزيد . فاما أرباب الكلام ورؤساء أهل البيان والمطبوعون المعاودون وأصحاب التحصيل والمحاسبة والتوقى والشفقة والذين يتكلمون فى صلاح ذات البين وفى اطفاء نائرة أو فى حمالة ٢ أو على منبر جماعة أو فى عقد إملاك ٣ بين مسلم ومسلمة ، فكيف يكون كلام هؤلاء يدعو الى السلاطة والمراء والى الهذر والبذاء والى النفج ٤ والرياء ، ولو كان هذا كما يقولون لكان على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما أكثر الناس فيما ذكرتم . فلم خطب صعصعة ابن صوحان عند على بن أبى طالب . وقد كان ينبغى للحسن البصرى أن يكون أحق التابعين بما ذكرتم . قال الاصمعى قيل لسعيد بن المسيب : هاهنا قوم نساك يعيبون انشاد الشعر . قال « نسكوا نسكا أعجميا » . وزعمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : شعبتان من شعب النفاق البذاء والبيان وشعبتان من شعب الايمان الحياء والعى . ونحن نعوذ بالله من العى ، ونعوذ بالله أن يكون القرآن يحث على البيان ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على العى ، ونعوذ بالله أن يجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البذاء والبيان . وانما وقع النهى على كل شىء جاوز المقدار ووقع اسم العى على كل شىء قصر على المقدار ، فالعى مذموم والخطل مذموم ، ودين الله تبارك وتعالى بين المقصر والغالى . وهاهنا روايات كثيرة مدخولة وأحاديث معلولة . ورووا أن رجلا مدح الحياء عند الاحنف وأن الاحنف قال : بم ٥ يعود ذلك ضعفا والخير لايكون سببا للشر . ولكننا نقول : ان الحياء اسم لمقدار من المقادير ما زاد على ذلك

١ الحز : القطع . والحسم : القطع باستئصال ٢ النائرة : الفتنة . والحمالة : الدية أو الغرامة يحملها قوم عن قوم لدفع شر بين جماعتين ٣ نكاح ٤ المنافحة : المكافحة ٥ خ : بما

المقدار فسمّه ما أحببت . وكذلك الجود اسم لمقدار من المقادير فالسرف اسم لما فضل عن ذلك المقدار . وللحزم مقدار فالجبن اسم لما فضل عن ذلك المقدار . وللاقتصاد مقدار فالبخل اسم لما خرج عن ذلك المقدار . وللشجاعة مقدار فالتهور والخور اسم لما جاوز ذلك المقدار . وهذه الاحاديث ليست لعامتها أسانيد متصلة ، فان وجدتها متصلة لم تجدها محمودة ، وأكثرها جاءت مطلقة ليس لها حامل محمود ولا مذموم ، فاذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحسن

فان أردت أن تتكلف هذه الصّناعة وتُنسب الى هذا الادب فقرضت قصيدة أو حبرت خطبة أو ألفت رسالة فاياك أن تدعوك ثقتك بنفسك ويدعوك عجبك بثمرة عقلك الى أن تنتحله وتدعيه ، ولكن اعرضه على العلماء فى عرض رسائل أو أشعار أو خطب فان رأيت الاسماع تصغى له والعيون تحدج اليه ورأيت من يطلبه و يستحسنه فانتحله ؛ فان كان ذلك فى ابتداء أمرك وفى أول تكلفك فلم تر له طالبا ولا مستحسنا فلعله أن يكون ـ ما دام رَيّضا قضيبا ـ تعنيسا [1] أن يحل عندهم محل المتروك . فان عاودت أمثال ذلك مراراً فوجَدت الاسماع عنه منصرفة والقلوب لاهية فخذ فى غير هذه الصناعة واجعل رائدك الذى لا يكذبك حرصهم عليه أو زهدهم فيه . وقال الشاعر :

إنَّ الحَدِيثَ تَغُرُّ القَومَ خَلْوَتُهُ حتّى يَلِجَّ بِهِمْ عِيٌّ وإِكْثارُ

وفى المثل المضروب « كل مجر فى الخلا مسر [2] » ولم يقولوا مسرور . وكل صواب

فلا تثق فى كلامك برأى نفسك فانى ربما رأيت الرجل متماسكا وفوق المتماسك حتى اذا صار الى رأيه فى شعره وفى كلامه وفى ابنه رأيته متهافتاً وفوق المتهافت

وكان زهير بن سلمى وهو أحد الثلاثة المتقدمين يسمى كبار قصائده (الحوليات) . وقال نوح بن جرير قال الحطيئة « خير الشعر الحولى المنقح » قال وقال البعيث الشاعر وكان أخطب الناس « انى والله ما أرسل الكلام قضيبا خشيبا وما أريد أن أخطب يوم الحفل الا بالبائت [3] المحكك » . وكنت أظن أن قولهم محكك كلمة مولدة حتى سمعت قول الصعب بن على الكنانى :

١ أمر ريض : لم يحكم تدبيره . والقضيب : الغصن المقطوع . والتعنيس حبس البنت عن التزوج
٢ خ : يسر ٣ خ : بالثابت

أبلغ فزارة أن الذئب آكلها وجائع سغب شر من الذيب
أدل (١) اطلس ذو نفس محككة قد كان طار زمانا في اليعاسيب (٢)

قال وتكلم يزيد بن أبان الرقاشي ثم تكلم الحسن وأعرابيان حاضران . فقال أحدهما لصاحبه : كيف رأيت الرجلين . قال : أما الاول فقاص مجيد وأما الآخر فعربي محكك . قال ونظر أعرابي الى الحسن فقال له رجل : كيف تراه . قال : أرى خيشوم حر . قال وأرادوا عبد الله بن وهب الراسي على الكلام يوم عقدت له الخوارج الرياسة . فقال : وما أنا والرأي الفطير والكلام القضيب . ولما فرغوا من البيعة له قال : دعوا الرأي يغب فان غبوه يكشف لكم عن محضه . وقيل لابن التوأم الرقاشي : تكلم . فقال : ما أشتهى الخبز الا بائتا . وقال قال عبيد الله بن سالم لرؤبة : مت يا أبا الجحاف اذا شئت . قال : وكيف ذلك . قال : رأيت اليوم عقبة بن رؤبة ينشد شعرا له أعجبني . قال فقال رؤبة : نعم إنه ليقول ولكن ليس لشعره قران . وقال الشاعر :

مهاذبة مناجبة قران مناذبة كأنهم الاسود (٣)

يريد بقوله قران التشابه والموافقة

وقال عمر بن لجاء لبعض الشعراء : أنا أشعر منك . قال : وبم ذاك . قال : لأني أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه . قال وذكر بعضهم شعر النابغة الجعدي فقال : مطرف بآلاف وخمار بواف ٤ . وكان الاصمعي يفضله من أجل ذلك . وكان يقول : الحطيئة عبد لشعره ، عاب شعره حين وجده كله متخيرا منتخبا مستويا لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه . وقالوا : لو كان شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري ٥ كان مفرقا في أشعار كثيرة لصارت تلك الاشعار أرفع مما هي عليه بطبقات ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق ولكن القصيدة اذا كانت كلها أمثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر ومتى لم يخرج السامع من شيء الى شيء لم يكن لذلك النظام

١ أدل الذئب : جرب وطوى ٢ اليعسوب : أمير النحل وذكرها . وضرب من الحجلان . وطائر أصغر من الجرادة أوأعظم لايضم جناحه اذا وقع تشبه به الخيل في الضمر ٣ سبق هذا في ص ٣٨ من هذا الجزء ٤ المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام . والخمار : النصيف وهو ماتغطى به المرأة رأسها . والواف : درهم وأربعة دوانق ٥ لسابق البربري في ص ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ من سيرة عمر بن عبد العزيز المطبوعة في مصر قصيدة جيدة في نحو خمسين بيتا . وله في الصفحة التي تليها أبيات أخرى

عنده موقع . قال وقال بعض الشعراء لرجل : أنا أقول فى كل ساعة قصيدة وأنت تقرضها فى كل شهر فلم ذلك . قال : لانى لاأقبل من شيطانى مثل الذى تقبله من شيطانك . قالوا : وأنشد عقبة بن رؤبة أباه رؤبة بن العجاج شعرا وقال له : كيف تراه . قال له : يابنى ان أباك ليعرض له مثل هذا يمينا وشمالا فما يلتفت اليه . وقد رووا ذلك فى زهير وابنه كعب

قال وقيل لعقيل بن علفة : لم لاتطيل الهجاء . قال : يكفيك من القلادة ماأحاط بالعنق ١ . وقيل لابى المهوس : لم لاتطيل الهجاء . قال : لم أجد المثل النادر الا بيتا واحدا ولم أجد الشعر السائر الا بيتا واحدا . قال وقال مسلمة بن عبد الملك لنصيب: ياأبا الحجناء أما تحسن الهجاء . قال : أما ترانى أحسن مكان عافاك الله لاعافاك الله . ولاموا الكميت بن زيد على الاطالة فقال : أنا على القصار أقدر . وقيل للعجاج : مالك لاتحسن الهجاء . قال : هل فى الارض صانع الا وهو على الافساد أقدر . وقال رؤبة : الهدم أسرع من البناء

وهذه الحجج التى ذكروها عن نصيب والكميت والعجاج ورؤبة انما ذكروها على وجه الاحتجاج لهم . وهذا منهم جهل ان كانت هذه الاخبار صادقة . وقد يكون الرجل له طبيعة فى الحساب وليس له طبيعة فى الكلام . ويكون له طبيعة فى التجارة وليس له طبيعة فى الفلاحة . ويكون له طبيعة فى الحداء أو فى التعبير أو فى القراءة بالالحان وليس له طبيعة فى الغناء ، وان كانت هذه الانواع كلها ترجع الى تأليف اللحون . ويكون له طبيعة فى الناى وليس له طبيعة فى السرناى . ويكون له طبيعة فى قصبة الراعى ولا يكون له طبيعة فى القصبتين المضمومتين . ويكون له طبع فى صناعة اللحون ولا يكون له طبع فى غيرها . ويكون له طبع فى تأليف الرسائل والخطب والاسجاع ولا يكون له طبع فى قرض بيت شعر . ومثل هذا كثير جدا

وكان عبد الحميد الاكبر وابن المقفع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لايستطيعان من الشعر الا مالا يذكر مثله وقيل لابن المقفع فى ذلك فقال : الذى أرضاه لايجيئنى ٢ والذى يجيئنى لاأرضاه . وهذا الفرزدق وكان مشتهرا بالنساء وكان زير غوان ٣ وهو فى ذلك ليس له بيت واحد فى النسيب مذكور ، ومع حسده لجرير ــ وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط ــ وهو مع ذلك أغزل الناس شعراً . وفى الشعراء من لايستطيع مجاوزة القصيد الى الرجز . ومنهم من لايستطيع مجاوزة الرجز الى القصيد

١ سيجىء هذا فى أوائل الجزء الثانى ٢ لايجيبنى ٣ زير غوان وزير نساء : الرجل الذى يحب محادثة النساء لغير شر

ومنهم من يجمعهما كجرير وعمر بن لجاء وأبي النجم وحميد الارقط والعمانى . وليس الفرزدق فى طواله باشعر منه فى قصاره . وفى الشعراء من يخطب . وفيهم من لايستطيع الخطابة . وكذلك حال الخطباء فى قرض الشعر . وشاعرٌ نفسه قد تختلف حالاته . وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعر الناس وربما مرت عليّ ساعة ونزع ضرسي أهون عليّ من أن أقول بيتا واحدا . وقال العجاج : لقد قلت أرجوزتى التى أولها :

بَكَيْتُ والمُحْتَزَنُ البَكِيُّ    وإنَّما يأْتِى الصِّبا الصَّبِيُّ
أَطَرَبًا وأَنتَ قِنَّسْرِيُّ (١)    والدَّهْرُ بالانسان دَوّارِيُّ (٢)

وأنا بالرمل فانثالت عليّ قوافيها انثيالا . وانى لأُريد اليوم دونها فى الايام الكثيرة فما أقدر عليه . وقال لى أبو يعقوب الخزيمى : خرجت من منزلى أريد الشماسية فابتدأت القول فى مرثية لابى التختاخ فرجعت والله وما أمكننى بيت واحد . وقال الشاعر :

قَدْ يَقْرِضُ الشِّعْرَ البَكِيءُ (٣) لِسانُهُ    وتُعْيي القَوافِي المرءَ وهو خَطِيبُ

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

## ﴿ باب من القول فى القوافى الظاهرة واللفظ الموجز ﴾

« من ملتقطات كلام النساك »

قال بعض الناس : من التوقى ترك الافراط فى التوقى . وقال بعضهم : اذا لم يكن ماتريد فأرد مايكون . وقال الشاعر :

قَدَرُ اللهِ وارِدٌ    حِينَ يُقْضَى وُرُودُهُ
فأَرِدْ مايَكُونُ إنْ    لَمْ يَكُنْ ماتُرِيدُهُ

وقيل لاعرابى فى شكاته : كيف تجدك . قال أجد مالا أشتهى وأشتهى مالا أجد وأنا فى زمان من جاد لم يجد ومن وجد لم يجد . وقال بعض النساك : أنا لما لاأرجو أرجى منى لما أرجو . وقال بعضهم : أعجب من العجب ترك التعجب من العجب .

١ كبير مسن ٢ دائر به ٣ راجع ص ٦٣ من هذا الجزء

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لعبد بنى مخزوم [١] : انى أخاف الله فيما تقلدت . قال: لست أخاف عليك أن تخاف وانما أخاف عليك أن لا تخاف . وقال الاحنف لمعاوية : أخافك ان صدقتك وأخاف الله ان كذبتك . وقال قال رجل من النساك لصاحب له وهو يجود [٢] بنفسه : أما ذنوبى فانى أرجو لها مغفرة الله ولكنى أخاف على بناتى الضيعة . فقال له صاحبه : فالذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه يحفظ بناتك . وقال رجل من النساك لصاحب له : مالى أراك حزينا . قال : كان عندى يتيم أربيه لأوجر فيه فمات فانقطع عنا أجره اذ بطل قيامنا بمؤنته . فقال له صاحبه : فاجتلب يتيما آخر يقوم لك مقام الاول . قال : أخاف أن لا أصيب يتيما فى سوء خلقه . قال له صاحبه : أما أنا فلو كنت فى موضعك منه لا ذكرت سوء خلقه . وقال آخر ـ وسمعه أبو هريرة النحوى وهو يقول : ما يمنعنى من تعلم القرآن الا أنى أخاف أن أضيعه ـ قال : أما أنت فقد عجلت له التضييع ولعلك اذا تعلمته لم تضيعه . وقال عمر بن عبد العزيز لرجل : من سيد قومك . قال : أنا . قال : لو كنت كذلك لم تقل [٣]

## *( باب آخر )*

وقالوا فى حسن البيان وفى التخلص من الخصم بالحق والباطل وفى تخليص الحق من الباطل وفى الاقرار بالحق وفى ترك الفخر بالباطل . قال أعرابى وذكر حماس بن ثامل :

بَرِئْتُ إلى الرَّحْمٰنِ مِنْ كُلِّ صاحِبٍ أُصاحِبُهُ إلاَّ حِمَاسَ بْنَ ثَامِلِ
وظَنِّي بِهِ بَيْنَ السَّماطَيْنِ [٤] أَنَّهُ سَيَنْجُو بِحَقٍّ أوْ سَيَنْجُو بِبَاطِلِ

وقال العجير السلولى :

وَإنَّ ابنَ زَيْدٍ لابنُ عَمِّي [٥] وإنَّهُ لَبَلاَّلُ أَيْدِي جِلَّةِ الشَّوْلِ بالدَّمِ

الشول جمع شائلة وهى الناقة التى جف لبنها ، واذا شالت بذنبها بعد اللقاح فهى شائل وجمعها شول

طَلُوعُ الثَّنَايا بالمَطَايا وإنَّهُ غَدَاةَ المَرَادِي لَلْخَطِيبُ المُقَدَّمُ

---

١ هو سالم مولى محمد بن كعب . راجع ص ١٤٠ من سيرة عمر بن عبد العزيز المطبوعة فى القاهرة
٢ خ : يكيد ٣ فى ص ٢٤١ من سيرة عمر بن عبد العزيز ٤ أى عند ما يخطب بين الصفين
٥ خ : ابن أعمى

المرادى المصادع والمقارع ، يقال رديت الحجر بصخرة أو بمول اذا ضربته بها لتكسره ، والمرداة الصخره التى تكسر بها الحجارة

يَسُرُّكَ مَظلُوماً ويُرْضِيكَ ظالِماً ... ويَكفِيكَ ماحُمِّلتَهُ حِينَ تَغرَمُ

وقال ابن رُبْع الهذلى :

أَعَينيَ أَلا فابكِي رُقَيبَةَ انَّهُ ... وَصُولٌ لِأَرحامٍ ومِعطاءُ سائلِ

فأُقسِمُ لَوأَدرَكتُهُ لَحَمَيتُهُ ... وإِنْ كانَ لم يَترُكْ مَقالاً لِقائلِ

وقال بعض اليهود وهو الربيع بن أبى الحقيق من بنى النضير ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فقتلوه :

سائِلْ بِنا خابِرَ أَكفائِنا ... والعِلْمُ قَد يُلقَى لَدَى السّائِلِ

انّا إذا مالَتْ دَواعِى الهَوَى ... وأَنصَتَ السّامِعُ لِلقائِلِ

واصطَرَعَ النّاسُ بأَلبابِهِمْ ... نَقضِى بِحُكمٍ عادِلٍ فاصِلِ

لانَجعَلُ الباطِلَ حَقًّا وَلا ... نُلِطُّ (١) دُونَ الحَقِّ بالباطِلِ

نَكرَهُ أَنْ تَسفَهَ أَحلامُنا ... فَنَخمُلَ الدَّهرَ مَعَ الخامِلِ

وقال الآخر وذكر حماسا أيضا :

أَتانِى حِماسٌ بِابنِ ماهِى يَسُوقُهُ ... لِيَبغِيَهُ خَيراً ولَيسَ بِفاعِلِ

لِيُعطِيَ عَبْساً مالَنا وَصُدُورُنا ... مِنَ الغيظِ تَغلِى مِثلَ غَلْيِ المَراجِلِ

وقافِيةٍ قِيلَتْ لَكُمْ لمْ أُجِدْها ... جَواباً إذا لَمْ تَضرِبُوا بالمَناصِلِ

فأَنطِقَ فِي حَقٍّ بِحَقٍّ ولَمْ يَكُنْ ... لِيَرحَضَ عَنكُمْ قالَةَ الخِزْيِ باطِلِي

ليرحض أى ليغسل ، والراحض الغاسل ، والمرحاض الموضع الذى يغسل فيه

وقال عمرو بن معد يكرب :

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِى أَنطَقَتنِي رِماحُهُمْ ... نَطَقتُ ولٰكِنَّ الرِّماحَ أَجَرَّتِ

(١) تمنع من الحق

الجرار عود يعرض فى فم الفصيل أو يشق به لسانه لئلا يرضع ، فيقول : قومى لم يطعنوا بالرماح فاثنى عليهم ولكنهم فروا فامسكت كالجر الذى فى فمه جرار

وقال أبو عبيدة : صاح رؤبة فى بعض الحروب التى كانت بين تميم والازد « يامعشر بنى تميم أطلقوا من لسانى » قال أبصر رجلاً منهم قد طعن فارسا طعنة فصاح « لاعيا ولا شالا » والعرب تقول « عىّ أبأسُ من شلل » كأن العى فوق كل زمانة . وقالت الجهضمية :

أَلا هَلَكَ الحُلْوُ الحَلالُ الحُلاحِلُ ... وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ وحِلْمٌ ونائِلُ

وذُو خُطَبٍ يَوْماً اذا القَوْمُ أُفْحِمُوا ... تُصيبُ مَرَادِي قَوْلِهِ ما يُحاوِلُ

بَصِيرٌ بعَوْرَاتِ الكَلامِ اذا التَقَى ... شَرِيجانِ بَيْنَ القَوْمِ حَقٌّ وباطِلُ

أَبِيٌّ لِما يَأْبَى الكَرِيمُ بِسَيْفِهِ ... وانْ[1] أَسْلَمَهُ جُنْدُهُ والقَبائِلُ

ولَيْسَ بِمِعطاءِ الظُّلامَةِ عَنْ يَدٍ[2] ... ولا دُونَ أَعْلى سَوْرَةِ المَجْدِ قابِلُ

الحلاحل السيد . شريجان جنسان . ويقال الناس شرجان وشريجان أى فرقتان ، ومنه حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما بلغ الكديد أمر الناس بالفطر فاصبح الناس شرجين أى بعضهم صائما و بعضهم مفطرا

وأنشد أبو عبيدة فى الخطيب يطول كلامه ويكون ذكورا لاول خطبته وللذى بنى عليه أمره ، وان شغب شاغب فقطع عليه كلامه أو حدث عند ذلك حدث يحتاج فيه الى تدبير آخر وصل الثانى من كلامه بالاول حتى لايكون أحد كلاميه أجود من الآخر فانشد :

فَإِنْ أَحدثُوا شَغْباً يُقَطِّعُ نَظْمَها ... فَإِنَّكَ وَصّالٌ لِما قَطَعَ الشَّغْبُ

وَلَوْ كُنْتَ نَسّاجاً سَدَوْتَ خِطابَها ... بِقَوْلٍ كَطَعْمِ الشَّهْدِ بالبارِدِ العَذْبِ

وقال نصيب :

وَما بَذَلَتْهُ ابْتِذالَ الثَّوْبِ وِدُّكُمْ ... وعائِدٌ خَلَقاً ما كانَ يُبْتَذَلُ

وَعِلْمُكَ الشَّيْءَ تَهْوَى أَنْ تُبَيِّنَهُ ... أَشْفَى بِقَلْبِكَ مِنْ أَخْبارِ مَنْ تَسَلُ

---

١ خ : فان ٢ عن ذل ومهانة

وقال الآخر :

لَعَمْرُكَ ماوِدُّ اللسانِ بنافعٍ ... إذا لم يكن أصلُ المودَّةِ في الصدرِ

وقال الآخر :

تَعلَّمْ فليس المرءُ يُولَدُ عالِماً ... وليس أخو علمٍ كمن هو جاهلُ

وإنَّ كبيرَ القومِ لا علمَ عندهُ ... صغيرٌ إذا التفَّتْ عليه المحافلُ

وقال الآخر :

فتى مِثلُ صفوِ الماءِ ليس بباخلٍ ... عليك ولا مُهدٍ ملاماً لباخلِ

ولا قائلٍ عوراءَ تؤذي رفيقَهُ ... ولا رافعٍ رأساً بعوراءَ قائلِ

ولا مُسلمٍ مولًى لأمرٍ يُصيبُهُ ... ولا خالطٍ حقّاً مُصيباً بباطلِ

ولا رافعٍ أُحدوثةَ السوءِ مُعجِباً ... بها بينَ أيدي المجلسِ المتقابلِ

ترى أهلَهُ في نعمةٍ وهو شاحبٌ ... طويُّ البطنِ مخماصُ الضحى والأصائلِ (١)

وقالت أخت يزيد بن الطثرية :

أرى الأثلَ من بطنِ العقيقِ مجاوري (٢) ... قريباً وقد غالتْ يزيدَ غوائلُهْ

فتًى قُدَّ قدَّ السيفِ لا متضائلٌ ... ولا رهلٌ لَبّاتُهُ وبآدِلُهْ (٣)

فتًى لا يرى خرقُ القميصِ بخصرِهِ ... ولكنّما توهي القميصَ كواهلُهْ

إذا نزلَ الأضيافُ كانَ عذوّراً (٤) ... على الحيِّ حتى تستقلَّ مراجلُهْ

مضى فورثناهُ دريسَ مُفاضةٍ (٥) ... وأبيضَ هندِياً طويلاً حمائلُهْ

يَسُرُّكَ مظلوماً ويُرضيكَ ظالماً ... وكلُّ الذي حمّلتَهُ فهو حاملُهْ

١ طوى البطن : ضامر البطن . مخماص : جائع ٢ الأثل : شجر وهو نوع من الطرفاء ، واحدته أثلة وجمعه أثلات . والعقيق : واد بظاهر المدينة ٣ لحم رهل : مضطرب ومسترخ . واللبات : جمع لبة وهو المنحر . والبآدل : جمع بأدلة وهى اللحمة بين الابط والثدى أو هى لحمة الثدى ٤ سيء الخلق
٥ دريس : قديم . مفاضة : الدرع الواسعة

أخو الجدِّ إن جدَّ الرجالُ وشمَّروا وذو باطلٍ إن شئتَ ألهاكَ باطلُهْ

يصير هذا الشعر وما أشبهه مما وقع فى هذا الباب الى الشعر الذى فى أول الفصل

*( باب شعر وغير ذلك من الكلام ، مما يدخل فى باب الخطب )*

قال الشاعر :

عجبتُ لأقوامٍ يعيبون خطبتى وما منهمُ فى موقفٍ بخطيبِ

وقال آخر :

إنَّ الكلامَ لفى (١) الفؤادِ وإنما جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلا

لا يُعجبنَّكَ من خطيبٍ قولُهُ حتَّى يكونَ مع اللسانِ أصيلا

وأنشد لآخر :

أبَرَّ (٢) فما يزدادُ إلاَّ حماقةً ونَوْكاً (٣) وإن كانت كثيراً مخارجُهْ

وقد يكون رديء العقل جيد اللسان . وكان أبو العباس الاعمى يقول :

اذا وصفَ الاسلامَ أحسنَ وصفَهُ بفيهِ ويأبى قلبُهُ ويهاجرُهْ

يقول انه يتيه عن قوله و يأباه و يهجره ، و يقول الحق على منبره بلسانه وسائره كافر

وإن قامَ قالَ الحقَّ ما دامَ قائماً تقيُّ اللسانِ كافرٌ بعدُ سائرُهْ

وقال قيس بن عاصم المنقرى يذكر ما فى بنى منقر من الخطابة :

انى امرؤٌ لا يعترى خُلُقى دَنَسٌ يُفَنِّدُهُ ولا أفنُ (٤)

من منقرٍ فى بيتِ مكرُمةٍ والاصلُ ينبتُ حولَهُ الغُصُنُ

خُطَباءُ حينَ يقومُ قائلُهُمْ بيضُ الوجوهِ مصاقعٌ لُسُنُ

لا يفطُنونَ لعيبِ جارِهِمْ وَهُمُ لحسنِ جوارِهِمْ فُطُنُ

ومن هذا الباب وليس منه فى الجملة قول الآخر :

١ خ : من ٢ أبر : ركب البر أى سافر فيه ٣ حمقا ٤ ضعف العقل والرأى

أشارت بطرف العين خيفة أهلها ... إشارة مذعور ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً ... وأهلاً وسهلاً بالحبيب المسلم

وقال نصيب :

يقول فيحسن القول ابن ليلى ... ويفعل فوق أحسن ما يقول

وقال آخر :

ألا رب خصم ذي فنون علوته ... وان كان ألوى يشبه الحق باطله

فهـذا هو معنى قول العتابي « البلاغة اظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق » وقال الشاعر وهو كما قال :

عجبت لإدلال العيّ بنفسه ... وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للعيّ وإنما ... صحيفة لبّ المرء أن يتكلما

وموضع الصحيفة من هذا البيت موضع ذكر العنوان في شعره الذي رثى به عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه ، يقول :

ضحّوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطّع الليل تسبيحاً وقرآنا

وأنشد أيضا :

ترى الفتيان كالنخل ... وما يدريك ما الدخل (١)
وكلّ في الهوى ليث ... وفيما نابه فسل (٢)
وليس الشأن في الوصل ... ولكن أن يرى الفضل

وقال كسرى أنو شروان لبزر جمهر : أي الاشياء خير للمرء العيي . قال : عقل يعيش به . قال : فان لم يكن له عقل . قال : فاخوان يسترون عليه . قال : فان لم يكن له اخوان . قال : فمال يتحبب به الى الناس . قال : فان لم يكن له مال . قال : فعي صامت . قال : فان لم يكن ذلك . قال : فموت مريح ٣ . وقال موسى بن يحيى بن خالد : قال أبو علي « رسائل المرء في كتبه أدلّ على مقدار عقله وأصدق شاهد على غيبه لك

١ الدخل : الداء والعيب والريبة ٢ الضعيف الرذل الذي لا مروءة له ولا جلد ٣ سبق هذا في ص ٤ من هذا الجزء باختلاف في بعض الالفاظ

ومعناه فيك من أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة »

*( وباب آخر )* ووصفوا كلامهم فى أشعارهم فجعلوها كبرود العصب وكالحلل والمعاطف والديباج والوشى وأشباه ذلك . وأنشدنى أبو الجماهر جندب ابن مدرك الهلالى :

لا يُشتَرَى الحمدُ أُمنيةً ولا يُشتَرَى الحَمدُ بالمقصرِ (١)
ولكنّما يُشتَرَى غالياً فمَن يُعطِ قيمتَهُ يَشتَرِ
ومَن يعتطِفهُ على مِئزَرٍ فنِعمَ الرِّداءُ على المِئزَرِ

وأنشدنى لابن ميّاده ٢ :

نَعَمْ إنّنى مُهدٍ ثَناءً ومِدحَةً كبُردِ اليمانى يَربَحُ البيعَ تاجرُهْ

وأنشدنى :

فإنْ أهلِكْ فقد أبقيتُ بعدي قوافِيَ تُعجِبُ المُتمثِّلينا
لَذِيذاتِ المقاطِعِ مُحكَماتٍ لَوَ انَّ الشِّعرَ يُلبَسُ لارتُدِينا

وقال أبو قردودة يرثى ابن عمار قتيل النعمان ووصف كلامه وقد كان نهاه عن منادمته :

إنّى نَهَيتُ ابنَ عمّارٍ وقُلتُ لهُ لا تأمَنَنْ أحمرَ العينينِ والشَّعَرَهْ
إنّ الملوكَ متى تنزِلْ بساحتِهِم تَطِرْ بنارِكَ من نيرانِهِم شَرَرَهْ
يا جفنةً كإزاءِ الحَوضِ قد هدَموا ومَنطِقاً مثلَ وَشيِ اليُمنةِ الحبَرَهْ

وقال الشاعر فى مدح أحمد بن أبى دؤاد :

وعَويصٍ منَ الأمورِ بَهيمٍ غامضِ الشَّخصِ مُظلِمٍ مستُورِ
قد تَسهّلتَ ما تَوعَّرَ منهُ بلِسانٍ يَزِينُهُ التّحبِيرُ
مثلُ وَشيِ البُرودِ (٣) هَلهَلَهُ النّسـ ـجُ وعِندَ الحِجاجِ دُرٌّ نَثيرُ

١ خشبة القصار ٢ خ : لأبى ميادة ٣ لعله « البرود »

حَسَنُ الصمْتِ والمقاطِعِ إمّا أُنصِتَ القومُ والحديثُ يدورُ
ثُمَّ من بعدِ لحظةٍ تورِثُ اليُسْـ ـرَ وعرضٌ مهذَّبٌ موفورُ

ومما يضم الى هذا وليس منه بعينه قول جميل بن معمر :

نَمَتْ في الرَّوابي من مَعَدٍّ وأفلجَتْ على الخَفِراتِ الغُرِّ وهيَ وَريدُ [١]

نمت شبّت . الروابى من معد البيوت الشريفة ، وأصل الرابية والرباوة ماارتفع من الارض . وأفلجت ظهرت وقهرت . الخفرات الحييات

أناةٌ على نيرَينِ أضحى لداتُها بَلِينَ بِلاءَ الرَّيطِ [٢] وهيَ جديدُ

الاناة المرأة التى فيها فتور عند القيام . وقوله على نيرين وصفها بالقوة كالثوب الذى ينسج على نيرين وهو الثوب الذى له سديان كالديباج وما أشبه . أضحى لداتها اللدة القرينة فى المولد والمنشا فيقول : ان أقرانها قد بلين وهى جديد لحسن غذائها ودوام نعمتها . ومن هذا الشكل وليس منه بعينه قول الشاعر :

على كلِّ ذي نيرَينِ زيدَ محالُهُ محالاً وفي أضلاعِهِ زيدَ أضلُعا

المحال محال الظهر وهى فقاره واحدها محالة

وقال أبو يعقوب الخزيمى الاعور أول شعر قلته هذان البيتان :

بِقلبي سَقامٌ لستُ أُحسِنُ وَصفَهُ على أنَّهُ ماكانَ فهوَ شديدُ
تَمُرُّ بهِ الأيّامُ تسحبُ ذيلَها فتَبلى بهِ الأيّامُ وهوَ جديدُ

وقال آخر وهو أبو الاسود الدؤلى :

أبى القلبُ الأُمَّ عمرٍو وحبَّها عجوزاً ومَن يُحبِبْ عجوزاً يُفنَّدِ
كبُردِ اليماني قد تقادمَ عهدُهُ ورُقعتُهُ ما شئتَ في العينِ واليدِ

وقال ابن هرمة :

انَّ الأديمَ الذي أصبحتَ تعرُكُهُ جهلاً لَذو نَغَلٍ بادٍ وذو حَلَمِ [٣]

---

١ وردت المرأة توريداً : حمرت خدها ، فهى وريد ٢ جمع ريطة وهى كل ملاءة ليست ذات لفقين أى قطعتين متضا متين كلها نسج واحد ٣ نغل الأديم : فسد فى الدباغ . ونغل الجرح : فسد . الحلم : جمع حلمة وهى هاهنا دوده تقع فى الجلد فتأ كله فاذا دبغ لم يزل ذلك الموضع رقيقا

ولن يُبَطّ بأيدى الخالقينَ ولا أيدِي الخوالقِ إلاّ جَيِّدُ الأَدَمِ (١)

وفى غير هذا الباب وهو قريب منه قول ذى الرمة :

وفي قمرٍ حجرٍ مِنْ ذُؤابةِ عامرٍ إمامُ هُدًى مُسْتَبْصِرُ الحُكمِ عادِلُه

كأنّ على أعطافِهِ ماءَ مُذْهَبٍ إذا سَمَلَ السِّربالُ طارتْ رَعابِلُه

الرعابل القطع ، وشواء مرعبل أى مقطع ، ورعبلت الشىء أى قطعته . ويقال ثوب سمل وأسمال ، وأسمل الثوب وسمل اذا أخلق . وهو الذى يقول :

حَوْراءُ فى دَعَجٍ صفراءُ فى نَعَجٍ كأنّها فضّةٌ قد مسّها ذَهَبُ

الحور شدة بياض العين . والدعج شدة سواد الحدقة . والنعج اللين . قالوا لان المرأة الرقيقة اللون يكون بياضها بالغداة يضرب الى الحمرة و بالعشى يضرب الى الصفرة . ولذلك قال الاعشى :

بيضاءُ ضَحْوَتَها وصفـ ـراءُ العشيّةَ كالعَرارَه (٢)

وقال آخر :

قدعلمتْ بيضاءُصفراءُ الأُصُلْ لأُغنينَّ اليومَ ما أغنى رجلْ

وقال بشار بن برد :

وخُذِي ملابسَ زينةٍ ومُصبّغاتٍ فهْيَ أفخرْ

وإذا دخلتِ تقنّعِي بالحُمرِ إنّ الحسنَ أحمرْ

وهذان أعميان قد اهتديا من حقائق هذا الامر الى مالا يبلغه تمييز البصير . ولبشار خاصة فى هذا الباب ماليس لاحد ولولا أنه فى ( كتاب الرجل والمرأة ) وفى ( باب القول فى الانسان ) فى ( كتاب الحيوان ) أليق وأذكى لذكرناه فى هذا الموضع . ومما ذكروا فيه الوزن قوله :

زِنِي القومَ حتّى تعرفي عندوَزْنِهِمْ إذا رُفِعَ الميزانُ كيفَ أميلُ

وقال ابن الزبير الاسدى :

---

١ - بط الجرح والصرة والجلد : شقها . والخالق : صانع الاديم ٢ - بهار ناعم أصفر طيب الريح

أَعاذِلُ غُضِّي بعضَ لَوْمِكِ انَّني ... أرى الموْتَ لا يَرْضَى بِدَيْنٍ ولا رَهْنِ
وإِنِّي أرى دَهراً تَغيَّرَ صَرْفُهُ ... ودُنيا أَراهَا لاتَقومُ عَلَى وَزْنِ

*( باب آخر )*

ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ويفضلون اصابة المقادير ويذمون الخروج من التبويل . قال جعفر بن سليمان « ليس يطيب الطعام بكثرة الانفاق وجودة التوابل ، وانما الشان فى اصابة القدر » . وقال الشاعر وهو عارق [١] بن أثال الطائى :

ما أنْ يزالَ ببغدادٍ يُزاحِمُنا ... على البَراذينِ أشباهُ البَراذينِ
أَعطاهمُ اللهُ أموالاً ومَنزِلَةً ... مِنَ الملوكِ بلا عقلٍ ولا دِينِ
ماشئتَ من بَغْلَةٍ شَقْراءَ ناجيةٍ ... أوْ مِنْ أثاثٍ وقولٌ غيرُ موزُونِ

وأنشد بعض الشعراء :

وأسمرَ جلاً أوْدَى السِّفارُ بجِسْمِهِ [٢] ... فلَمْ يَبْقَ الاَّ مَنْطِقٌ وجَناجِنُ

الجناجن عظام الصدر

اذا حُسِرتْ عنهُ العِمامَةُ راعَها ... جَميلُ الخُفُوقِ أغفلَتْهُ الدَّواهِنُ
فانْ أكُ مَعْرُوقَ العِظامِ فانَّني ... اذا ماوَزَنتَ القَوْمَ بالقَوْمِ وازِنُ

قال مالك بن أسماء فى بعض نسائه وكانت تصيب الكلام كثيرا وربما لحنت [٣] :

أَمُغَطًّى مِنِّي على بَصَرِي لِلْحُبِّ ... أمْ أنتِ أكمَلُ النَّاسِ حُسْنَا
وَحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّا ... يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يوزَنُ وَزْنَا
مَنْطِقٌ عاقِلٌ وتَلْحَنُ أحْيا ... نًا وخيرُ الحديثِ ما كانَ لَحْنَا

وقال طرفة فى المقدار واصابته :

---

١ خ : طارق ٢ السفار : السفر ٣ سبقت هذه الابيات فى ص ٨٢ من هذا الجزء باختلاف فى بعض الكلمات

فَسَقَى دِيارَكِ غيرَ مُفْسِدِها صَوْبُ الرَّبيعِ ودِيمَةٌ تَهْمِي

طلب الغيث على قدر الحاجة لان الفاضل ضار . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعائه « اللهم اسقنا سقيا نافعا » لان المطر ربما جاء فى غير ابان الزراعات ، وربما جاء والتمر فى الجرن والطعام فى البيادر ، وربما كان فى الكثرة مجاوزاً لمقدار الحاجة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم حوالينا ولا علينا » وقال بعض الشعراء لصاحبه « أنا أشعر منك » قال « ولم » قال « لانى أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه » وعاب رؤبة شعر ابنه عقبة فقال « ليس له قران » وجعل البيت أخا البيت اذا أشبهه وكان حقه أن يوضع الى جنبه ، وعلى ذلك التأويل قال الاعشى :

أبا مسمعٍ أقصِرْ فإنَّ قَصِيدَةً مَتى تأتِكُمْ تَلْحَقْ بها أَخَواتُها

قال الله عز وجل « وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها » وقال عمرو بن معد يكرب :

وكلُّ أخٍ مُفارِقُهُ أخوهُ لَعَمْرُ أبيكَ إلاَّ الفَرْقدانِ

وقالوا فيما هو أبعد معنى وأقلّ لفظا ، قال الهذلى :

أعامرُ لا آلوكَ الاَّ مُهنَّداً وجِلْدُ أبى عِجْلٍ وَثِيقُ القَبائلِ

يعنى بأبى عجل الثور . وقالوا ماهو أبعد من هذا ، وقال ابن عسلة [١] الشيبانى واسمه عبد المسيح :

وسَماعِ مُدْجِنَةٍ تُعلِّلُنا حتَّى نَنامَ تَناوُمَ العُجْمِ
فَصَحَوْتُ والنَّمَرِيُّ يَحْسَبُها عَمَّ السِّماكِ [٢] وخالةَ النجمِ

النجم واحد وجمع ، والنجم الثريا فى كلام العرب . مدجنة أى سحابة دائمة وقال أبو النجم فيما هو أبعد من هذا ووصف العير ، والمعيور الموضع الذى يكون فيه الاعيار :

وظَلَّ يوفي الاكَمَ ابنُ خالِها

فهذا مما يدل على توسعهم فى الكلام وحمل بعضه على بعض واشتقاق بعضه

---

١ خ : غسيلة ٢ اسم لنجم نير

من بعض . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « نعمت العمة لكم النخلة » كان بينها وبين الانسان تشابه وتشا كل من وجوه . وقد ذكرنا فى ( كتاب الزرع والنخل ) وفى مثل ذلك قال بعض الفصحاء :

شَهِدتُ بأنَّ التمرَ بالزُّبدِ طيِّبٌ وأنَّ الحُبارى خالةُ الكَرَوانِ (١)

لان الحبارى وان كانت أعظم بدنا من الكروان فان اللون وعمود الصورة واحد فلذلك جعلها خالته ورأى أن ذلك قرابة تستحق بها هذا القول

## *( باب آخر من الشعر )*

« مما قالوا فى الخطب واللسن والامتداح به والمدح عليه »

قال كعب الاشقرى ٢ :

الاَّ أكُن في الارضِ أخطبُ قائماً فانِّي على ظهرِ الكُميتِ خطيبُ

وقال ثابت قطنة :

فالاَّ أكُن فيكُم خطيباً فانَّني بسُمرِ القنا والسَّيفِ جدُّ لَعُوبِ

وقالت ليلى الاخيلية :

حتَّى اذا رفعَ اللِّواءَ رأيتَهُ تحتَ اللِّواءِ على الخميسِ (٣) زعيما

وقال الآخر :

عجبتُ لأقوامٍ يعيبُونَ خُطبتِي وما منهمُ فى مأقطٍ (٤) بخطيب

وهؤلاء يفخرون بخطبهم التى عليها يعتمدون بالسيوف والرماح ، وان كانوا خطباء . وقال دريد بن الصمة :

أبلغْ نعيماً وأوفى ان لقيتَهما ان لم يكُن كانَ فى سمعَيهما صممُ

فلا يزالُ شهابٌ يُستضاءُ بهِ يهدِي المقانبَ مالم يُهلكِ الصممُ

المقانب جمع مقنب والمقنب الجماعة فى الخيل ليست بالكثيرة

١ الحبارى : طائر يضرب به المثل فى البلاهة لأن الواحدة منه اذا غيرت عشها ذهلته وحضنت بيض غيرها . والكروان : الحجل ٢ خ : الاشعرى ٣ الجيش اذا كان خمس فرق : ميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة وقلب ٤ المضيق فى الحرب يختلطون فيه

عَارِي الأَشَاجِعِ مَعْصُوبٌ بِلِمَّتِهِ ... أَمْرُ الزَّعَامَةِ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ

الاشاجع عروق ظاهر الكف وهى مغرز الاصابع . واللمة الشعيرة التى ألمت بالمنكب . زعيم القوم رأسهم وسيدهم الذى يتكلم عنهم ، والزعامة مصدر الزعيم الذى يسود قومه . وقوله معصوب بلمته أى يعصب برأسه كل أمر . عرنينه أنفه

وقال أبو العباس الاعمى مولى بنى بكر بن عبد مناف فى بنى عبد شمس :

لَيْتَ شِعْرِي أَفَاحَ رَائِحَةُ المِسْـ ... ـكِ مَا انْ اخَالُ بِالْخَيْفِ أُنْسِي

حِينَ غَابَتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَنْهُ ... والبَهَالِيلُ(١) مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ

خُطَبَاءٌ عَلَى المَنَابِرِ فِرْسَا ... نٌ عَلَيْهَا وَقَالَةٌ غَيْرُ خُرْسِ

لاَ يُعَابُونَ صَامِتِينَ وَإِنْ قَا ... لُوا أَصَابُوا وَلَمْ يَقُولُوا بِلَبْسِ

بِحُلُومٍ إِذِ الحُلُومُ اسْتُخِفَّتْ ... وَوُجُوهٍ مِثْلِ الدَّنَانِيرِ مُلْسِ

وقال العجاج :

وحَاصِنٍ مِنْ حَاصِنَاتٍ مُلْسِ ... مِنَ الأَذَى وَمِنْ قِرَافِ الوَقْسِ

المحصنة ذات الزوج ، والحاصن العفيفة . والوقس الجرب

وقال امرؤ القيس بن حجر :

وَيَا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ أَرُوحُ مُرَجَّلاً ... حَبِيباً الى البِيضِ الكَوَاعِبِ أَمْلَسَا

وقال أبو العباس الاعمى :

وَلَمْ أَرَ حَيًّا مِثْلَ حَيٍّ تَحَمَّلُوا ... الى الشَّامِ مَظْلُومِينَ مُنْذُ بُرِيتُ(٢)

أَعَزَّ وَأَمْضَى حِينَ تَشْتَجِرُ القَنَا ... وَأَعْلَمَ بِالمِسْكِينِ حَيْثُ يَبِيتُ

وَأَرْفَقَ بِالدُّنْيَا بِأَوْلَى سِيَاسَةً ... اذا كَادَ أَمْرُ المسلمينَ يَفُوتُ

اذا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ سَيِّدٌ ... بَصِيرٌ بِعَوْرَاتِ الكَلاَمِ زَمِيتُ(٣)

وقال آخر :

---

١ جمع بهلول وهو السيد الجامع لكل خير ٢ من البرى وهو الخلق ٣ وقور [illegible]

لا يُغسلُ العِرْضُ مِنْ تدنُّسِهِ والثوبُ انْ مَسَّ مَدْنَساً غُسِلا
وزَلّةُ الرّجلِ تُستقالُ ولا يكادُ رأيٌ يُقيلُكَ الزّللا

وقال آخر في الزلل:

ألهفي اذ عصيتُ أبا يزيدٍ ولهفي اذ أطعتُ أبا العلاءِ
وكانتْ هفوةً منْ غيرِ ريحٍ وكانتْ زلّةً مِنْ غيرِ ماءِ

وقال آخر:

فانّكَ لمْ يُنذِرْكَ أمراً تخافُهُ اذا كُنتَ فيه جاهلاً مثلُ خابرِ

وقال ابن وابصة - اسمه سالم - في مقام قام فيه مع ناس من الخطباء:

* يا أيُّها المتحلّي غيرَ شيمتِهِ ومَنْ سجيّتُهُ الاكثارُ والملَقُ
اعمدْ الى القصدِ فيما أنتَ راكبُهُ انَّ التخلّقَ يأتي دونَهُ الخُلُقُ
صدّتْ هُنيدةُ لمّا جئتُ زائرَها عنّي بمطروفةٍ انسانُها غَرِقُ (١)
وراعَها الشّيبُ في رأسي فقلتُ لها كذاكَ يصفرُّ بعدَ الخضرةِ الورَقُ
بلْ موقفٍ مثلِ حدِّ السّيفِ قمتُ بهِ أحمي الذّمارَ وترميني بهِ الحدَقُ
فما زلَلتُ ولا أُلفيتُ ذا خطَلٍ اذ الرّجالُ على أمثالِها زلِقوا (٢)

قال وأنشد أعرابي في باهلة:

سأُعمِلُ نصَّ (٣) العيسِ حتّى يكفَّني غنى المالِ يوماً أوْ غنى الحدَثانِ
فللموتُ خيرٌ منْ حياةٍ يُرى لها على الحرِّ بالاقلالِ وسمُ هوانِ
متى يتكلّمْ يُلغَ حُكمُ كلامِهِ وإنْ لمْ يقلْ قالوا عديمُ بيانِ
كأنَّ الغنى في أهلِهِ بورِكَ الغنى بغيرِ لسانٍ ناطقٌ بلسانِ

وفي مثلها في بعض الوجوه قول عروة بن الورد:

---

١ أراد بالمطروفة العين التي أصابتها طرفة ، وانسان العين المثال الذي يرى في سوادها . وغرق أي بالدموع ٢ زلوا ٣ النص من كل شيء منتهاه . وسير نص : أي جد رفيع

ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي ... رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الْفَقِيرُ
وأهوَنُهُمْ وأحقَرُهُمْ لَدَيْهِمْ ... وإنْ أمسَى لهُ نَسَبٌ وخِيرُ (١)
ويُقْصَى في النَّدِيِّ (٢) وتَزْدَرِيهِ ... حَلِيلَتُهُ ويَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
ويُلْفَى ذَا الغِنَى ولهُ جَلالٌ ... يَكادُ فُؤادُ صاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ ذَنْبُهُ والذَّنْبُ جَمٌّ ... ولكِنْ لِلغِنَى رَبٌّ غَفُورُ

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه « الهوى إله معبود » وتلا قوله عز وجل « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم » . وقال أبو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل :

تِلْكَ عِرسايَ تَنْطِقانِ على عَمْـ ... ـدٍ الى اليَوْمِ قَوْلَ زُورٍ وهِتْرِ (٣)
سألَتانِي الطَّلاقَ أنْ رأَتا ما ... لِي قَلِيلاً قَدْ جِئْتُماني بِنُكْرِ (٤)
فلَعَلِّي أنْ يَكْثُرَ المالُ عِنْدِي ... ويُعَرَّى مِنَ المَغارِمِ ظَهْرِي
وتُرَى أعْبُدٌ لَنا وأَواقٍ (٥) ... ومَناصِيفُ مِنْ خَوادِمَ عَشْرِ

المناصيف الخدم واحدهم منصف وناصف ، وقد نصف القوم ينصفهم نصافة اذا خدمهم

وتَجُرُّ الأَذْيالَ في نِعْمَةٍ زَوْ ... لٍ تَقُولانِ ضَعْ عَصاكَ لِدَهْرِ

نعمة زول حسنة ، والزول الخفيف الظريف وجمعه أزوال

وَيْكَأنْ مَنْ يَكُنْ لهُ نَشَبٌ يُحْـ ... ـبَبْ ومَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ
ويُجَنَّبْ سِرَّ النَّجِيِّ ولكِنَّ ... أخا المالِ مُحْضَرٌ كُلَّ سِرِّ

وقال عبيد بن الابرص فى نحو هذا وليس كمثله :

تِلْكَ عِرْسِي غَضْبَى تُرِيدُ زِيالِي ... أَلِبَيْنٍ تُرِيدُ أَمْ لِدَلالِ

---

١ الكرم والشرف والاصل والهيئة ٢ بمعنى النادى والندوة ٣ الكذب والسقط من الكلام والخطأ فيه ٤ راجع ص ١٤٦ و ١٤٧ من الصاحبي فى فقه اللغه وسنن العرب فى كلامها للامام أحمد بن فارس ٥ الأواقى قصب الحائك يكون فيه لحمة الثوب

ان يكن طبك الفراق فلا أحـ ـفل أن تعطفى صدور الجمال
كنت بيضاء كالمهاة وإذ آتيك نشوان مرخيا أذيالى
فاترك مط حاجبيك وعيشى معنا بالرجاء والتأمال
زعمت أننى كبرت وأنى قل مالى وضن عنى الموالى
وصحا باطلى وأصبحت شيخا لايواتى أمثالها أمثالى
إن ترينى تغير الرأس منى وعلا الشيب مفرقى وقذالى (١)
فبما أدخل الخباء على مهـ ـضومة الكشح طفلة كالغزال

الكشح الخصر . وقوله مهضومة أراد لطيفة . والطفلة الرخصة الناعمة

فتعاطيت جيدها ثم مالت ميلان الكثيب بين الرمال
ثم قالت فدى لنفسك نفسى وفداء لمال أهلك مالى

قال وخرج عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من داره يوما ، وقد جاء عامر ابن عبد قيس فقعد فى دهليزه ، فلما رأى شيخا دميما أشغى ثطاً فى عباءة فانكره وأنكر مكانه ، فقال : ياأعرابى أين ربك . قال : بالمرصاد

والشغى تراكب الاسنان واختلافها . ثط صغير اللحية

يقال ان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه لم يفحمه أحد قط غير عامر بن عبد قيس

ونظر معاوية الى النخار بن أوس العذرى الخطيب الناسب فى عباءة فى ناحية من مجلسه ، فانكره وأنكر مكانه زراية منه عليه ، فقال : من هذا . فقال النخار : ياأمير المؤمنين ان العباءة لاتكلمك انما يكلمك من فيها

قال ونظر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى هرم بن قطبة ملتفا فى بت ٢ فى ناحية المسجد ، ورأى دمامته وقلته ، وعرف تقديم العرب له فى الحكم والعلم ، فأحب أن يكشفه و يسبر ما عنده ، فقال : أرأيت لو تنافرا اليك اليوم أيهما كنت تنفر . يعنى علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل . فقال : ياأمير المؤمنين لو قلت فيهما

---

١ القذال : جماع مؤخر الرأس ٢ هو الكساء الغليظ

كلمة لاعدتها جذعة . فقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : هذا العقل تحاكمت اليك العرب . ونظر عمر الى الاحنف وعنده الوفد والاحنف ملتف في بت له فترك جميع ١ القوم واستنطقه ، فلما تبعق ٢ منه ماتبعق ، وتكلم بذلك الكلام البليغ المصيب ، وذهب ذلك المذهب ، لم يزل عنده فى علياء ، ثم صار الى أن عقد له الرياسة ثابتاً له ذلك إلى أن فارق الدنيا

ونظر النعمان بن المنذر الى ضمرة بن ضمرة فلما رأى دمامته وقلته قال : تسمع بالمعيدى لاأن تراه ، هكذا تقول العرب . فقال ضمرة : أبيت اللعن ، إن الرجال لاتكال بالقفزان ، و إنما المرء باصغريه لسانه وقلبه ٣ . وكان ضمرة خطيبا وكان فارسا شاعرا شريفا سيدا

وكان الرمق بن زيد مدح أبا جُبيلة الغسانى ، وكان الرمق دميما قصيرا ، فلما أنشده وحاوره قال : عسل طيب فى ظرف سوء

قال وتكلم علباء بن الهيثم السدوسى لدى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وكان علباء أعور دميما ، فلما رأى براعته وسمع بيانه أقبل عمر يصعد فيه بصره ويحدره ، فلما خرج قال عمر : لكل أناس فى جميلهم خبرة

قال أبو عثمان : وأنشدت سهل بن هارون قول سلمة بن خرشب وشعره الذى أرسل به الى سبيع التغلبى ٤ فى شان الرُّهن التى وضعت على يديه فى قتال عبس وذبيان ، فقال سهل بن هارون : والله لكأنه قد سمع رسالة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى أبى موسى الاشعرى فى سياسة القضاء وتدبير الحكم . والقصيدة قوله :

أَبلغْ سُبَيْعاً وأنتَ سيّدُنا ... قِدْماً وأَوفى رجالِنا ذِمَما
أنّ بَغِيضاً وأَنّ إخوتَها ... ذُبيانَ قد ضَرَّمُوا الّذِى اضْطَرَما
نُبِّئْتُ أنْ حكَّمُوكَ بينهمُ ... فلا يقولُنَّ بئسَ ماحكَما
إنْ كُنتَ ذا خِبْرةٍ بِشَأنِهم ... تَعرِفُ ذا حقِّهِمْ ومَنْ ظَلَما
وتُنزِلُ الأمرَ فى منازلِهِ ... حُكْماً وعِلْماً وتُحضِرُ الفَهَما

---

١ خ : جمع ٢ أى انصب فى الكلام بشدة ٣ سبق هذا فى ص ٩٦ من هذا الجزء ، ولكلام ضمرة بقية هناك فراجعها وراجع شرح كلماته ٤ خ : الثعلبى

وَلاتُبالِي مِنَ المُحقِّ وَلاَالمُـ ـبْطِلُ لاَ إِلَّةَ ولا ذِمَمَا
فاحكُمْ وأَنتَ الحَكِيمُ بينهمُ لَنْ تَعدَمُوا الحُكْمَ ثابتاً صَتَماً

١ الصتم الصحيح القوى ، يقال رجل صتم اذا كان شديدا

واصدَعْ أَدِيمَ السَّواءِ بَيْنَهُمُ على رِضاً مَنْ رَضِى ومَنْ رَغَمَا
إِنْ كانَ مالاً فَفَضِّ عِدَّتَهُ مالاً بِمالٍ وإنْ دَماً فَدَمَا
حتَّى تَرَى ظاهِرَ الحُكُومَةِ مِثْـ ـلَ الصُّبْحِ جَلَّى نَهارُهُ ظُلَما
هذا وإنْ لَمْ تُطِقْ حُكُومَتَهُمْ فانْبِذْ إِلَيهِمْ أُمُورَهمْ سَلَما

وقال العايشى ١ : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعلم الناس بالشعر ، ولكنه اذ ابتلى بالحكم بين النجاشى والعجلانى و بين الحطيئة والزبرقان كره أن يتعرض للشعراء ، واستشهد رجالا للفريقين مثل حسان بن ثابت وغيره ممن تهون عليه سبالهم ، فاذا سمع كلامهم حكم بما يعلم ، وكان الذى ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعا للفريقين ، و يكون هو قد تخلص بعرضه سليما . فلما رآه من لا علم له يسأل هذا وهذا ظن أن ذلك لجهله بما يعرف غيره . قال ولقد أنشدوه شعرا لزهير وكان لشعره مقدما فلما انتهوا الى قوله :

وإنَّ الحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلاثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفارٌ أَوْ جِلاءُ

قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها و إقامته أقسامها :

وانّ الحقّ مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

يردّد البيت من التعجب

وأنشدوه قصيدة عبدة بن الطبيب الطويلة التى على اللام فلما بلغ المنشد الى قوله :

والمَرْءُ ساعٍ لأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ والعَيْشُ شُحٌّ واشْفاقٌ وتَأْمِيلُ

قال عمر متعجبا :

والعيش شحّ واشفاق وتأميل

---

١ خ : العاشى

يعجبهم من حسن ماقسم وفصل . وأنشدوه قصيدة أبي قيس بن الاسلت التى على العين وهو ساكت ، فلما انتهى المنشد الى قوله :

الـكَيْسُ والقُوَّةُ خيرٌ مِنَ ال　　إشفاقِ والفَهَّةِ والهاعِ (١)

أعاد عمر البيت وقال :

الـكيس والقوّة خير من ال　　إشـفاق والفهّـة والهاع

وجعل عمر يردد البيت ويتعجب منـه . قال محمد بن سـلام الجمحى عن بعض أشياخه : قال كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لايكاد يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر

وقال عمرو بن العلاء : كان الشاعر فى الجاهليـة يقدَّم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذى يقيّد عليهم مآثرهم ويفخم شانهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوقة وتسرعوا الى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر . ولذلك قال الاول :

« الشعر أدنى مروءة السريّ ، وأسرى مروءة الدنى »

قال ولقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبيانى ، ولو كان فى الدهر الاول مازاده ذلك إلا رفعة

وروى مجالد عن الشعبي قال : مارأيت مثلى ، ماأشاء أن ألقى رجلا أعلم منى بشيء الا لقيته . وقال الحسن البصرى : يكون الرجل عابدا ولا يكون عاقلا ، ويكون عابدا عاقلا ولا يكون عالما ، وكان مسلم بن يسار عاقلا عابدا عالما . قال : وكان يقال فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة . وقال وذكرت البصرة فقيل : شيخها الحسن ، وفتاها بكر بن عبد الله المزنى ٢ . قال والذين بثوا العلم فى الدنيا أربعة : قتادة والزهرى والاعمش والكلبى . وجمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزهرى ، فغلب قتادة الزهرى ، فقيل لسليمان فى ذلك فقال : انه فقيه مليح . فقال القحذمى : لا ولكنه تعصب للقرشية ولانقطاعه اليهم ولروايته فضائلهم . وكان الاصمعى يقول : وصلت بالعلم ونلت بالملح ٣ . وكان سهل بن هارون يقول : اللسان البليغ والشعر الجيد لايكادان يجتمعان فى واحد ، وأعسر من ذلك أن يجتمع

---

١ الفهة : العي . والهاع : الجبان ٢ سبق هذا فى ص ٥٦ من هذا الجزء ٣ سبق فى ص ١١٢

بلاغة الشعر و بلاغة القلم . والمسجديون ¹ يقولون : من تمنى رجلا حسن العقل وحسن اللسان وحسن القلم تمنى شيأ عسيرا

*( باب )*

وكانوا يعيبون النوك ² والعى والحمق وأخلاق النساء والصبيان . قال الشاعر :

اذا ما كُنْتَ مُتَّخذاً خليلاً      فَلاَ تَثِقَنْ بِكُلِّ أَخِى اخاءِ
فانْ خُيِّرْتَ بَيْنَهُمُ فأَلْصِق      بأَهْلِ العَقْلِ مِنْهُمْ والحَياءِ
فانَّ العَقْلَ لَيْسَ لَهُ اذا ما      تَفاضَلَتِ الفَضائِلُ مِنْ كِفاءِ
فانَّ النَّوْكَ لِلاَحْسابِ غَوْلٌ(٣)      وأَهْوَنُ دائِهِ داءُ العِياءِ
ومَنْ تَرَكَ العَواقِبَ مُهْمَلاتٍ      فأَيْسَرُ سَعْيِهِ سَعْىُ العَناءِ
فَلا تَثِقَنَّ بالنَّوْكَى لِشَىْءٍ      ولَوْ كانُوا بَنِى ماءِ السَّماءِ
فَلَيْسُوا قابِلِى أَدَبٍ فَدَعْهُمْ      وكُنْ مِنْ ذاكَ مُنْقَطِعَ الرَّجاءِ

وقال الآخر فى التضييع والنوك :

فَعِشْ فى جَدِّ أَنْوَكَ ساعَدَتْهُ      مَقادِيرٌ يُخالِفُها الصَّوابُ
ذَهابُ المالِ فِى حَمْدٍ وأَجْرٍ      ذَهابٌ لا يُقالُ لَهُ ذَهابُ

وأنشد فى ذلك :

أَرَى زَمَناً نَوْكاهُ أَسْعَدُ أَهْلِهِ      وَلكِنَّما يَشْقَى بِهِ كُلُّ عاقِلِ
مَشَى فَوْقَهُ رِجْلاهُ والرَّأْسُ تَحْتَهُ      فَكَبَّ الاَعالِى بارْتِفاعِ الاَسافِلِ

وقال الآخر :

ولَمْ أَرَ مِثْلَ الفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى      ولَمْ أَرَ مِثْلَ المالِ أَرْفَعَ لِلرَّذْلِ

---

١ هم الذين يلزمون مسجدى البصرة والكوفة ٢ الحمق ٣ غول الشيء واغتياله : أخذه من حيث لم يدر

وَلَمْ أَرَ عِزّاً لامْرِئٍ كَعَشِيرَةٍ ... وَلَمْ أَرَ ذُلاًّ مِثْلَ نَأْيٍ عَنِ الأَهْلِ
وَلَمْ أَرَ مِنْ عُدْمٍ أَضَرَّ عَلَى امْرِئٍ ... اذا عاشَ وَسْطَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ العَقْلِ

وقال الآخر :

تَحامَقْ مَعَ الحَمْقَى اذا ما لَقِيتَهُمْ ... وَلا تَلْقَهُمْ بالعَقْلِ انْ كُنْتَ ذا عَقْلِ
فانّى رأيْتُ المَرْءَ يَشْقَى بِعَقْلِهِ ... كَما كانَ قَبْلَ اليَوْمِ يَسْعَدُ بالعَقْلِ

وقال الآخر :

وأَنْزَلَنِى طُولُ النَّوَى دارَ غُرْبَةٍ ... اذا شِئْتُ لاقَيْتُ أَمْرَأً لا أُشاكِلُهُ
فَحامَقْتُهُ حَتَّى يُقالَ سَجِيَّةٌ ... وَلَوْ كانَ ذا عَقْلٍ لَكُنْتُ أُعاقِلُهُ

وقال بشر بن المعتمر وأنشد :

وَاذا الغَبِيُّ رَأَيْتَهُ مُسْتَغْنِياً ... أَعْيَى الطَّبِيبَ وحِيلَةَ المُحْتالِ

وأنشدنى آخر :

ولِلدَّهْرِ أَيَّامٌ فَكُنْ فِي لِباسِهِ ... كَلِبْسَتِهِ (١) يَوْماً أَجَدَّ وأَخْلَقا
وكُنْ أَكْيَسَ الكَيْسَى إِذا كُنْتَ فِيهِمِ ... وإِنْ كُنْتَ فِي الحَمْقَى فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقا

وأنشدنى آخر :

ولا تَقْرَبِي يابْنَتَ عَمِّيَ بُوهَةً (٢) ... مِنَ القَوْمِ دِفْناساً (٣) غَبِيًّا مُفَنَّدا
وانْ كانَ أَعْطَى رأْسَ سِتِّينَ بَكْرَةً ... وَحُكْماً على حُكْمٍ وعَبْداً مُوَلَّدا
أَلا فاحْذَرِي لا تُورِدَنَّكِ هَجْمَةٌ ... طِوالُ الذُّرَى جِبْساً مِنَ القَوْمِ قُعْدُدا (٤)

وأنشدنى آخر :

كَسا اللّهُ حَيَّيْ تَغْلِبَ ابْنَةِ وائِلٍ ... مِنَ اللُّؤْمِ أَظْفاراً بَطِيئاً نُصُولُها

---

١ ـ كذا فى الاصل ٢ البوهة : أنثى طائر يشبه البوم الا أنه أصغر منه ، ويشبه بها الرجل الاحمق
٣ أحمق ٤ الجبس : الجبان الفدم . والقعدد قريب النسب من الجد الاعلى وبعيد النسب منه ، ضد

اذا ارتحلوا عن دار ضيم تعاذلوا ... عليها وردوا وفدهم يستقيلها

وأنشدني آخر :

وانّ عناءً أن تفهّم جاهلاً ... ويحسب جهلا انه منك أفهم

وقال جرير :

ولا يعرفون الشرّ حتي يصيبهم ... ولا يعرفون الأمر الاّ تدبّرا

وقال الاعرج المعنيّ الطائي :

لقد علم الأقوام أن قد قدرتم ... ولم تبدؤوهم بالمظالم أوّلا

فكونوا كداعى كرّةٍ بعد فرّةٍ ... ألا ربَّ من قد فرّ ثمّت أقبلا

فان أنتم لم تفعلوا فتبدّلوا ... بكلّ سنانٍ معشر العرب مغزلا

وأعطوهم حكم الصبيّ بأهله ... وانّي لأرجو أن يقولوا بأن لا

و يقال أظلم من صبيّ ، وأكذب من صبيّ ، وأخرق من صبيّ . وأنشد :

ولا تحكما حكم الصبيّ فانّه ... كثيرٌ على ظهر الطريق مجاهله

قال سئل دغفل عن بني عامر . فقال : أعناق ظباء ، وأعجاز نساء . قيل : فما تقول في أهل اليمن . قال : سيّد وأنوك [1]

## *( باب في ذكر المعلمين )*

من أمثال العامة « أحمق من معلم كتاب » وقد ذكرهم صقلاب :

وكيف يرجّى العقلُ والرأيُ عند من ... يروحُ على أنثى ويغدو على طفلِ

وفي قول بعض الحكماء « لاتستشيروا معلما ، ولا راعى غنم ، ولا كثير القعود مع النساء » وقال « لاتدع أم صبيّك تضربه : فانه أعقل منها وان كانت أسن منه » وقد سمعنا في الامثال « أحمق من راعى ضان ثمانين »

فاما استحماق رعاة الغنم في الجملة فكيف يكون ذلك صوابا وقد رعى الغنم عدة من جلة الانبياء عليهم السلام ، ولعمري ان الفدّادين [2] من أهل الوبر ورعاة الابل

١ سيأتى هذا فى ص ٣٩ من الجزء الثانى ٢ الشديدى الصوت

يتلون على رعاة الغنم ويقول أحدهم لصاحبه : إن كنت كاذبا فحلبت قاعدا . وقال الآخر :

تَرَى حالِبَ المِعْزَى اذا صَرَّ قاعِداً  وحالِبُهُنَّ القائِمُ المُتَطاوِلُ

قالت امرأة من غامد فى هزيمة ربيعة بن مُكَدَّم لجمع غامد وحده :

أَلاَ هَلْ أَتاها عَلَى نَأْيِها  بِما فَضَحَتْ قَوْمَها غامِدُ

تَمَنَّيْتُمُ مِائَتَيْ فارِسٍ  فَرَدَّكُمُ فارِسٌ واحِدُ

فَلَيْتَ لَنَا بارْتِباطِ الخُيُولِ  ضَأْناً لَها حالِبٌ قاعِدُ

وقد سمعنا قول بعضهم « الحمق فى الحاكة والمعلمين والغزالين » قال : والحاكة أقل وأسقط من أن يقال لهم حمقى ، وكذلك الغزالون ، لان الاحمق هو الذى يتكلم بالصواب الجيد ثم يجئ بخطأ فاحش ، والحائك ليس عنده صواب جيد فى فعال ولا مقال الا أن يجعل جودة الحياكة من هذا الباب وليس هو من هذا فى شىء

﴿ وهذا باب آخر ﴾ ويقال « فلان أحمق » فاذا قالوا « مائق » فليس يريدون ذلك المعنى بعينه . وكذلك اذا قالوا « أنوك » وكذلك اذا قالوا « رقيع » ويقولون فلان « سليم الصدر » ثم يقولون « غبى » ثم يقولون « أبله » وكذلك اذا قالوا « معتوه ومسلوس » وأشباه ذلك

قال أبو عبيدة يقال للفارس « شجاع » فاذا تقدم ذلك قيل « بطل » فاذا تقدم شيئا قيل « بهمة » فاذا صار الى الغاية قيل « أليس » قال العجاج :

أَلْيَسُ عن حَوْبائِهِ (١) سَخِيُّ

وهذا المأخذ يجرى فى الصفات كلها من جود وبخل وصلاح وفساد ونقصان ورجحان . وما زلت أسمع هذا القول فى المعلمين ، والمعلمون عندى على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعلم أولاد العامة الى تعليم أولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة الى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة ، فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل على بن حمزة الكسائى ومحمد بن المستنير الذى

١ الحوباء : النفس . وفى نسخة « حوباته » وهى جمع حوبة « بفتح الحاء » بمعنى الحاجة والحال والزوجة . وبضم الحاء بمعنى العيال

يقال له قطرب وأشباه هؤلاء يقال لهم حمقى ، ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التى دونهم . فان ذهبوا الى معلمى كتاتيب القرى فان لكل قوم حاشية وسفلة فما هم فى ذلك الا كغيرهم . وكيف تقول مثل ذلك فى هؤلاء وفيهم الفقهاء والشعراء والخطباء ، مثل كميت بن زيد وعبد الحميد الكاتب وقيس بن سعد وعطاء ابن أبى رباح ، ومثل عبد الكريم بن أبى أمية وحسين المعلم وأبى سعيد المعلم ، ومن المعلمين الضحاك بن مزاحم أبو معبد الجهنى وعامر الشعبى فكانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان وكان معبد يعلم سعيدا ، ومنهم أبو سعيد المؤدب — وهو غير أبى سعيد المعلم — وكان يحدث عن هشام بن عروة وغيرهم ، ومنهم عبد الصمد بن عبد الاعلى . وكان معلم ولد عتبة بن أبى سفيان ، وكان اسماعيل بن على ألزم بعض بنيه عبدالله بن المقفع ليعلمه ، وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلما ، ومنهم محمد ابن السكن . وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدرى بصنوف العلم ولا أحسن بيانا من أبى الوزير وأبى عدنان المعلمين ، وحالهما من أول ما أذكر من أيام الصبا . وقد قال الناس فى أبى البيداء وفى أبى عبد الله الكاتب وفى الحجاج بن يوسف وأبيه ماقالوا وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهدا من الشعر على أن الحجاج وأباه كانا معلمين بالطائف

ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول : « قالوا أحق الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكم جاهل » قال وكتب الحجاج الى المهلب يعجله فى حرب الازارقة ويسمعه [1] ، فكتب اليه المهلب « ان البلاء كل البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره »

## *( وباب آخر )*

قال بعض الربانيين من الادباء وأهل المعرفة من البلغاء ، ممن يكره التشادق والتعمق ، ويبغض الاغراق فى القول والتكلف والاجتلاب ، ويعرف أكثر أدواء الكلام ودوائه ، وما يعترى المتكلم من الفتنة بحسن مايقول ، ومايعرض للسامع من الافتتان بما يسمع ، والذى يورث الاقتدار من التهكم والتسلط ، والذى يمكن الحاذق والمطبوع من التمويه للمعانى والخلابة وحسن المنطق ، قال فى بعض مواعظه : أنذركم حسن الالفاظ وحلاوة مخارج الكلام ، فان المعنى اذا اكتسى لفظا حسنا

---

[1] يشتبه

وأعاره البليغ مخرجا سهلا ومنحه المتكلم قولا متمشقا صار فى قلبك أحلى ولصدرك أملا ، والمعانى اذا كسيت الالفاظ الكريمة وألبست الاوصاف الرفيعة تحوّلت فى العيون عن مقادير صورها وأربت على حقائق أقدارها ، بقدر ما زينت وعلى حسب ما زخرفت ، فقد صارت الالفاظ فى معنى المعارض وصارت المعانى فى معنى الجوارى ، والقلب ضعيف وسلطان الهوى قوى ومدخل خدع الشيطان خفى . فاذكر هذا الباب ولا تنبه وتامله ولا تفرط فيه فان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لم يقل للاحنف ـ بعد ان احتبسه حولا مجرّما ١ ليستكثر منه وليبالغ فى تصفح حاله والتنقير عن شانه « ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد كان خوفنا كل منافق عليم وقد خفت أن تكون منهم » الا لما كان راعه من حسن منطقه ومال إليه لما رأى من رفقه وقلة تكلفه . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من البيان لسحرا » وقال عمر بن عبد العزيز لرجل أحسن فى طلب حاجة وتأتى لها بكلام وجيز ومنطق حسن « هذا والله السحر الحلال » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاخلابة » فالقصد فى ذلك أن تجتنب السوقى والوحشى ولا تجعل همك فى تهذيب الالفاظ وشغلك فى التخلص الى غرائب المعانى ، وفى الاقتصار بلاغ وفى التوسط مجانبة للوعورة والخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه وقد قال الشاعر :

عَلَيكَ بأوْساطِ الأُمُورِ فانَّها نَجاةٌ ولاَ تَرْكَبْ ذَلُولاً ولاَ صَعْبَا

وقال الآخر :

لاتَذهَبَنَّ في الأُمُورِ فَرَطا لاَتَسألنَّ ان سألتَ شَطَطا
وكُنْ مِنَ النَّاسِ جَمِيعا وسَطَا

وليكن كلامك بين المقصر والغالى ، فانك تسلم من الهجنة عند العلماء ومن فتنة الشيطان . وقال أعرابى للحسن « علمنى دينا وسطا ، لا ذاهبا شطوطا ولا هابطا هبوطا » فقال الحسن « لئن قلت ذاك ان خير الامور أوساطها » وجاء فى الحديث « خالطوا الناس وزايلوهم ٢ » وقال عبد الله بن مسعود فى خطبته « وخير الامور أوساطها وما قل وكفى خير مما كثر وألهى نفس تنجيها خير من امارة لاتحصيها ٣ » وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه « كن فى الدنيا وسطا وامش جانبا » وكانوا

١ كاملا ٢ : المزايلة : المفارقة والمباينة ٣ سيأتى هذا الكلام فى ص ٢٧ من الجزء الثانى

يقولون « اكره الغلو كما تكره التقصير » وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لاصحابه « قولوا بقولكم ولا يستحوذن عليكم الشيطان » وكان يقول « وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد ألسنتهم »

## *( باب من الخطب القصار من خطب السلف ومواعظ النساك )*

### « وتأديب من تاديب العلماء »

قال رجل لابي هريرة النحوى « أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه » قال « كفى بترك العلم إضاعة » وسمع الاحنف رجلا يقول « التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر » فقال الاحنف « الكبير أكبر الناس عقلا ولكنه أشغل قلبا » وقال أبو الدرداء « مالى أرى علماءكم يذهبون ، وجهالكم لا يتعلمون » وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » قال ولذلك قال عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه حين دلى زيد بن ثابت فى القبر « من سره أن يرى كيف ذهاب العلم فلينظر ، فهكذا ذهابه » وقال بعض الشعراء لبعض العلماء :

أَبَعِدْتَ مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارَ فَمَا ... جَاوَزْتَ حَيْثُ انْتَهَى بِكَ الْقَدَرُ
لَوْ كَانَ يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَذَرٌ ... نَجَّاكَ مِمَّا أَصَابَكَ الْحَذَرُ
يَرْحَمُكَ اللَّهُ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ ... لَمْ يَكُ فِي صَفْوِ وُدِّهِ كَدَرُ
فَهَكَذَا يَفْسُدُ الزَّمَانُ وَيَفْـ ... ـنِي الْعِلْمُ مِنْهُ وَيَدْرُسُ الأَثَرُ

قال وقال قتادة « لو كان أحد مكتفيا من العلم لاكتفى نبى الله موسى عليه السلام اذ قال للعبد الصالح : هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا . أبو العباس التميمى قال قال طاووس « الكلمة الصالحة صدقة » وعن عبد الله بن ثمامة بن أنس عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « فضل لسانك تعبر به عن أخيك الذى لا لسان له صدقة » [1] وقال الخليل « تكثر من العلم لتعرف وتقلل

١ سيأتى هذا فى ص ١٩ من الجزء الثانى وله هناك بقية

منه لتحفظ » وقال الفضيل « نعمت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها الى أخيه » وكان يقال « اجعل مافى الكتب بيت مال وما فى قلبك للنفقة » وكان يقال « يكتب الرجل أحسن ماسمع ويحفظ أحسن ما كتب » وقال أعرابى « حرف فى قلبك خير من عشرة فى طومارك ١ » وقال عمر بن عبد العزيز « ماقرن شيء بشيء أفضل من علم الى حلم ومن عفو الى قدرة » وكان ميمون بن سياه اذا جلس الى قوم قال « انا قوم منقطع بنا فحدثونا أحاديث نتحمل بها » قال ونخر سليم مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاوية « أسكت فوالله ما أدرك صاحبك شيئا بسيفه الا وقد أدركت أكثر منه بلسانى » قال وضرب الحجاج أعناق أسرى فلما قدموا اليه رجلا ليضرب عنقه قال « والله لئن كنا أسانا فى الذنب فما أحسنت فى العفو » فقال الحجاج « أف لهذه الجيف أما كان فيها أحد يحسن مثل هذا » وأمسك عن القتل . وقال بشير الرحال « انى لاجد فى قلبى حرا لايذهبه الابرد العدل أوحر السنان » قال وقدموا رجلا من الخوارج الى عبد الملك لتضرب عنقه — ودخل على عبد الملك ابن صغير له قد ضربه المعلم وهو يبكى — فهمّ عبد الملك بالمعلم فقال « دعه يبكى فانه أفتح لجرمه وأصح لبصره وأذهب لصوته » فقال له عبد الملك « أما يشغلك ماأنت فيه عن هذا » قال « ماينبغى للمسلم أن يشغله عن قول الحق شيء » فامر بتخلية سبيله . وقال ابراهيم بن أدهم « أعربنا فى كلامنا فما نلحن حرفا ولحنا فى أعمالنا فما نعرب حرفا » وأنشد :

نُرَقِّعُ دُنْيانا بتَمْزِيقِ دِينِنا ... فَلاَ دِينُنا يَبْقَى ولاَ ما نُرَقِّعُ

قال وقال زياد على المنبر « ان الرجل ليتكلم بالكلمة مايقطع بها ذنب عنز صورى لو بلغت امامه سفك بها دمه » قال وعزل عمر زيادا عن كتابة أبى موسى فى بعض قدماته فقال له زياد « أعن عجز أم عن خيانة » قال « لاعن واحدة منهما ، ولكن أكره أن أحمل على العامة فضل عقلك » قال وبلغ الحجاج موت أسماء بن خارجة فقال « هل سمعتم بالذى عاش ماشاء ومات حين شاء » قال وكان يقال « كدر الجماعة خير من صفو الفرقة » قال أبو الحسن : مر عمر بن ذر بعبد الله بن عياش المنتوف وقد كان سفه عليه ثم أعرض عنه فتعلق بثوبه فقال « ياهناة انا لم نجد لك اذ عصيت الله فينا خيرا من أن نطيع الله فيك » وهذا كلام أخذه عمر ابن ذر عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حين قال عمر « انى والله لا أدع

حقا لله لشكاية تظهر ، ولا لغضب يحتمل ، ولا لمحاباة بشر . وانك والله ماعاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه » قال وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى سعد بن أبى وقاص « ياسعد سعد بنى وهيب ، ان الله اذا أحب عبدا حببه الى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أن مالك عند الله مثل الذى لله عندك » قال ومات لعمر بن ذرّ ابن ، فقال « أى بنى ، شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك » قال وقال رجل من مجاشع : كان الحسن يخطب فى دم فينا فاجابه رجل فقال « قد تركت ذلك لله ولوجوهكم » فقال الحسن « لاتقل هكذا ، بل قل : لله ثم لوجوهكم ، وآجرك الله » قال ومر رجل بابى بكر رضى الله تعالى عنه ومعه ثوب فقال « أتبيع الثوب » فقال « لا ، عفاك الله » فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه « لقد علمتم لو كنتم تعلمون ، قل : لا وعافاك الله » وسال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا عن شىء فقال « الله أعلم » فقال عمر « لقد شقينا إن كنا لانعلم أن الله أعلم ، اذا سئل أحدكم عن شىء لايعلمه فليقل : لاعلم لى » قال وكان أبو الدرداء يقول « أبغض الناس الىّ أن أظلمه من لايستعين علىّ باحد الا بالله » وذكر ابن ذرّ الدنيا فقال « كانكم انما زادكم فى حرصكم عليها ذم الله عز وجل لها » ونظر أعرابى الى مال له كثير من الماشية وغيرها فقال « يُنْـمَـة ، واكل يُـنْـمَـة استحشاف [1] » فباع ماهنالك من ماله ثم لزم ثغرا من ثغور المسلمين حتى مات فيه . قال وتمنى قوم عند يزيد الرقاشى فقال « أتمنى كما تمنيتم » قالوا « تمنه » قال « ليتنا لم نخلق ، وليتنا إذ خلقنا لم نعص ، وليتنا اذ عصينا لم نمت ، وليتنا إذ متنا لم نُبعث ، وليتنا اذ بعثنا لم نحاسب ، وليتنا إذ حوسبنا لم نعذب ، وليتنا إذ عذبنا لم نخلد » وقال الحجاج « ليت الله إذ خلقنا للآخرة كفانا أمر الدنيا ، فرفع عنا الهم بالمأكل والمشرب والملبس والمنكح ، أوليته إذ وقعنا فى هذه الدار كفانا أمر الآخرة فرفع عنا الاهتمام بما ينجى من عذابه » فبلغ كلامهما عبد الله بن حسن بن حسن أو على بن الحسين فقال « ما علما شيئاً فى التمنى ، ما اختار الله فهو خير » قال أبو الدرداء « من هوان الدنيا على الله أنه لايعصى إلا فيها ، ولا ينال ماعنده الا بتركها » قال شريح « الحدة كناية عن الجهل » وقال أبو عبيدة « العارضة كناية عن البذاء » قال « واذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل ، واذا قالوا للعامل مستقصٍ فهو كناية عن الجور » وقال حبيب

---

[1] الينمة : واحدة الينع وهى شجر من جل الشجر . والاستحشاف : التقبض واليبس

ابن أوس الشاعر أبو تمام الطائي :

كذبتم ليس يزهى (١) من له حسب ... ومن له نسب عمن له أدب
انى لذو عجب منكم أردده ... فيكم وفي عجبي من زهوكم عجب
لجاجة بي فيكم ليس يشبهها ... الا لجاجتكم في أنكم عرب

وقيل لاعرابية مات ابنها « ما أحسن عزاءك عن ابنك » قالت « ان مصيبته آمنتني من المصائب بعده » قال وقال سعيد بن عثمان بن عفان لطويس المغني « أينا أسن أنا أو أنت ياطويس » فقال « بأبي أنت وأمي لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب » فانظر الى حذقه والى معرفته بمخارج الكلام كيف لم يقل : بزفاف أمك الطيبة الى أبيك المبارك . وهكذا كان وجه الكلام فقلب المعنى . قال وقال رجل من أهل الشام « كنت في حلقة أبي مسهر في مسجد دمشق ، فذكرنا الكلام و براعته والصمت ونبلته ، قال : كلا ان النجم ليس كالقمر ، انك تصف الصمت بالكلام ولا تصف الكلام بالصمت » وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيبا « يا بني ، اذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب ، واذا أكثرت من الكلام أقللت من الصواب » قال « ياأبة ، فان أنا أكثرت وأكثرت » يعني كلاما وصوابا ، قال « يا بني ما رأيت موعوظا ٢ أحق بان يكون واعظا منك » قال وقال ابن عباس « لولا الوسواس ما باليت أن لا أكلم الناس » قال وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه « ماتستبقوا من الدنيا تجدوه في الآخرة » وقال رجل للحسن « أني أكره الموت » قال « ذلك أنك أخرت مالك ، ولو قدمته لسرك أن تلحق به » قال وقال عامر بن الظرب العدواني « الرأي نائم والهوى يقظان ، فمن هنا يغلب الهوى الرأي » وقال « مكتوب في الحكمة : أشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكر لك » وقال بعضهم وهو أبو الدرداء « أيها الناس ، لا يمنعكم سوء ماتعلمون منا أن تقبلوا أحسن ماتسمعون منا » وقال عبد الملك على المنبر « ألا تنصفوننا يامعشر الرعية ، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولم تسيروا في أنفسكم ولا فينا سيرة رعية أبي بكر وعمر . نسال الله أن يعين كلا على كل » قال وقال رجل من العرب « أربع لايشبعن من أربع : أنثى من ذكر ،

---

١ لايتيه ولا يتكبر . والخطاب موجه الى بني لهيعة لانه يهجو عياش بن لهيعة ٢ خ : موعظا

وعين من نظر ، وأرض من مطر ، وأذن من خبر » قال : وقال موسى عليه السلام لأهله « امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر » فقال قال بعض المعترضين : فقد قال « أو آتيكم بشهاب قبس » قال أبو عقيل : لم يعرف موقع النار من أبناء السبيل ومن الجائع المقرور . وقال لبيد بن ربيعة :

وَمَقامٍ ضَيِّقٍ فَرَّجْتُهُ ... بِبَيانٍ ولِسانٍ وجَدَلْ
لَوْ يَقومُ الفيلُ أو فَيّالُهُ ... زَلَّ عن مِثلِ مقامي وزَحَلْ
وَلَدَى النُّعْمانِ مِنّي مَوْطِنٌ ... بَيْنَ فَأثورِ أُفاقٍ فالدَّحَلْ (١)
إذْ دَعَتْني عامِرٌ أنْصُرُها ... فالْتَقَى الألْسُنُ كالنَّبْلِ الدُّوَلْ (٢)
فَرَمَيْتُ القَوْمَ رِشْقاً صائِباً ... لَيسَ بالعُصْلِ ولا بالمُفْتَعَلْ (٣)
وانْتَضَلْنا وابنُ سَلْمَى قاعِدٌ ... كَعَتيقِ الطَّيْرِ يُغْضِي ويُجَلْ
وقَبيلٌ مِن لُكَيْزٍ شاهِدٌ ... رَهْطَ مَرْجومٍ ورَهْطَ ابنِ المُعَلّ

وقال :

وأبيضُ يجتابُ الخُروقَ على الوَجى (٤) ... خَطيباً اذا التَفَّ المَجامِعُ فاصِلا

وقال لبيد :

لوْ كانَ حيٌّ في الحياةِ مُخلَّداً ... في الدَّهرِ أدْرَكَهُ أبو يَكْسومِ
بِكتائِبٍ خُرْسٍ تَعوَّدَ كَبْشُها ... نَطْحَ الكِباشِ شَبيهةٍ بِنُجومِ
ولَقَدْ بَلَوْتُكَ وابْتَلَيْتُ خَليقَتي ... ولَقَدْ كَفاكَ مُعَلِّمي تَعْليمي

وقد قال أيضا لبيد :

ذَهَبَ الّذينَ يُعاشُ في أكْنافِهِمْ ... وبَقيتُ في خَلْفٍ كَجِلْدِ الأجْرَبِ

---

١ فأثور : موضع أو واد في نجد . والدحل : ماء نجدي . قال ياقوت أظنه لغطفان ٢ النبل المتداول
٣ الرشق « بكسر الراء » الاسم من رشق النبل وهو رميه . والعصل : جمع أعصل وهو السهم المعوج . والمفتعل : السهم الذي لم يبر بريا جيدا ٤ يجتاب : يقطع . الخروق : جمع خرق وهي الارض الواسعة تتخرق فيها الرياح . والوجى : الحفا وهو أن يرق القدم أو الفرسن أو الحافر .

يتأكّلون مغالةً وخيانةً (١)   ويُعابُ قائلُهُمْ وانْ لمْ يَشْغَبِ

وقال زيد بن جندب فى ذكر الشغب :

ما كانَ أغنى رجالاً ضلَّ سعيُهمُ   عن الجدالِ وأغناهمْ عن الشَّغَبِ

وقال آخر فى الشغب :

إنّى إذا عاقبتُ ذُو عِقابِ   وإنْ تُشاغِبْنِي فذُو شِغابِ

وقال أحمر بن العمرّد :

وكَمْ حلّها من تيّحانٍ سَمَيْذَعٍ (٢)   مُصافى النّدَى ساقٍ بسَهْماءَ مُطْعِمِ

طَوِى البطْنِ مِتلافٍ إذا هبَّت الصَّبا   على الامرِ غوّاصٍ وفى الحيّ شَيْظَمِ (٣)

وقال :

هلْ لامنى قومٌ لمَوْقِفِ سائلٍ   أوْ فى مخاصمةِ اللّجُوجِ الاصْيَدِ

وقال فى التطبيق :

فَلمّا أنْ بدا القَعْقاعُ لجّتْ   على شَرَكٍ تُناقلُهُ نِقالا

تَعاوَرْنَ الحديثَ وطبّقْتَهُ   كما طَبَّقْتَ بالنَّعْلِ المِثالا

وهذا التطبيق غير التطبيق الاول . وقال آخر :

لوْ كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيفَ لى   بالعِلْمِ بعدَ تدبّرِ الامْرِ (٤)

وقال المعترض على أصحاب الخطابة والبلاغة ، قال لقمان لابنه « يا بنى ، انى قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت » وقال الشاعر :

ما انْ ندِمْتُ على سكُوتِى مرّةً   ولقدْ ندِمْتُ على الكلامِ مِرارا

وقال آخر :

خلِّ جنبيْكَ لِرامِ   وامْضِ عنْهُ بسَلامِ

مُتْ بداءِ الصّمْتِ خيرٌ   لكَ من داءِ الكلامِ

---

١ المغالة المهلكة ٢ التيحان : الذى يعرض فيما لا يعنيه . والسميذع : السيد الكريم الشريف
٣ طرى البطن : ضامره . والشيظم : الاسد ٤ سبق هذا فى ص ٣ من هذا الجزء

إنَّما المُسْلِمُ من     أَلْجَمَ فاهُ بِلِجامِ

وقال آخر فى التحذير والاحتراس :

اخْفِضِ الصَّوتَ ان نَطَقْتَ بِلَيْلٍ     والتَفِتْ بالنَّهارِ قَبلَ الكلامِ

وقال فى مثل ذلك :

لاأسألُ النَّاسَ عمَّا في ضَمائِرِ هِمْ     مافى ضَميرِي لَهمْ مِنّي سيَكْفيني

وقال حمزة بن بيض :

لَم يَكنْ عنْ جِنايةٍ لَحِقَتْني     لايَسارِى ولا يَميِني جَنَتْني

بَلْ جَناها أَخٌ عليَّ كريمٌ     وعلى أَهْلِها بَرَاقِشُ تجْني

لان هذه الكلبة – وهى براقش – انما نبحت غزيا وقد مرّوا من ورائهم وقد رجعوا خائبين خفقين ، فلما نبحتهم استدلوا بنباحها على أهلها فاستباحوهم ، ولو سكتت كانوا قد سلموا . فضرب ابن بيض به المثل . وقال الاخطل :

تَنِقُّ بلا شيءٍ شُيوخُ محارِبٍ     وما خِلْتُها كانَتْ تَرِيشُ ولا تَبْري

ضَفادِعُ في ظَلْماءِ لَيلٍ تجاوَبَتْ     فَدَلَّ عَليها صَوْتُها حيَّةَ النَّهرِ

النقيق صياح الضفادع . وقالوا «الصمت حكم وقليل فاعله» وقالوا «استكثرْ من الهيبة صامت» وقيل لرجل من كلب طويل الصمت «بحق ماسمتكم العلماء خُرْسَ العرب» فقال « أسكت فاسلم وأسمع فاعلم » وكانوا يقولون «لاتعدلوابالسلامة شيئاً » ولاتسمع الناس يقولون : جُلد فلان حين صمت ، ولاقُتل حين سكت . وتسمعهم يقولون : جلد فلان حين قال كذا وكذا ، وقتل حين قال كذا وكذا . وفى الحديث المأثور « رحم الله من سكت فسلم ، أو قال خيرا فغنم » والسلامة فوق الغنيمة لان السلامة أصل والغنيمة فرع . وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم «ان الله يبغض البليغ الذى يتخلل بلسانه كما تخلل الباقرة بلسانها [١] » وقيل « ان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب » . وقال صاحب البلاغة والخطابة وأهل البيان وحب التبيين : انما عاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المتشادقين والثرثارين والذى يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة بلسانها ، والاعرابى المتشادق وهو الذى يصنع بفكيه وشدقيه مالا يَسْتَجيزُهُ أهل الادب من خطباء أهل المدر ، فن تكلف ذلك

١ سبق فى ص ٣٦ من هذا الجزء

منهم فهو أعيب والذم له ألزم . وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ، ولم يكن الناس جميعا يتمثلون بها الا لما فيها من المرفق والانتفاع ، ومدار العلم على الشاهد والمثل

وانما حثوا على الصمت لان العامة الى معرفة خطأ القول أسرع منهم الى معرفة خطأ الصمت . ومعنى الصامت فى صمته أخفى من معنى القائل فى قوله ، والا فالسكوت عن قول الحق فى معنى النطق بالباطل

ولعمرى ان الناس الى الكلام لاسرع ، لان فى أصل التركيب أن الحاجة الى القول والعمل أكثر من الحاجة الى ترك العمل والسكوت عن جميع القول . وليس الصمت كله أفضل من الكلام كله ، ولا الكلام كله أفضل من السكوت كله ، بل قد علمنا أن عامة الكلام أفضل من عامة السكوت . وقد قال الله عز وجل « سماعون للكذب أكالون للسحت » فجعل سمعه وكذبه سواء وقال الشاعر :

يَنِى عَدِىٍّ أَلا يَنْهَى سَفِيهَكُمُ ... انَّ السَّفِيهَ اذا لَمْ يُنْهَ مأْمُورُ

وقال الآخر :

فانْ أَنا لَمْ آمُرْ ولَمْ أَنْهَ عَنْكُما ... ضَحِكْتُ لهُ حَتَّى يَلَجَّ ويَسْتَشْرِي

وكيف يكون الصمت أنفع والايثار له أفضل ، ونفعه لايكاد يجاوز رأس صاحبه ، ونفع الكلام يعم ويخص . والرواة لم يرووا سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين . وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت . ومواضع الصمت المحمودة قليلة ، ومواضع الكلام المحمودة كثيرة . وطول الصمت يفسد البيان . وقال بكر بن عبد الله المزنى « طول الصمت حبسة » كما قال عمر « ترك الحركة عقلة » واذا ترك الانسان القول ماتت خواطره وتبلدت نفسه وفسد حسه . وكانوا يروون صبيانهم الارجاز ، ويعلمونهم المناقلات ، ويأمرونهم برفع الصوت ، وتحقيق الاعراب . لان ذلك يفتق اللهات ، ويفتح الجرم . واللسان اذا أكثرت تحريكه رق ولان ، واذا أقللت تقليبه وأطلت اسكاته جسأ وغلظ . وقال عباية الجعفى « لولا الدربة وسوء العادة لامرت فتياننا أن يمارى بعضهم بعضا » وأية جارحة منعتها الحركة ولم تمرنها على الاعمال أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع . فلم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للنابغة الجعدى « لا يفضض الله فاك » ولم قال لكعب بن مالك « ما نسى الله لك مقالك ذلك » ولم قال لهيذان بن شيخ « رب خطيب من عبس » ولم قال لحسان لما هيج الغطاريف على بنى عبد

مناف « والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غبش الظلام » وما نشك أنه عليه وعلى آله السلام قد نهى عن المراء وعن التزيد والتكلف وعن كل ماضارع الرياء أو السمعة والتفج ١ والبذخ وعن التهاتر والتشاغب وعن المغالبة والمماتنة . قال فاما نفس البيان فكيف ينهى عنه وأبين الكلام كلام الله وهو الذى مدح التبيين وأهل التفضيل. وفى هذا كفاية ان شاء الله

قال دغفل بن حنظلة ان للعلم أربعاً : آفة ونكداً واضاعة واستجاعة . فآفته النسيان ، ونكده الكذب ، واضاعته وضعه فى غير موضعه ، واستجاعته أنك تشبع منه . وانما عاب الاستجاعة لسوء تدبير أكثر العلماء ولخرق سياسة أكثر الرواة ، لان الرواة اذا شغلوا عقولهم بالازدياد والجمع عن تحفظ ماقد حصلوه وتدبر ماقد دونوه كان ذلك الازدياد داعياً الى النقصان وذلك الربح سببا للخسران . وقد جاء فى الحديث « منهومان لايشبعان : منهوم فى العلم ومنهوم فى المال » وقالوا « علم علمك وتعلم علم غيرك ، فاذا أنت قد علمت ماجهلت وحفظت ماعلمت » وقال الخليل بن أحمد « اجعل تعليمك دراسة لعلمك ، واجعل مناظرة المتعلم تنبيها لك على ماليس عندك » وقال بعضهم وأظنه بكر بن عبد الله المزنى « لاتكدوا هذه القلوب ولا تهملوها ، فخير الكلام ما كان عقب الجمام ٢ ، ومن أكره بصره عشى . وعاودوا الفكر عند نبوات القلوب ، واشحذوها بالمذاكرة ، ولا تيأسوا من اصابة الحكمة اذا امتحنتم ببعض الاستغلاق فان من أدام قرع الباب ولج » وقال الشاعر :

اذا المرءُ أعيتهُ المرُوءةُ ناشئاً ... فمطلبُها كهلاً عليهِ شديدُ

وقال الاحنف « السؤدد مع السواد ٣ » وتقول الحكماء « من لم ينطق بالحكمة قبل الاربعين لم يبلغ فيها » وأنشد :

وَدُونَ النَّدَى فى كلّ قلبٍ ثَنيةٌ ... لَهامَصعَدٌ حَزنٌ ومُنحدَرٌ سَهلُ

وَوَدَّ الفتى فى كلّ نيلٍ يُنيلُهُ ... اذا ماانقضَى لوأنَّ نائلهُ جزلُ

وقال الهذلى :

وانَّ سيادَةَ الاقوامِ فاعلَمْ ... لَها صَعْداءُ مَطلبُها طَويلُ

---

١ تفج الانسان : فخر بما ليس عنده ٢ الراحة ٣ أى مع سواد الشعر ، يريد فى حال الشباب

أَتَرْجُو أَنْ تَسُودَ وَلَنْ تَعَنَّى　　وَكَيْفَ يَسُودُ ذُو الدَّعَةِ البَخِيلُ

صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال « ماراأيت عقول الناس الا قريبا بعضها من بعض ، الا ما كان من الحجاج واياس بن معاوية فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس » أبو الحسن قال سمعت أبا الضمرى الحارثى يقول « كان الحجاج أحمق ، بنى مدينة واسط فى بادية النبط ثم قال لهم : لاتدخلوها . فلما مات دلفوا اليها من قريب » سمعت قحطبة الجشمى يقول « كان أهل البصرة لايشكون أنه لم يكن بالبصرة رجل أعقل من عبيد الله بن الحسن وعبيد الله ابن سالم » وقال معاوية لعمرو بن العاص « ان أهل العراق قد قرنوا بك رجلا طويل اللسان قصير الرأى ، فأجد الحز وطبق المفصل ، واياك أن تلقاه برأيك كله [١] »

( باب ماقالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المحذوف القليل الفضول )

قال الشاعر :

لَها بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ ومَنْطِقٌ　　رَخِيمُ الحَوَاشِى لاهُرَاءٌ ولا نَزْرُ

وقال ابن أحمر :

تَضَعُ الحَدِيثَ على مَوَاضِعِهِ　　وكلامُها مِنْ بَعْدِهِ نَزْرُ

وقال الآخر :

حَدِيثٌ كَطَعْمِ الشَّهْدِ حُلْوٌ صُدُورُهُ　　وأَعْجازُهُ الخُطْبانُ دُونَ المحَارِمِ

وقال بشار :

أُنُسٌ غَرَائِرُ ماهَمَمْنَ بِرِيبَةٍ　　كَظِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ

يُحْسَبْنَ مِنْ أُنْسِ الحَدِيثِ زَوَانِيًا　　وَيَصُدُّهُنَّ عن الخَنَا الاسلامُ

وقال بشار :

فَنَعِمْنَا والعَيْنُ حَيٌّ كَمِيتٍ　　بِحَدِيثٍ كَنَشْوَةِ الخَنْدَرِيسِ [٢]

وقال بشار :

---

١ سبق هذا فى ص ٩٦ من هذا الجزء　٢ الخمرة

وكأنَّ رَفضَ حَدِيثِها (١) قِطَعُ الرِّياضِ كُسِينَ زَهْرا
وتَخالُ ما جمعتْ عليْهِ ثِيابُها ذَهَباً وعِطْرا
وكأنَّ تحتَ لِسانِها هارُوتَ يَنفثُ فيهِ سِحْرا

وقال بشار العقيلى :

وفَتاةٍ صبَّ الجَمالُ عليْها بِحَدِيثٍ كَلَذَّةِ النَّشْوانِ

وقال بشار :

وبِكْرٍ كَنُوّارِ الرِّياضِ حَدِيثُها تَرُوقُ بِوَجْهٍ وَاضِحٍ وقَوَامِ

وقال بشار :

وحَدِيثٍ كأنَّهُ قِطَعُ الرَّوْ ضِ وفِيهِ الصَّفْراءُ والحَمْراءُ

وقال الاخطل :

فأَسْرَيْنَ خَمْساً ثُمَّ أَصْبَحْنَ غُدْوَةً يُخَبِّرْنَ أَخْباراً أَلَذَّ مِنَ الخَمْرِ

أخبرنا عامر بن صالح أن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز كتب الى امرأته وعنده اخوان له :

إنَّ عندى أَبقاكِ رَبُّكِ ضَيْفاً واجِباً حَقُّهمْ كُهُولاً ومُرْدَا
طَرَقُوا (٢) جارَكِ الَّذِى كانَ قِدْماً لا يَرَى مِنْ كَرامةِ الضَّيْفِ بُدَّا
فَلَدَيْهِ أَضْيافُهُ قَدْ قَرَاهُمْ وهُمُ يَشْتَهُونَ تَمْراً وزُبْدَا
فَلِهذَا جَرَى الحَدِيثُ ولكنْ قَدْ جَعَلْنا بَعْضَ المَزاحةِ جِدَّا

وأنشد الهذلى :

كُرُّوا الأَحادِيثَ عَنْ لَيْلَى اذا بَعُدَتْ انَّ الأَحادِيثَ عَنْ لَيْلَى لَتُلْهِينِى

وقال الهذلى فى حلاوة الحديث :

---

١ لعله مستعار من رفض اللبن والماء وهو القليل منه ٢ خ : تركوا

وانَّ حَدِيثاً مِنْكِ لَوْ تَبذُلِينَهُ جَنَى النَّحْلِ أَو أَلْبَانُ عُوذٍ مَطَافِلِ

العوذ جمع عائذ وهى الناقة اذا وضعت . فاذا مشى ولدها فهى مرشح . فاذا تبعها فهى متلية لانه يتلوها . وهى فى هذا كله مطفل . فان كان أول ولد لها ولدته فهى بكر

مَطَافِيلُ أَبْكارٌ حَدِيثٌ نِتاجُها تُشَابُ بِماءٍ مِثْلِ ماءِ المَفَاصِلِ

ماء المفاصل فيه قولان : أحدهما أن المفاصل ما بين الجبلين واحدها مفصل ، وانما أراد صفاء الماء لانه ينحدر عن الجبال ولا يمر بطين ولا تراب . ويقال انها مفاصل البعير وذكروا أن فيها ماء له صفاء وعذوبة

وفى الكلام الموزون يقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

الْزَمِ الصَّمْتَ انَّ فى الصَّمْتِ حُكْماً وإذا أَنْتَ قُلْتَ قَوْلاً فَزِنْهُ

وقال أبو ذؤيب :

وَسِرْبٍ يُطَلَّى بالعَبِيرِ كأَنَّهُ دِماءُ ظِباءٍ بالنُّحُورِ ذَبِيحِ

بَذَلْتَ لَهُنَّ القَوْلَ انَّكَ واجِدٌ لِما شِئْتَ مِنْ حُلْوِ الكَلامِ فَصِيحِ

السرب الجماعة من النساء والبقر والطير والظباء ، بكسر السين ، ويقال فلان آمن السرب بفتح السين وخلى السرب وواسع السرب أى المسالك والمذاهب ، وانما هو مثل مضروب للصدر والقلب ، وعن الاصمعى فلان واسع السرب مكسور أى واسع الصدر بطئ التانيب

قال وأنشد للحكم ابن ريحان من بنى عمرو بن كلاب :

يا أَجْدَلَ النَّاسِ انْ جادَلْتَهُ جَدَلاً وأَكْثَرَ النَّاسِ انْ عاتَبْتَهُ عِلَلاً

كأَنَّما عَسَلٌ رُجْعانُ مَنْطِقِها انْ كانَ رَجْعُ الكَلامِ يُشْبِهُ العَسَلا

وقال القطامى :

وفى الخُدُورِ غَمامَاتٌ بَرَقْنَ لَنا حتَّى تَصَيَّدْنَنا مِنْ كُلِّ مُصْطادِ

فَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ مَوَاقِعَ الماءِ مِنْ ذِى الغُلَّةِ الصَّادِى

ينبذن يلقين . الغلة والغليل العطش الشديد . والصادى العطشان أيضا ، والاسم الصدى . وقال الاخطل :

شمسٌ اذا خَطِلَ (١) الحديثُ أوانسٌ    يُرقِبْنَ كلَّ مُرَقَّبٍ تِنبالُ

التنبال القصير ، والجذر مثله . والشمس النوافر

أُنُفٌ كانَّ حَدِيثَهنَّ تَنادُمٌ    بالكاسِ كلُّ عَقيلَةٍ مِكسالُ

الانف جمع الانفة وهى المنكرة للشيء غير راضية عنه . العقيلة المصونة فى اهلها ، وعقيلة كل شيء خيرته . والمكسال ذات الكسل عن الحركة . وقال أبو العميثل :

لَقيتُ ابنةَ السهميِّ زينبَ مِنْ غُفْرِ    ونحنُ حَرامٌ (٢) مُسْيَ عاشِرَةِ العَشْرِ

* وانّي وايّاها لَحَتْمٌ مَبيتُنا    جَميعاً ومَسْرانا مُغِذٌّ وذو فَتْرِ (٣)

فَكَلَّمتُها ثِنْتَيْنِ كالثَّلجِ مِنهُما    على اللَّوحِ والأُخرى أحَرُّ مِنَ الجَمْرِ

تقول مايلقانا فلان الا عن غفر أى بعد مدة . مسى أى وقت المساء . ويقال أغذ السير اذا جد فيه وأسرع . واللوح بالفتح العطش يقال لاح الرجل يلوح لوحا ، والتاح يلتاح التياحا اذا عطش ، واللوح أيضا الذى يكتب فيه ، واللوح بالضم الهواء يقال لا أفعل ذلك لو نزوت فى اللوح أو حتى تنزو فى اللوح . وأنشد :

وانّا لَتَجري بيننا حينَ نلتقي    حديثاً لهُ وَشْيٌ كَوَشْيِ المَطارِفَ

حديثٌ كَطَعمِ القَطرِ في المَحلِ يُشتفى    بهِ مِنْ جَوًى في داخِلِ القلبِ لاطِفِ

وقال الشماخ بن ضرار التغلبي :

يَقَرُّ بعيني أن أُنَبَّأَ أنّها    وانْ لم أنَلْها أيِّمٌ لم تُزَوَّجِ

وكُنتُ اذا لاقيتُها كانَ سِرُّنا    ومابيننا مِثلَ الشِّواءِ المُلَهْوَجِ (٤)

يريد أنهما من خوف الرقباء كانا على عجلة . والملهوج المعجل الذى لم ينتظر به النضج . وقال جران العود :

فَنِلْنا سِقاطاً مِنْ حَديثٍ كأنّهُ    جَنى النَّحلِ أو أبكارُ كَرْمٍ يُقَطَّفُ (٥)

حديثاً لَوَ انَّ البَقلَ يُولى بمِثلِهِ    زَها البَقلُ واخضَرَّ العِضاهُ المُصيِّفُ (٦)

١ فسد ٢ يقال رجل وامرأة حرام اذا دخلا فى شيء حرم عليهما به ما كان حلالا كالحج وغيره . وجمعه حرم بضمتين ٣ ذو ضعف ٤ اللحم الذى لم ينعم شيه ٥ ساقطهم الحديث سقاطا : حادثهم شيئا بعد شيء . كرم بكر : حمل أول حمله ٦ العضاه : كل شجر يعظم وله شوك

وقال الكميت :

وحَدِيثُهُنَّ اذا التقَيْنَ ... تَهاتُفُ البِيضِ الغَرائِرِ (١)

فاذا ضَحِكْنَ عَنِ العِذابِ ... لنا المُسَفَّاتِ الثَّواغِرْ (٢)

كانَ التَّهَلُّلُ بالتَّبَسُّمِ ... لاالقَهاهَةُ بالقَراقِرْ (٣)

وقال الآخر :

ولَمَّا تَلاقَيْنا جَرَى مِنْ عُيُونِنا ... دُمُوعٌ كَفَفْنا غَرْبَها بالاَصابِعِ

ونِلْنا سِقاطاً مِنْ حَدِيثٍ كأَنَّهُ ... جَنَى النحلِ مَمزُوجاً بماءِ الوَقائعِ (٤)

وقال الاشعب بن سمى :

هَلْ تَعرِفُ المَبْدا الى السَّنامِ ... ناطَ بِهِ سَواحِرَ الكَلامِ

كَلامُهُنَّ بُرْءُ ذي السَّقامِ

وقال الراجز و وصف عيون الظباء بالسحر وذكر قوسا صفراء فقال :

صَفْراءُ فَرْعٌ خَطْمُوها بِوَتَرْ ... لأْمٌ مُمَرٌّ مِثلُ حُلْقُومِ النُّغَرْ (٥)

حَدَتْ ظُباتِ أَسْهُمٍ مِثلِ الشَّرَرْ ... فَصَرَعَتْهُنَّ بأَكْنافِ الحَفَرْ (٦)

حُورَ العُيُونِ بابلِيَّاتِ النَّظَرْ ... يَحْسَبُها النَّاظِرُ مِنْ وَحْشِ البَشَرْ

ويروى « البقر »

## *( باب آخر من الاسجاع فى الكلام )*

قال عمر بن ذر « الله المستعان على ألسنة تصف ، وقلوب تعرف ، وأعمال تخلف ».

---

١ تهاتفت النساء : تضاحكت فى فتور كضحك المستهزئ ٢ العذاب : صفة لموصوف محذوف وهو الثنايا • والمسف : المتتبع مداق الامور • وأثغر فلان : دق فمه ٣ القهاهة : العى • والقراقر : جمع قرقرة وهى الضحك العالى ٤ الوقائع : جمع وقيعة وهى نقرة فى صخرة يجتمع فيها الماء ، واشتقاقه من توقيع الحديدة بالميقعة أى ضربها • والبيتان لذى الرمة ٥ الفرع : القوس غير المشقوقة • سهم لأم : عليه ريش يلائم بعضه بعضا : الممر : المفتول فتلا شديدا • النغر : البلبل ٦ الحفر : البئر الموسعة ٩ الوشل : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره • والدقل : أردأ التمر

ولما مدح عتيبة بن مرداس عبد الله بن عباس قال « لا أعطى من يعصى الرحمن ، ويطيع الشيطان ، ويقول البهتان » وفى الحديث المأثور « يقول العبد : مالى مالى ، وانما لك من مالك ما أكلت فافنيت ، أو أعطيت فامضيت ، أو لبست فابليت » وقال النمر بن تولب :

أعاذلُ انْ يُصْبِحْ صَدايَ بقفرةٍ     بَعيداً فآتى صاحِبي وقَريبي

تَرَىْ أنّ ما أبقيتُ لَمْ أكُ ربَّهُ     وانَّ الذى أنفقْتُ كانَ نَصيبِي

الصدى طائر يخرج من قبر الميت فينعى اليه ضعف وليه وعجزه ، وهذا كانت العرب تقوله فى الجاهلية ، وهو هاهنا مستعار أى ان أصبحت أنا

ووصف أعرابى رجلا فقال « صغير القدر ، قصير الشبر ، ضيق الصدر ، لئيم النجر ، عظيم الكبر ، كثير الفخر » الشبر القامة . والنجر الطباع . ووصف بعض الخطباء رجلا فقال « ما رأيت أضرب لمثل ، ولا أركب لجل ، ولا أصعد فى قلل منه » وقال « سأل بعض الامراء رسولا قدم من جهة السند : كيف رأيتم البلاد » فقال « ماؤها وشل ، ولصها بطل ، وتمرها دقل . ان كثر الجند بها جاعوا ، وان قلوا بها ضاعوا » وقيل لصعصعة بن معاوية « من أين أقبلت » قال « من الفج العميق » قال « فاين تريد » قال « البيت العتيق » قالوا « هل من مطر » قال « نعم حتى عفا الاثر . وأنضر الشجر . ودهده الحجر » واستجار عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بمحمد بن مروان بنصيبين وتزوج بها امرأة فقال محمد « كيف ترى نصيبين » قال « كثيرة العقارب . قليلة الاقارب » يريد بقوله قليلة كقول القائل « فلان قليل الحياء » ليس يريد أن هنالك حياء وان قل . يضعون قليلا فى موضع ليس . وولى علاء الكلابى عملا خسيسا بعد أن كان على عمل جسيم فقال « العنوق بعد النوق [1] » قال ونظر رجل من النباد الى باب بعض الملوك فقال « باب جديد . وموت عتيد . ونزع شديد . وسفر بعيد » وقيل لبعض العرب « أى شىء تمنى وأى شىء أحب اليك » قال « لواء منشور . والجلوس على السرير . والسلام عليك أيها الامير » وقيل لآخر وصلى ركعتين وأطال فيهما وقد كان أمر بقتله « أجزعت من الموت » فقال « ان أجزع فقد أرى كفنا منشورا . وسيفا مشهورا . وقبرا محفورا » وقال عبد الملك بن مروان لاعرابى « ما أطيبُ الطعام » قال « بكرة

---

[1] العنوق : جمع عناق وهى أنثى المعز قبل استكمالها الحول ، يضرب مثلا : للضيق بعد السعة

سنمة . معتبطة غير ضمنه . فى قدور رذمه . بشفار خذمه . فى غداة شبمه [١] » فقال عبد الملك « وأبيك لقد أطيبت » والشبم البرد . وقالوا « لاتغتر بماصحة الامير اذا غشك الوزير [٢] » وقالوا « من صادق الكذاب أغنوه ، ومن عاداهم أفقروه » وقالو « اجعل قول الكذاب ريحا تكن مستريحا »

وقيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي « لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافي واقامة الوزن » قال « ان كلامى لو كنت لا آمل فيه الا سماع الشاهد لقل خلافى عليك ، ولكنى أريد الغائب والحاضر ، والراهن والغابر ، فالحفظ اليه أسرع ، والآذان [٣] لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلت ، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره » قالوا فقد قيل للذى قال « يارسول الله ، أرأيت من لاشرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، أليس مثل ذلك بطل » فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «أسجع كسجع الجاهلية» قال عبد الصمد : لو أن هذا المتكلم لم يرد الا الاقامة لهذا الوزن لما كان عليه باس ، ولكنه عسى أن يكون أراد ابطالا لحق فتشادق فى كلامه . وقال غير عبدالصمد : وجدنا الشعر من القصيد والرجز قد سمعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستحسنه وأمر به شعراءه ، وعامة أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد قالوا شعرا قليلا كان ذلك أم كثيرا ، وسمعوا واستنشدوا ، فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز ، فكيف يحل ماهو أكثر ويحرم ماهو أقل . وقال غيرهما : اذا لم يطل ذلك ولم تكن القوافى مطلوبة مجتلبة أو ملتمسة متكلفة وكان ذلك كقول الاعرابى لعامل الماء «حلبت ركابى ، وحرقت ثيابى ، وضربت صحابى ، ومنعتنا لى من الماء والكلأ» والركاب مايركب من الابل . قال «أو سجع أيضا» فقال الاعرابى «فكيف أقول» لانه لو قال : حلبت ابلى أو جمالى أو نوقى أو بعرانى أو صرمتى لكان لم يعبر عن حق معناه ، وانما حلبت ركابه ، فكيف يدع الركاب الى غير الركاب . وكذا قوله «حرقت ثيابى ، وضربت صحابى» . لان الكلام اذا قل وقع وقوعا لايجوز تغييره ، واذا طال وجدت فى القوافى مايكون مجتلبا ومطلوبا مستكرها . وفى الحديث المأثور

---

١ البكرة : ناقة فتية . سنمة : عظيمة السنام وهو الحدبة التى فى ظهر البعير والناقة . معتبطة : سخرت لغير علة . غير ضمنة : غير زمنة ومبتلاة فى جسدها من داء أوغيره . قصعة رذمة ورذوم : ممتلئة تصب جوانبها . خذمة : قاطعة . غدوة شبمة : بكرة باردة ٢ سيأتى فى ص ٣٦ من الجزء الثانى

٣ خ : والاذهان

ويدخل على من طعن فى قوله تعالى «تبت يدا أبى لهب» وزعم أنه شعر ، لانه فى تقدير مستفعلن مفاعلن ـ وطعن فى قوله عليه السلام :

هَلْ أنتِ الاّ إصبَعٌ دَميتِ وفى سَبيلِ اللهِ مالَقيتِ(١)

فيقال له : اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن فاعلن كثيرا ، وليس أحد فى الارض يجعل ذلك المقدار شعرا . ولو أن رجلا من الباعة صاح «من يشترى باذنجان» لقد كان تكلم بكلام فى وزن مستفعلن مفعولان ، فكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يقصد الى الشعر . ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ فى جميع الكلام . واذا جاء المقدار الذى يعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالاوزان والقصد اليها كان ذلك شعرا . وهذا قريب والجواب فيه سهل بحمد الله . وسمعت غلاما لصديق لى وكان قد سقى بطنه يقول لغلمان مولاه «اذهبوا بى الى الطبيب وقولوا قد اكتوى» وهذا الكلام يخرج وزنه فاعلاتن مفاعلن مرتين ، وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر بباله قط أن يقول بيت شعر أبدا. ومثل هذا كثير لو تتبعته فى كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته

وكان الذى كره الاسجاع بعينها ـ وان كان دون الشعر فى التكلف والصنعة ـ أن كهان العرب الذين كان أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون اليهم وكانوا يدعون الكهانة وأن مع كل واحد منهم رئيا ٢ من الجن مثل (حازى جهينة) ومثل (شق) و(سطيح) و(عزى سلمة) وأشباههم كانوا يتكهنون ويحكمون بالاسجاع كقوله «والارض والسماء ، والعقاب والصقعاء ٣ ، واقعة يقعاء ٤ ، لقد نفر المجد بنى العشراء ، للمجد والسناء» وهذا الباب كثير . ألا ترى أن (ضمرة بن ضمرة) و(هرم بن قطبة) و(الاقرع بن حابس) و(نفيل بن عبد العزى) كانوا يحكمون وينفرون بالاسجاع وكذلك (ربيعة بن حذار) قالوا فوقع النهى فى ذلك لقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها فيهم وفى صدور كثير منهم . فلما زالت العلة زال التحريم

وقد كان الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فتكون فى تلك الخطب أسجاع كثيرة فلم ينهوا منهم أحدا . وكان الفضل بن عيسى الرقاشي سجاعا فى قصصه وكان عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وأبان بن أبى عياش يأتون مجلسه . قال له داود بن أبى هند : لولا أنك تفسر القرآن برأيك لاتيناك فى مجلسك . قال فهل ترانى أحرم حلالا وأحل

---

١ حقق ابن معصوم ان هذا البيت من انشاده صلى الله عليه وعلى آله وسلم لامن انشائه
٢ جنى يرى فيحجب ٣ الشمس ٤ القطعة من الارض المخالفة لما جاورها . والسنة فيها خصب وجدب

حراما . وانما كان يتلو الآية التى فيها ذكر النار والجنة والحشر والموت وأشباه ذلك وقد كان عبد الصمد بن الفضل وأبو العباس بن القاسم بن يحيى وعامة قصاص البصرة وهم أخطب من الخطباء يجلس اليهم عامة الفقهاء . وقد كان النهى ظاهرا عن مرثية أمية بن أبى الصلت لقتلى أهل بدر كقوله :

هَلاَّ بَكَيْتَ على الكِرَامِ ... بَنِي الكِرَامِ أُولِى المَمَادِحْ

وروى ناس شيئا بذلك فى هجاء الاعشى لعلقمة بن علاثة . فلما زالت العلة زال النهى

وقال أبو واثلة بن خليفة فى عبد الملك بن المهلب :

لَقَدْ صَبَرَتْ للذُّلِّ أَعْوادُ مِنْبَرٍ ... تَقُومُ عَلَيْها فِى يَدَيْكَ قَضِيبُ

بَكَى المِنْبَرُ الغَرْبِيُّ اذ قُمْتَ فَوْقَهُ ... فَكادَتْ مَسامِيرُ الحَدِيدِ تَذُوبُ

رَأَيْتُكَ لَمَّا شِبْتَ أَدْرَكَكَ الَّذِى ... يُصِيبُ سَرَاةَ الأَزْدِ حِينَ تَشِيبُ

سَفَاهَةُ أَحْلاَمٍ وبُخْلٌ بنائِلٍ ... وفِيكَ لِمَنْ عابَ المَزُونَ (١) عُيُوبُ

قال وخطب الوليد بن عبد الملك فقال «ان أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : ان الحجاج جلدة ما بين عينى ، ألا وانه جلدة وجهى كله» وخطب الوليد بعد وفاة الحجاج وتوليته يزيد بن أبى مسلم فقال « انما مثلى ومثل يزيد بن أبى مسلم بعد الحجاج كمن سقط منه درهم فاصاب دينارا» . شبيب بن شيبة قال حدثنى خالد بن صفوان قال : خطبنا يزيد بن المهلب بواسط فقال «انى قد أسمع قول الرعاع : قد جاء مسلمة . وقد جاء العباس . وقد جاء أهل الشام . وما أهل الشام الا تسعة أسياف سبعة منها معى واثنان على . وأما مسلمة فجرادة صفراء . وأما العباس فنسطوس بن نسطوس ، أتاكم فى برابرة وصقالبة وجرامقة وجراجمة وأقباط وأنباط وأخلاط من الناس . انما أقبل اليكم الفلاحون والاوباش كاشلاء اللحم . والله مالقوا أقواماً قط كحدّكم وحديدكم وعدكم وعديدكم . أعيرونى سواعدكم ساعة من نهار تصفقون بها خراطيمهم . فانما هى غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا و بين القوم الفاسقين »

ومدح بشار هزار مرد العتكى بالخطب وركوبه المنابر بل ثاه وابنه فقال :

---

١ مزن مزونا : مضى لوجهه وذهب

مابالُ عينِكَ دمعُها مسكوبُ     سهرتْ فأنتَ بنومِها محروبُ (١)

وكذاكَ من صحبَ الحوادثَ لم يزلْ     تأتي عليهِ سلامةٌ ونكوبُ

ياأرضُ ويحكِ أكرميهِ فانهُ     لم يبقَ للعتكيِّ فيكِ ضريبُ (٢)

أبهى على خشبِ المنابرِ قائماً     يوماً وأحزمُ اذ تُشبُّ حروبُ

قال كان سوار بن عبد الله أول تميمى خطب على منبر البصرة . ثم خطب عبيد الله بن الحسن . وولى منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاة أمراء : بلال . وسوار . وعبيد الله . وأحمد بن رباح . وكان بلال قاضيا ابن قاض ابن قاض . وقال رؤبة :

فأنتَ ياابنَ القاضيينِ قاضِي     مُعتزمٌ على الطّريقِ ماضِي

قال أبو الحسن المداينى كان عبيد الله بن الحسن حيث وفد على المهدى معزيا أعد له كلاما . فبلغه أن الناس قد أعجبهم كلامه . فقال لشبيب بن شيبة : انى والله ماالتفت الى هؤلاء . ولكن سل لى عنها أبا عبيد الله الكاتب . فسأله فقال : ماأحسن ماتكلم به . على أنه أخذ مواعظ الحسن ورسائل غيلان فلقح بينهما كلاما . فأخبره بذلك شبيب ، فقال عبيد الله : لا والله ان أخطأ حرفا واحدا

وكان محمد بن سليمان له خطبة لايغيرها ، وكان يقول « ان الله وملائكته » فكان يرفع الملائكة ، فقيل له ذلك فقال : خرّجوا لها وجها ، ولم يكن يدع الرفع

قال وصلى بنا خزيمة يوم النحر فخطب فلم يسمع من كلامه الا ذكر أمير المؤمنين الرشيد وولى عهده محمد . قال وكان زهير بن محمد الضبي يداريه اذا قرع المنبر وقال الشاعر :

أميرَ المؤمنينَ اليكَ نشكو     وانْ كُنَّا نقومُ بغيرِ عُذرِ

غفرتَ ذنوبَنا وعفوتَ عنهُ     وليستْ منكَ انْ تعفو ببكرِ

فانَّ المنبرَ البصريَّ يشكو     على العلّاتِ اسحقَ بنَ شمرِ

أضبّيٌّ على خشباتِ مُلكٍ     كمركبِ ثعلبٍ ظهرَ الهزبرِ (٣)

١ مسلوب ماله ٢ الضريب : والمثل ٣ الاسد

وقال بعض شعراء العسكر يهجو رجلا من أهل العسكر :

مازلتَ تركَبُ كلَّ شيءٍ قائمٍ حتى اجترأتَ على رُكُوبِ المنبَرِ
مازالَ منبرُكَ الذي دنَّستَهُ بالأمسِ منكَ كحائضٍ لم تطهُرِ

وقال آخر :

فما منبرٌ دنَّستَهُ باستِ أفكلٍ (١) بزاكٍ ولو طهَّرتَهُ بابنِ طاهرِ

## *( باب أسجاع )*

عبد الله بن المبارك عن بعض أشياخه عن الشعبي قال قال عيسى بن مريم عليه السلام « البر ثلاثة : المنطق ، والمنظر ، والصمت . فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لغا ، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته في غير فكر فقد لها » وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه « أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج » وقال يزيد بن المهلب وهو فى الحبس « والهفاه على طلبة بمائة ألف وفرج فى جبهة الاسد » وقال عمر رضى الله تعالى عنه « استغزروا الدموع بالتذكر » وقال الشاعر :

وَلا يبعثُ الأحزانَ مثلُ التذكُّرِ

حفص قال سمعت عيسى بن عمر يقول سمعنا الحسن يقول « اقدعوا هذه النفوس فانها طلعة ، واعصوها فانكم ان أطعتموها تنزع بكم الى شر غاية ، وحادثوها بالذكر فانها سريعة الدثور »

اقدعوا كفوا . طلعة أى تطلع الى كل شيء . حادثوا أى اجلوا واشحذوا . والدثور الدروس ، يقال دثر أثر فلان أى ذهب كما يقال درس وعفا

قال فحدثت بهذا الحديث أبا عمرو بن العلاء فتعجب من كلامه . وقال الشاعر :

سمعنا بهيجا أوجفت فذكرتُهُ ولا يبعثُ الاحزانَ مثلُ التذكُّرِ

الوجيف السير الشديد ، يقال وجف الفرس والبعير وأوجفته ، ومثله الايضاع

١ الافكل : الرعدة من برد أو خوف ، فهو على حذف مضاف أى ذى أفكل

وهو الاسراع . أراد بهيجاء أقبلت مسرعة

ومن الاسجاع قول أيوب بن القِرِّيَّة ، وقد كان دعى لكلام فاحتبس القول عليه فقال « قد طال السمر ، وسقط القمر ، واشتد المطر ، فماذا ينتظر » فاجابه فتى من عبد القيس فقال « قد طال الارق ، وسقط الشفق ، وكثر اللثق ، فلينطق من نطق »

اللثق الندى الوحل

وقال أعرابى لرجل « نحن والله آكل منكم للمأدوم ، وأكسب منكم للمعدوم ، وأعطى منكم للمحروم » ووصف أعرابى رجلا فقال « ان رفدك لنحيح [1] ، وان خيرك لسريح ، وان منعك لمريح سريح »

عجل مريح أى مريح من كدّ الطلب

وقال عبد الملك لاعرابى « ماأطيب الطعام » فقال « بكرة سنمة ، فى قدور رذمة ، بشفار خذمة ، فى غداة شبمة » فقال عبد الملك « وأبيك لقد أطيبت »

وسئل أعرابى فقيل له « ماأشد البرد » فقال « ريح جربياء [2] ، فى ظل عماء ، فى غب سماء »

ودعا أعرابى فقال « اللهم انى أسألك البقاء ، والنماء ، وطيب الاناء ، وحط الاعداء ، ورفع الاولياء » الاناء الرزق

وقال ابراهيم النخعى لمنصور بن المعتمر « سل مسالة الحمقى ، واحفظ حفظ الكيسى » ووصفت عمة حاجز اللص حاجزا ففضلته وقالت « كان حاجز لايشبع ليلة يضاف . ولاينام ليلة يخاف »

ووصف بعضهم فرسا فقال « أقبل بزبرة الاسد . وأدبر بعجز الذئب »

الزبرة مغرز العنق ويقال الشعر الذى بين كتفيه . ووصفه بانه محطوط الكفل

قال ولما اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة قام رجل يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال « هذا أمير المؤمنين ـ وأشار بيده الى معاوية ـ فان مات فهذا ـ وأشار بيده الى يزيد ـ فمن أبى فهذا ـ وأشار بيده الى سيفه » فقال معاوية « أنت سيد الخطباء »

قالوا ولما قامت خطباء نزار عند معاوية فذهبت فى الخطب كل مذهب قام

---

١ شحيح نحيح : بخيل ٢ شمال باردة . ومثل هذا قول ابنة الخس وقد سئلت : ماأشد البرد ، فقالت « شمال جربياء ، تحت غب السماء »

صبرة بن شيمان فقال « يا أمير المؤمنـين ، إنا حى فعال ولسنا حى مقال ، ونحن نبلغ بفعالنا أكثر من مقال غيرنا »

قال ولما وفد الاحنف فى وجوه أهـل البصرة الى عبـد الله بن الزبير تكلم أبو حاضر الاسيدى ـ وكان خطيبا جميلا ـ فقال له عبد الله بن الزبير « أسكت ، فوالله لوددت أن لى بكل عشرة من أهـل العراق رجـلا من أهـل الشام صرف الدينار بالدرهم » قال « يا أمير المؤمنـين ، ان لنا ولك مثلا ، أفتأذن فى ذكره » قال « نعم » قال « مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام قول الاعشى حيث يقول :

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعلِّقَتْ رَجُـلاً غَيْرِى وعُلِّقَ أُخرى غَيْرَها الرَّجُلُ

أحبـك أهل العراق ، وأحببتَ أهـل الشام ، وأحب أهـل الشام عبـد الملك ابن مروان »

على بن مجاهد عن حميـد بن أبى البحترى قال : ذكر معاوية لابن الزبير بيعة يزيد فقال ابن الزبير « انى أناديك ولا أناجيك ، إن أخاك من صدقك ، فانظر قبل أن تقدم ، وتفكر قبل أن تنـدم ، فان النظر قبل التقـدم ، والتفكر قبـل التنـدم » فضحك معاوية ثم قال « تعلمت أبا بكر السجاعة عند الكبر ، إن فى دون ماسجعت به على أخيك مايكفيك » ثم أخذ بيده فاجلسه معه على السرير

أخبرنا ثمـامة بن أشرس قال : لمـا صرفت اليمانية ـ من أهل مزة [1] ـ المـاء عن أهل دمشق و وجهوه الى الصحارى كتب اليهم أبو الهيذام « الى بنى أستها أهل مزة ، ليمسينى المـاء أو لتصبحنكم الخيل » قال : فوافاهم المـاء قبل أن يعتموا . أى يصيرون فى وقت عتمة الليل ، وعتمته ظلامه يقال عتم الليل يعتم اذا أظلم وأعتم الناس صاروا فى وقت العتمة . فقال أبو الهيذام « الصدق ينبى عنك لا الوعيد »

وحدثنى ثمـامة عمن قدم عليـه من أهـل الشام قال : لما بايع الناس يزيد بن الوليد وأتاه الخبر عن مروان بن محمد ببعض التلكؤ [2] والتحبس كتب اليه « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أمير المؤمنين يزيد بن الوليـد الى مروان بن محمد . أما بعـد فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى . فاذا أتاك كتابى هـذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام » .

---

١ قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق بينهما نصف فرسخ ، ويقال لها « مزة كلب » أيضا لان فيها قبر دحية الكلبى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢ التأخر

وهاهنا مـذاهب تدل على أصالة الرأى ومـذاهب تدل على تمام النفس وعلى الصلاح والكمال لاأرى كثيرا من الناس يقفون عليها

واستعمل عبد الملك بن مروان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث خال مروان على مكة فخطب ذات يوم ـ وأبان بن عثمان بحذاء المنبر ـ فشتم طلحة والزبير . فلما نزل قال لابان « أرضيتك من المدهنين فى أمير المؤمنين » قال « لا والله . ولكن سؤتنى . حسبى أن يكونا شركاء فى أمره » فما أدرى أيهما أحسن : كلام أبان بن عثمان هذا أم اسحق بن عيسى فانه قال « أعيذ عليا بالله أن يكون قتل عثمان . وأعيذ عثمان بالله أن يقتله على » فمدح عليا بكلام سديد غير نافر ومقبول غير وحشى . وذهب الى معنى الحديث فى قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « أشد أهل النار عذابا من قتل نبيا أوقتله نبى » يقول : لايتفق أن يقتله نبى بنفسه الا وهو أشد خلق الله معاندة وأجرأهم على معصيته . فيقول : لايجوز أن يقتله علىّ الا وهو مستحق للقتل

## *( خطبة من خطب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم )*

قال خطب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعشر كلمات . حمد الله وأثنى عليه ثم قال « أيها الناس ، ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم . وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم . ان المؤمن بين مخافتين : بين عاجل قد مضى لايدرى ماالله صانع به ، و بين آجل قد بقى لايدرى ماالله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه . ومن دنياه لآخرته . ومن الشبيبة قبل الكبرة . ومن الحياة قبل الموت . فوالذى نفس محمد بيده مابعد الموت من مستعتب . ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار »

أبو الحسن المدائنى قال تكلم عمار بن ياسر يوما فاوجز فقيل له : لو زدتنا . قال : أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باطالة الصلاة وقصر الخطبة

محمد بن اسحق عن يعقوب بن عتبة عن شيخ من الانصار من بنى زريق أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أتى بسيف النعمان بن المنذر دعا جبير بن مطعم فسلحه اياه ثم قال « ياجبير ، ممن كان النعمان » قال « من أشلاء قنص بن معد » وكان جبير أنسب العرب . وكان أخذ النسب عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه . وعن جبير أخذ سعيد بن المسيب . وروى عن بعض ولد طلحة قال قلت لسعيد ابن المسيب : علمنى النسب . قال : أنت رجل تريد أن تسابّ الناس . قال وثلاثة فى

نسق واحـد كانوا أصحاب نسب : عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنـه . أخذ ذلك عن الخطاب . وكان كثيرا مايقول « سـمعت ذلك عن الخطاب . ولم أسـمع ذلك من الخطاب » . والخطاب بن نفيل . ونفيل بن عبد العزى تنافر اليه عبد المطلب وحرب ابن أمية فنفر عبد المطلب . أي حكم لعبـد المطلب . والمنافرة المحاكمة

قال والنساب أربعة : دغفل بن حنظلة ، وعميرة أبو ضمضام ، وصبح الحنـفي ، وابن الكيس النمـري . قال الاصـمعي دغفـل بن حنظـلة والنسابة البكري وكان نصرانيا ولم يسمه

# *( ذكر كلمات خطب بها سليمان بن عبد الملك )*

قال « اتخذوا كتاب الله إماما ، وارضوا به حكما ، واجعلوه قائدا ، فانه ناسـخ لما قبله ولم ينسخه كتاب بعده » قال : وأول كلام بارع سمعوه منه « الكلام فيما يعنيك خير من السكوت عما يضرك ، والسكوت عما لايعنيك خير من الكلام فيما يضرك »

خـلاد بن يزيد الارقط قال سـمعت من يخبرنا عن الشـعبي قال : ماسـمعت متكلما على منبر قط تكلم فاحسن إلا تمنيت أن يسكت خوفا من أن يسيء ، الا زيادا فانه كلما كان أكثر كان أجود كلاما [١]

وكان نوفل بن مساحق اذا دخل على امرأته صمـت واذا خرج من عنـدها تـكلم ، فرأته يوما كذلك فقالت : أما عنـدي فتطرق ، وأما عند الناس فتنطق . قال : لاني أدق عن جليلك ، وتجلين عن دقيقي

قال أبو الحسن قاد عيـاش بن الزبرقان بن بدر الى عبـد الملك بن مروان خمسـة وعشرين فرسا . فلما جلس لينظر إليها نسب كل فرس منها الى جميع آبائه وأمهاته ، وحلف على كل فرس بيمين غـير اليمين التي حلف بها على الفرس الآخر . فقال عبـد الملك بن مروان « عجبي من اختلاف أيمانه أشد من عجـبي من معرفته بانساب الخيل »

وقال كان للزبرقان بن بدر ثلاثة أسماء : القـمر ، والزبرقان ، والحصـين . وكانت له ثلاث كنى : أبو شـذرة ، وأبو عياش . وأبو عباس . وكان عياش ابنـه

---

١ سيأتي هذا في ص ٣١ من الجزء الثاني عقب خطبة زياد التي تسمى « البتراء »

خطيبا ماردا شديد العارضة شديد الشكيمة وجيها ، وله يقول جرير :

أَعَيَّاشُ قَدْ ذَاقَ القُيُونُ (١) مَرَارَتِي وَأَوْقَدْتُ نارًا فادْنُ دُونَكَ فاصْطَلِ

فقال عياش : انى اذن لمغرور . قالوا فغلب عليه

*( باب أسماء الخطباء والبلغاء والانبياء ، وذكر قبائلهم وأنسابهم )*

كان التدبير فى أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم ، وأسماء أهل الاسلام على منازلهم ، ونجعل لكل قبيلة منهم خطباء ، ونقسم أمورهم بابا بابا على حدته ، ونقدم من قدمه الله عزوجل ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى النسب وفضله فى الحسب . ولكنى لما عجزت عن نظمه وتنضيده تكلفت ذكرهم فى الجملة والله المستعان وبه التوفيق ولاحول ولاقوة الا به

كان الفضل بن عيسى الرقاشى من أخطب الناس وكان متكلما ، وكان قاصا مجيدا . وكان يجلس اليه عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وأبان بن أبى عياش وكثير من الفقهاء . وهو رئيس الفضيلية واليه ينسبون . وخطب اليه ابنته سوادة بنت الفضل سليمان بن طرخان التيمى فولدت له المعتمر بن سليمان . وكان سليمان مباينا للفضل فى المقالة ، فلما ماتت سوادة شهد الجنازة المعتمر وأبوه ، فقدما الفضل وكان الفضل لايركب الا الحمير ، فقال له عيسى بن حاضر : انك لتؤثر الحمير على جميع المركوب فلم ذلك . قال : لما فيها من المرافق والمنافع . قال قلت : مثل أى شىء . قال « لاتستبدل بالمكان على قدر اختلاف الزمان ، ثم هى أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صريعا وأكثر تصريفا وأسهل مرتقى وأخفض مهوى وأقل جماحا وأشهر فارهاً وأقل نظيرا ، يزهى راكبه وقد تواضع بركوبه ، ويكون مقتصدا وقد أسرف فى ثمنه » قال ونظر يوما الى حمار فاره تحت سالم بن قتيبة فقال « قعدة نبى وبذلة جبار » قال عيسى بن حاضر « ذهب الى حمار عزير والى حمار مسيح الدجال والى حمار بلعم » وكان يقول « لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزلة أن يدفع بالموسم على فرس عربى أو جمل مهرى لفعل ، ولكنه ركب عيرا أربعين عاما لانه كان يتأله ٢ وقدضرب به المثل فقالوا : أصح من عير سيار »

والفضل هو الذى يقول فى قصصه « سل الارض فقل من شق أنهارك وغرس

١ جمع « القين » وهو الحداد والعبد ٢ التأله التعبد

أشجارك وجنى ثمارك ، فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا » وكان عبد الصمد بن الفضل أغزر من أبيه وأعجب وأبين وأخطب ، قال وحدثنى أبو جعفر الصوفى القاصّ قال : تكلم عبد الصمد فى خلق البعوضة وفى جميع شأنها ثلاثة مجالس تامة .

وكان يزيد بن أبان عم الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى من أصحاب أنس والحسن ، كان يتكلم فى مجلس الحسن وكان زاهداً عابداً وعالماً فاضلا وكان خطيبا وكان قاصّاً مجيدا . قال أبو عبيدة وكان أبوهم خطيبا ، وكذلك جدهم ، وكانوا خطباء الاكاسرة ، فلما سبوا وولد لهم الاولاد فى بلاد الاسلام وفى جزيرة العرب نزعهم ذلك العرق فقاموا فى أهل هذه اللغة كمقامهم فى أهل تلك اللغة ، وفيهم شعر وخطب ، ومازالوا كذلك حتى أصهر الغرباء اليهم ففسد ذلك العرق ودخله الخَوَر[١]

ومن خطباء إياد ( قس بن ساعدة ) وهو الذى قال فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول « أيها الناس اجتمعوا ، فاسمعوا وعوا . من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ماهو آت آت » وهو القائل فى هذه « آيات محكمات : مطر ونبات ، وآباء وأمهات ، وذاهب وآت . ونجوم تمور ، وبحور لاتغور . وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع . وليل داج ، وسماء ذات أبراج . مالى أرى الناس يموتون ولايرجعون ، أرضوا فاقاموا ، أم حبسوا فناموا » وهوالقائل « يامعشر إياد ، أين ثمود وعاد ، وأين الآباء والاجداد . أين المعروف الذى لم يشكر ، والظلم الذى لم ينكر . أقسم قسّ قسما بالله أن لله دينا هو أرضى له من دينكم هذا » وأنشدوا له هذه :

فى الذَّاهبينَ الاوَّلينَ     مِنَ القُرُونِ لنا بَصائِرْ
لَمّا رَأيْتُ مَوارِداً     لِلموْتِ لَيسَ لَها مَصادِرْ
ورَأيتُ قَوْمِى نَحوَها     تَمضى الاَكابِرُ والاَصاغِرْ
لايَرْجِعُ الماضِى وَلا     يَبْقى مِنَ الباقِينَ غابِرْ
أَيقَنْتُ أنّى لامَحالَةَ     حَيْثُ صارَ القَوْمُ صائِرْ

ومن الخطباء ( زيد بن على بن الحسين) وكان خالد بن عبد الله أقرّ على زيد بن

---

١ الضعف

على وداود بن على وأيوب بن سلمة المخزومى وعلى بن محمد بن عمر بن على وعلى بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . فسأل هشام زيدا عن ذلك فقال : أحلف لك . قال : واذا حلفت أصدقك . قال زيد : اتق الله . قال : أومثلك يازيد يأمر مثلى بتقوى الله . قال زيد : لاأحد فوق أن يوصى بتقوى الله ولادون أن يوصى بتقوى الله . قال هشام : بلغنى أنك تريد الخلافة ، ولاتصلح لها لانك ابن أمة . قال زيد: فقد كان اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليه ابن أمة واسحق عليه السلام ابن حرة، فاخرج الله عزوجل من صلب اسماعيل عليه السلام خير ولد آدم محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم . فعندها قال له : قم . قال : اذن لاترانى الاحيث تكره . ولما خرج من الدار قال : ماأحب أحد الحياة قط الا ذل . فقال له سالم مولى هشام : لايسمعن هذا الكلام منك أحد . وقال محمد بن عمير : ان زيدا لما رأى الارض قد طبقت جوراً ورأى قلة الاعوان ورأى تخاذل الناس كانت الشهادة أحب المنيات اليه . وكان زيد كثيراًماينشد :

شَرَّدَهُ الخَوْفُ وأَزْرَى بِهِ … كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجِلادْ
مُنْخَرِقُ الخُفَّيْنِ يَشْكُو الوَجَى (١) … تَنْكُبُهُ أَطْرَافُ مَرْوٍ حِدَادْ (٢)
قَدْ كَانَ فِي المَوْتِ لهُ رَاحَةٌ … والمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ العِبادْ

قال وكثيرا ماينشد شعر العبسى فى ذلك :

انَّ المُحكَّمَ مَنْ لَمْ يَرْتَقِبْ حَسَباً … أَوْ يَرْهَبِ السَّيْفَ أَوْحَدَّ القَنَاجَنَفَا (٣)
مَنْ عاذَ بالسَّيْفِ لاقى فُرْصَةً عَجَباً … مَوْتاً على عَجَلٍ أَوْ عاشَ مُنْتَصِفَا

ولما بعث يوسف بن عمر برأس زيد ونصر بن خزيمة مع شبة بن عقال وكلف آل أبى طالب أن يبرؤا من زيد ويقوم خطباؤهم بذلك فاول من قام عبد الله بن الحسن فاوجز فى كلامه ثم جلس . ثم قام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فاطنب فى كلامه وكان شاعراً بيّناً وخطيباً لسنا فانصرف الناس وهم يقولون « ابن

---

١ الوجى : أن يرق القدم أو الفرسن أو الحافر حتى يجد ذوالوجى وجعا فى رجله ٢ تكبت الحجارة الرجل : أصابتها وخدشتها . والمرو : حجارة بيض رقاق براقة تقدح منها النار ٣ الجنف فى الحكم : الميل والجور

الطيار أخطب الناس » فقيل لعبـد الله بن الحسن فى ذلك فقال « لوشئت أن أقول لقلت ، ولـكن لم يكن مقام سرور » فاعجب الناس ذلك منه

ومن أهل الدهاء والنـكراء ومن أهل اللسن واللقن والجواب العجيب والكلام الصحيح والامثال السائرة والمخارج العجيبة (هند بنت الخس) وهى الزرقاء . و(جمعة بنت حابس ) و يقال إن حابسا من إياد . وقال عامر بن عبد الله الفزارى : جمع بين هند وجمعة ، فقيل لجمعة أى الرجال أحب اليـك قالت : الشنق [١] الـكبد ، الظاهر الجلد ، الشـديد الجذب بالمسد . فقيـل لهنـد : أى الرجال أحب اليـك . قالت : القريب الامد ، الواسع البلد ، الذى يوفد اليـه ولايفد . وقد سئلت هنـد عن حر الصيف و برد الشتاء فقالت : من جعل بؤسا كاذى . وقد ضرب بها المثل ، فن ذلك قول ليلى بنت النضر الشاعرة :

وكُنْ بن جَـدْعانٍ دَلالة أُمِّهِ وكانَتْ كبِنْتِ الخسِّ أو هيَ أَكْبَرُ

وقال ابن الاعرابى : يقال بنت الخس و بنت الخص وهى الزرقاء و بنت الخسف وقال يونس لايقال الا بنت الاخسّ وهى الزرقاء . وقال أبو عمرو بن العلاء «داهيتا نساء العرب هند الزرقاء وعنز الزرقاء » وهى زرقاء اليمامة . قال اليقطرى : قيل لعبد الله بن الحسن « ماتقول فى المراء [٢] » قال « ماعسى أن أقول فى شىء يفسد الصداقة القديمة ، ويحتل العقدة الوثيقـة ، وان كان لاقل مافيـه أن يكون دربة للمغالبـة ، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة ، ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما أتاه السائب ابن صـيفى فقال : أتعرفـنى يارسول الله . قال : كيف لاأعرف شريكى الذى كان لايشاربنى ولايمـاربنى » قال فتحولت الى زيد بن على فقلت له « الصمت خير أم الـكلام » قال « أجزى الله المساكتة فما أفسـدها للبيان وأجلبها للحـصر ، والله للمماراة أسرع فى هدم العى من النار فى يبس العرفج ومن السيل فى الحدور » وقـد عرّف زيد أن المماراة مذمومـة ولـكنه قال : المماراة عـلى مافيها أقـل ضرراً من المساكتـة التى تورث البلدة وتحل العـقدة وتفسد المنـة وتورث عللا وتولد أدواء أيسرها العى ، فالى هذا المعنى ذهب زيد

ومن الخطباء خالد بن سلمة المخزومى من قريش ، وأبو حاضر ، وسالم ، وقد تكلم عند الخلفاء

---

[١] شديد الشوق [٢] المراء والمماراة : المجادلة والمنازعة

ومن خطباء بنى أسيد الحكم بن يزيد بن عمير وقد رأس

ومن أهل اللسن منهم والبيان الحجاج بن عمير بن زيد

ومن الخطباء سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية . قال وقيل لسعيد ابن المسيب : من أبلغ الناس . قال : رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . فقيل له : ليس عن هذا نسألك . قال : معاوية ، وابنه ، وسعيد ، وابنه ، وما كان ابن الزبير بدونهم ولكن لم يكن لكلامه طلاوة مقبوله . فمن العجب أن ابن الزبير ملأ دفاتر العلماء كلاما وهم لا يحفظون لسعيد بن العاصى وابنه من الكلام الا مالا بال له . وكان سعيد جوادا ولم ينزع قميصه قط ، وكان أسود نحيفا ، وكان يقال له عكة العسل ، وقال الحطيئة :

سَعيدٌ فَلا يَغرُرْكَ قِلَّةُ لَحمِهِ  تَخَدَّدَ عَنْهُ اللَّحمُ وهوَ صَليبُ (١)

وكان أول من خش الابل ٢ فى نفس عظم الانف ، وكان فى تدبيره اضطراب . وقال قائل من أهل الكوفة :

ياويلنا قَدْ ذَهَبَ الوَليدُ  وجاءنا مُجَوَّعاً سَعيدُ

يَنْقُصُ فِي الصَّاعِ ولا يَزِيدُ

قال والامراء تتحبب الى الرعية بزيادة المكاييل ، ولو كان المذهب فى الزيادة فى الاوزان كالمذهب فى الزيادة فى المكاييل ماقصروا ، كما سال الاحنف عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الزيادة فى المكاييل ، ولذلك اختلف أسماء المكاييل كالزيادى والفالج والخالدى حتى صرنا الى هذا الملجم اليوم

ثم من الخطباء (عمرو بن سعيد) وهو الاشدق ، يقال ان ذلك انما قيل له لتشادقه فى الكلام . وقال آخرون بل كان أفقم مائل الذقن . ولذلك قال عبيد بن زياد حين أهوى الى عبد الله بن معاوية «يدك عنه يالطيم الشيطان وياعاصى الرحمن» وقال الشاعر :

وعَمْرُو لَطِيمُ الجِنِّ وابْنُ مُحَمَّدٍ  بأسْوَءِ هَذَا الامْرِ مُلْتَبِسانِ

ذكر ذلك عن عوانة ، وهذا خلاف قول الشاعر :

١ تخدد اللحم : اضطرب من الهزال . والصليب الشديد ٢ جعل فى أنفها الخشاش ، وهو عود يجعل فى أنف البعير .

تَشادَقَ حَتَّى مَالَ بِالقَوْلِ شِدْقُهُ     وَكُلُّ خَطِيبٍ لاَأَبالَكَ أَشْدَقُ

قال وكان معاوية قد دعا به فى غلمة من قريش ، فلما استنطقه قال «ان أول كل مركب صعب ، وان مع اليوم غدا» وقال له «الى من أوصى بك أبوك» قال «ان أبى أوصى الىّ ولم يوص بى» قال «وباى شىء أوصاك» قال «بان لا يفقد اخوانه منه الا شخصه» قال فقال معاوية عند ذلك : ان ابن سعيد هذا لاشدق . فهذا يدل عندهم على أنه انما سمى بالاشدق لمكان التشادق

ثم كان بعد عمرو بن سعيد (سعيد بن عمرو بن سعيد) وكان ناسبا خطيبا ، وأعظم الناس كبرا . وقيل له عند الموت : ان المريض ليستريح الى الانين والى أن يصف مابه الى الطبيب ، فقال :

أُجالِدُ مِنْ رَيْبِ المَنُونِ فَلا تَرَى     على هالِكٍ عَيْناً لَنا الدَّهْرَ تَدْمَعُ

ودخل على عبد الملك مع خطباء قريش وأشرافهم ، فتكلموا من قيام وتكلم وهو جالس ، فتبسم عبد الملك وقال : لقد رجوت عثرته ، ولقد أحسن حتى خفت عثرته ، فسعيد بن عمرو بن سعيد خطيب ابن خطيب ابن خطيب

ومن الخطباء (سهيل بن عمرو الاعلم) أحد بنى حسل بن معيص ، وكان يكنى أبا يزيد ، وكان عظيم القدر شريف النفس صحيح الاسلام . وكان عمر رضى الله تعالى عنه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم : يارسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «لاأمثل فيمثل الله بى وان كنت نبيا ، دعه ياعمر فعسى أن يقوم مقاما تحمده» فلما هاج أهل مكة عند الذى بلغهم من وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قام خطيبا فقال «أيها الناس ، ان يكن محمد قد مات فان الله حى لم يمت . وقد علمتم أنى أكثركم قتبا فى بر ، وجارية فى بحر ، فاقروا أميركم ، وأنا ضامن ان لم يتم الامر أن أردها عليكم» فسكن الناس . وهو الذى قال يوم خرج اذن عمر وهو بالباب وعتيبة بن حصن والاقرع بن حابس وفلان وفلان ، فقال الآذن : أين بلال ، أين صهيب ، أين سلمان ، أين عمار . فتمعرت وجوه القوم ، فقال سهيل «لم تتمعر وجوهكم ، دعوا ودعينا فاسرعوا وأبطانا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم فى الجنة أكثر»

ومن الخطباء ( عبد الله بن عروة بن الزبير) قالوا وكان خالد بن صفوان يشبه به ، وما علمت أنه كان فى الخطباء أحد أجود خطبا من خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة للذى يحفظ الناس ويدور على ألسنتهم من كلامهما ، وما علمنا أن أحدا ولد لهما حرفا واحدا

ومن النسابين من بنى العنبر ثم من بنى المنذر ( الختف بن زيد بن جعونة ) وهو الذى تعرض له دغفل بن حنظلة العلامة عند ابن عامر بالبصرة فقال له «متى عهدك بسجاح أم صادر» فقال له «مالى بها عهد منذ أضلت أم حاس» وهى بعض أمهات دغفل ، فقال له «أنشدتك بالله ، أنحن كنا لكم أكثر غزوا فى الجاهلية أم أنتم لنا» قال «بل أنتم فلم تفلحوا ولم تنجحوا ، غزانا فارسكم وسيدكم وابن سيدكم فهزمناه مرة وأسرناه مرة وقتلناه مرة وأخذنا فى فدائه خدر أمه ، وغزانا أكثركم غزوا وأنبهكم فى ذلك ذكرا فاعرجناه ثم أرجلناه» فقال ابن عامر «أسالكما بالله لما كففتما»

وكان عبد الله بن عامر ومصعب بن الزبير يحبان أن يعرفا حالات الناس ، فكانا يغريان بين الوجوه و بين العلماء فلا جرم أنهما كانا اذا سبا أوجعا

وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنسب هذه الامة ، ثم عمر ، ثم جبير بن مطعم ، ثم سعيد بن المسيب ، ثم محمد بن سعيد بن المسيب . ومحمد هو الذى نفى الى عنكة المخزوميين فرفع ذلك الى والى المدينة فجلده الحد . وكان ينشد :

وَيَرْبُوعُ بْنُ عنكَةَ ابْنُ أَرْضٍ  وأَعْتَقَهُ هُبَيْرَةُ بَعْدَ حِينِ

يعنى هبيرة بن أبى وهب المخزومى

ومن النسابين العلماء عتبة بن عمرو بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكان من ذوى الرأى والدهاء ، وكان ذا منزلة من الحجاج بن يوسف . وعمر بن عبدالرحمن خامس خمسة فى الشرف ، وكان هو الساعى بين الازد وتميم فى الصلح

ومن بنى الحرقوص [١] شعبة بن القلعم ، وكان ذا لسان وجواب وعارضة ، وكان وصافا فصيحا . و بنوه عبد الله ، وعمر ، وخالد ، كلهم كانوا فى هذه الصفة . غير أن خالدا كان قد جمع مع بلاغة اللسان العلم والحلاوة والظرف ، وكان الحجاج لا يصبر عنه

ومن بنى أسيد بن عمرو بن تميم أبو بكر بن الحكم ، كان ناسبا راوية شاعرا ،

---

١ خ : حرقوس

وكان أحلى الناس لسانا وأحسنهم منطقا وأكثرهم تصرفا ، وهو الذى يقول له رؤبة :

لقدْ خشيتُ أنْ تــكونَ ساحرا        رَاوِيةً طوْراً وَطوْراً شاعِرا

ومنهم مغلل بن خالد أحد بنى أنمار بن الهجيم ، وكان نسابة علامة راوية صدوقا مقلدا ، وذكر للمنتجع بن نبهان فقال « كان لايجارى ولا يمارى »

ومنهم من بنى العنبر ثم من بنى عمرو بن جندب أبو الخنساء عباد بن كسيب ، وكان شاعرا علامة وراوية نسابة ، وكانت له حرمة بابى جعفر المنصور

ومنهم عمرو بن خولة ، كان ناسبا خطيبا وراوية فصيحا ، من ولد سعيد بن العاصى

والذى أتى سعيد بن المسيب ليعلمه النسب هو اسحق بن يحيى بن طلحة

وكان يحيى بن عروة بن الزبير ناسبا عالما ، ضربه ابراهيم بن هشام المخزومى والى المدينة حتى مات لبعض القول

وكان مصعب بن عبد الله بن ثابت ناسبا عالما ، ومن ولده الزبيرى عامل الرشيد على المدينة واليمن

ومنهم ثم من قريش محمد بن جعفر بن حفص ، وهو ابن عائشة ، ويكنى أبا بكر . وابنه عبيد الله كان يجرى مجراه ، يكنى أبا عبد الرحمن

ومن خزاعة بن مازن أبو عمرو وأبو سفيان ابنا العلاء بن عمار بن العريان . فاما أبو عمرو فكان أعلم الناس بامور العرب ، مع صحة سماع وصدق لسان . وحدثنى الاصمعى قال : جلست الى أبى عمرو عشر حجج ماسمعته يحتج ببيت اسلامى . قال وقال مرة لقد كثر هذا المحدَث وحسن حتى هممت أن آمر فتياننا بروايته ، يعنى شعر جرير والفرزدق وأشباههما . وحدثنى أبو عبيدة قال كان أبو عمرو أعلم الناس بالعرب والعربية وبالقراءة والشعر وأيام الناس ، وكانت داره خلف دار جعفر بن سليمان . قال وكانت كتبه التى كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له الى قريب من السقف ثم انه تقرأ فاحرقها كلها ، فلما رجع بعد الى علمه الاول لم يكن عنده الا ماحفظه بقلبه . وكان عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية . وفى أبى عمرو بن العلاء يقول الفرزدق :

مازلتُ أفتحُ أبوَابًا وأُغلقها        حتى أتيتُ أبا عمرِو بنَ عمّارِ

فاذا كان الفرزدق وهو راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم يقول فيه مثل هذا

القول فهو الذى لايشك فى خطابته و بلاغته . وقال يونس لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس . وقال فى أبى عمرو مكىّ بن سوادة :

الجَامِعُ العِلْمَ تَنساهُ و يحفَظُهُ والصَّادِقُ القَوْلِ ان أندادُهُ كَذبُوا

وكان أبوسفيان بن العلاء ناسبا ، وكلاهما كناهما أسماؤهما . وكذلك أبو عمرو ابن لبيد ، وأبو سفيان بن العلاء بن لبيد التغلبى خليفة عيسى بن شبيب المازنى على شرط البصرة

وكان عقيل بن أبى طالب ناسبا عالما بالامهات ، بين اللسان ، شديدالجواب ، لايقوم له أحد . وكان أبو الجهم بن حذيفة العدوى ناسبا شديد العارضة كثير الذكر للامهات بالمثالب . ورؤساء النسابين دغفل بن حنظلة أحد بنى عمرو بن شيبان ، لم يدرك الناس مثله لسانا وعلما وحفظا . ومن هذه الطبقة زيد بن الكيس النمرى . ومن نسابى كلب ابن محمد بن السائب ، وهشام بن محمد بن السائب ، وشرقى ابن القطامى . وكان أعلاهم فى العلم ومن ضربت به المثل حماد بن بشر ، قال سماك العكلى :

فَسائِلْ دَغفَلاً وأخا هِلالٍ ونخّاراً يُنَبِّئْكَ اليَقِينا

وقد ذكرنا دغفلا . وأخو هلال هو زيد بن الكيس ، و بنو هلال حى من النمر ابن قاسط . وقال مسكين بن أنيف الدارمى فى ذلك :

وعِنْدَ الكَيِّسِ النَّمِرِىِّ عِلْمٌ ولو أمسى بِمُنْخَرِقِ الشَّمالِ

وقال ثابت قطنة :

فَما العضَّانِ لَوْ سُئِلا جَميعاً أخُو بَكْرٍ وزيدُ بَنِي هِلالِ

ولا الكَلْبِيُّ حَمّادُ بْنُ بِشْرٍ ولامَنْ قادَ فى الزَّمَنِ الخَوالى

وقال زياد الاعجم :

بَلْ لَوْ سَأَلْتَ أخا رَبِيعَةَ دَغْفَلاً لَوَجَدْتَ فِي شَيْبانَ نِسْبَةَ دَغْفَلِ

ان الاحايِنَ والَّذِينَ يَلُونَهُمْ شَرُّ الأنامِ ونَسْلُ عَبْدِ الأعزَلِ

يهجو فيها بنى الخنساء . ومنهم إياس النصرى ، كان أنسب الناس ، وهو الذى قال « كانوا يقولون : أشعر العرب أبو داود الايادى ، وعدى بن زيد العبادى » وكان أبو نوفل بن أبى عقرب علامة ناسبا خطيبا فصيحا ، وهو رجل من كنانة أحد

بنى عريج . ومن بنى كنانة ثم من بنى ليث ثم من بنى الشداخ يزيد بن بكر بن دأب وكان يزيد عالما ناسبا وراوية شاعرا ، وهو القائل :

اللهُ يَعلَمُ في عليٍّ علمَهُ وكذاكَ علمُ اللهِ في عثمانِ

وولد يزيد يحيي وعيسى هو الذى يعرف فى العامة بابن دأب ، وكان من أحسن الناس حديثا وبيانا ، وكان شاعرا راوية وصاحب رسائل وخطب ، وكان يجيدها جدا . ومن آل دأب حذيفة بن دأب وكان عالما ناسبا . وفى آل دأب علم بالنسب والخبر وكان أبو الاسود الدؤلى ـ واسمه ظالم ابن عمرو بن جندل بن سفيان ـ خطيبا عالما وكان قد جمع شدة العقل وصواب الرأى وجودة اللسان وقول الشعر والظرف ، وهو يعد فى هذه الاصناف وفى الشيعة وفى العرجان وفى المفاليج ، وعلى كل شىء من هذا شاهد سيقع فى موضعه ان شاء الله تعالى

وقال الحسن لابنته هند « أريد شراء فحل لابلى » قالت « ان اشتريته فاشتره أسجح الخدين ، غائر العينين ، أرقب ، أخرم ، أعكى أكوم ، ان عصى غشم ، وان أطيع تجرثم » وهى التى قالت لما قيل لها « ماحملك على أن زنيت بعبدك » قالت « طول السواد ، وقرب الوساد »

السواد السرار . أسجح سهل واسع ، يقال « ملكت فاسجح » . أرقب غليظ الرقبة . أخرم منتفخ موضع المخرم . أعكى العكوة مغرز الوركين فى المؤخر ، تصفه بشدة الوركين . ان عصى غشم ان عصته الناقة غصبها نفسها . تجرثم أى بقى ، مأخوذ من الجرثومة وهى الطين والتراب يجمع حول النخلة ليقويها تصفه ، بالصبر والقوة على الضراب . أكوم عظيم السنام . وقال الشاعر فى السواد :

ويفهمُ قولَ الحُكلِ لو أنَّ ذرَّةً تُساوِدُ أُخرى لم يَفُتْهُ سَوادُها (١)

يقال فى لسان فلان حكلة اذا كان شديد الحبسة مع لثغ

قالوا وعاتب هشام بن عبد الملك زيد بن على فقال له « بلغنى عنك شىء » فقال « يا أمير المؤمنين ، أحلف لك » قال « واذا حلفت لى أصدقك » قال « نعم . ان الله لم يرفع أحدا فوق أن لا يرضى به ولم يضع أحدا دون أن لا يرضى منه به »

كان زياد بن ظبيان التيمى العايشى خطيبا ، فدخل عليه ابنه عبيد الله وهو

---

١ سبق هذا البيت فى ص ٢٤ من هذا الجزء وتدل اشارة المصنف الى أن هذا البيت قيل فى السواد على أنه لا محل لما ظنناه هناك من وقوع التحريف فى البيت

بكيد بنفسه ، قال «ألا أوصي بك الامير زيادا» قال «لا» قال «ولم» قال «اذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت».

وكان عبيد الله أفتك الناس وأخطب الناس. وهو الذي أتى باب مالك بن مسمع ومعه نار ليحرق عليه داره. وقد كان نابه أمر فلم يرسل اليه قبل الناس. فاشرف عليه مالك فقال «مهلا يا أبا مطر. فو الله ان في كنانتي سهما أنا به أوثق مني بك» قال «وانك لتعدني في كنانتك. فو الله لو أن قمت فيها لطلتها ولو قعدت فيها لخرقتها» قال مالك «مهلا. أكثر الله في العشيرة مثلك» قال «لقد سالت الله شططا»

ودخل عبيد الله [1] على عبد الملك بن مروان ــ بعد أن أتاه برأس مصعب بن الزبير، ومعه ناس من وجوه بكر بن وائل، فاراد أن يقعد معه على سريره، فقال له عبد الملك «مابال الناس يزعمون أنك لا تشبه أباك» قال «والله لانا أشبه بأبي من الليل بالليل والغراب بالغراب والماء بالماء. ولكن ان شئت أنبأتك بمن لا يشبه أباه» قال «ومن ذاك» قال «من لم يولد لتمام، ولم تنضجه الارحام، ولم يشبه الاخوال والاعمام» قال «ومن ذاك» قال «ابن عمي سويد بن منجوف» قال عبد الملك «أو كذلك أنت يا سويد» قال «نعم» فلما خرجا من عنده أقبل عليه سويد فقال «وريت بك زنادي، والله مايسرني أنك نقصته حرفا واحدا مما قلت له وأن لي حمر النعم» قال «وأنا والله مايسرني بحلمك اليوم عني سود النعم» قال وأتى عبيد الله عتاب بن ورقاء، وعتاب على أصبهان، فاعطاه عشرين ألف درهم فقال «والله ماأحسنت فأحمدك، ولا أسات فأذمك، واني [2] لاقرب البعداء وأبعد القرباء». قال وقال أشيم بن شقيق بن ثور لعبيد الله بن زياد بن ظبيان «ماأنت قائل لربك وقد حملت رأس مصعب بن الزبير الى عبد الملك بن مروان» قال «اسكت فانت يوم القيامة أخطب من صعصعة بن صوحان اذا تكلمت الخوارج» فما ظنك ببلاغة رجل عبيدُ الله بن زياد يضرب به المثل. وانما أردنا بهذا الحديث خاصة الدلالة على تقديم صعصعة بن صوحان في الخطب. وأولى من كل دلالة استنطاق عليّ له

وكان (عثمان بن عروة) أخطب الناس، وهو الذي قال «والذكر وان قل ثمن

---

[1] هو عبيد الله بن زياد بن ظبيان [2] خ : وانك

بكل نوال وان جل »

وكان (ثابت بن عبد الله بن الزبير) من أبين الناس . ولم يكن خطيبا

وكان (قسامة بن زهير) أحد بنى رزام بن مازن مع زهده ونسكه ومنطقه من أبين الناس ، وكان يعدل بعامر بن عبد قيس فى زهده ومنطقه ، وهو الذى قال « روّحوا هذه القلوب تعى الذكر » وهو الذى قال « يامعشر الناس ، ان كلامكم أكثر من صمتكم ، فاستعينوا على الكلام بالصمت ، وعلى الصواب بالفكر » وهو الذى كان رسول عمر فى البحث عن شان المغيرة وشهادة أبى بكرة

وكان (خالد بن يزيد بن معاوية) خطيباً شاعرا ، وفصيحا جامعا ، وجيد الرأى كثير الادب . وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء

ومن خطباء قريش (خالد بن سلمة المخزومى) وهو ذو الشفة . وقال الشاعر فى ذلك :

فَما كانَ قائلهمْ دَغفَلٌ ولا الحيقطانُ ولا ذُو الشَّفَهْ

ومن خطباء العرب (عطارد بن حاجب بن زرارة) وهو كان الخطيب عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . وقال فيه الفرزدق بن غالب :

ومِنّا خَطيبٌ لايُعابُ وحامِلٌ أغَرُّ اذا التَفَّتْ عَلَيْهِ المَجَامِعُ

ومن الخطباء (عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود) وكان مع ذلك راوية ناسبا شاعرا . ولما رجع عن قول المرجئة الى قول الشيعة قال :

وأَوّلُ مانُفارِقُ غيرَ شكٍّ نُفارِقُ مايَقُولُ المُرْجِئُونا

وقالوا مُؤْمِنٌ مِنْ آل جَوْرٍ ولَيْسَ المؤْمنُونَ بِجائِرِينا

وقالُوا مُؤْمِنٌ دَمُهُ حَلالٌ وقَدْ حَرُمتْ دِماءُ المؤْمنِينا

وكان حين هرب الى محمد بن مروان فى فك ابن الاشعث ألزمه ابنه يؤدبه ويقومه فقال له يوما « كيف ترى ابن أخيك » قال « ألزمتنى رجلا إن غبت عنه عتب . وان أتيته حجب . وان عاتبته غضب » ثم لزم عمر بن عبد العزيز . وكان ذا منزلة منه . قالوا وله يقول جرير :

ياأيُّها الرَّجلُ المرخي عِمامَتَهُ هذَا زَمانُكَ انّي قدْ مَضَى زَمنِي

أبلغ خليفتنا (١) ان كنت لاقيه أنّي لدى الباب كالمشدود في قرن
وقد رآك وفود الخافقين معاً ومذ وليت أمور الناس لم ترني

وكان (الجارود بن أبي سبرة) - ويكنى أبا نوفل - من أبين الناس وأحسنهم حديثا. وكان راوية علامة شاعرا مفلقا. وكان من رجال الشيعة، ولما استنطقه الحجاج قال « ماظننت أن بالعراق مثل هذا » وكان يقول « ماأمكنني وال قط من أذنه الا غلبت عليه. ماخلا هذا اليهودي » يعني بلال بن أبي بردة. وكان عليه متحاملا فلما بلغه أنه دهق ٢ حتى دقت ساقه وجعل الوتر في خصييه أنشأ يقول:

لقد قرّ عيني أنّ ساقيه دُقّتا وأنّ قوى الأوتار في البيضة اليسرى
بخلت وراجعت الخيانة والخنا فيسّرك الله المقدّس للعسرى
فما جذع سوء خرّب السوس جوفه يعالجه النجّار يبرى كما تبرى

وإنما ذكر الخصية اليسرى لان العامة تقول ان الولد منها يكون

ومن الخطباء الذين لايضاهون ولايجارون (عبد الله بن عباس) قالوا خطبنا بمكة - وعثمان رضي الله تعالى عنه محاصرا - خطبة لو شهدتها الترك والديلم لاسلمتا. قال وذكره حسان بن ثابت فقال:

اذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملتقطات لاترى بينها فصلا
كفى وشفى مافي النفوس ولم يدع لذي اربة في القول جدًّا ولاهزلا
سموت الى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لادنيًّا ولا وغلا

وقال الحسن: كان عبد الله بن عباس أول من عرف بالبصرة صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفا حرفا. وكان والله مثجا يسيل غربا. وكان يسمى « البحر » و« حبر قريش » وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل » وقال عمر « غص غواص » ونظر اليه يتكلم فقال:

شنشنة أعرفها من أخزم

١ يريد به أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز راجع ص ١٦٦ و ١٦٨ من سيرته ٢ الدهق محركة خشبتان يغمز بهما الساق

الشعر لابى أخزم الطائى وهو جد أبى حاتم طى أوجد جده . وكان له ابن يقال له أخزم فمات وترك بنين ، فوثبوا يوما على جدهم أبى أخزم فادموه ، فقال :

انَّ بَنِيَّ زَمَّلُونى بالدَّمِ     شِنْشِنَةٌ أعرِفُهَا مِنْ أخزَمِ

أى انهم أشبهوا أباهم فى طبيعته وخلقه . وأحسبه كان به عاقا . فهكذا ذكر ابن الكلبى . والشنشنة مثل الطبيعة والسجية . فاراد عمر رضى الله تعالى عنه انى أعرف فيك مشابهة فى أبيك فى رأيه وعقله . ويقال انه لم يكن لقرشى مثل رأى العباس

ومن خطباء بنى هاشم أيضا (داود بن على) وكان يكنى أبا سليمان . وكان أنطق الناس وأجودهم ارتجالا واقتضابا للقول . ويقال انه لم يتقدم فى تحبير خطبة قط . وله كلام كثير معروف محفوظ . فمن ذلك خطبته على أهل مكة « شكرا شكرا . أما والله ماخرجنا لنحتفر فيكم نهرا ولا لنبنى فيكم قصرا . أظن عدو الله أن لم نظفر به أن أرخى له فى زمامه . حتى عثر فى فضل خطامه . فالآن عاد الامر فى نصابه . وطلعت الشمس من مطلعها . وأخذ القوس باريها . وعاد النبل الى النزعة . ورجع الامر الى مستقره فى أهل بيت نبيكم أهل بيت الرأفة والرحمة »

ومن خطباء بنى هاشم (عبد الله بن الحسن) وهو القائل لابنه ابراهيم أومحمد « أى بنى ، انى مؤد اليك حق الله فى تاديبك فادالى حق الله فى حسن الاستماع . أى بنى ، كف الاذى ، وارفض البذاء ، واستعن على الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك نفسك فيها الى القول . فان للقول ساعات يضر فيها الخطا ولاينفع فيها الصواب . واحذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر مشورة العاقل اذا كان غاشا ، يوشك أن يورطاك بمشورتهما فيسبق اليك مكر العاقل وغرارة الجاهل »

قال الحسن بن خليل : كان المامون قد استثقل (سهل بن هارون) فدخل عليه سهل يوما والناس عنده على منازلهم ، فتكلم المامون بكلام فذهب فيه كل مذهب . فلما فرغ المامون من كلامه أقبل سهل بن هارون على ذلك الجمع فقال « مالكم تسمعون ولاتعون ، وتشاهدون ولا تفهمون . وتفهمون ولا تتعجبون وتنظرون ولا تبصرون . والله انه ليفعل ويقول فى اليوم القصير مثل مافعل بنو مروان وقالوا فى الدهر الطويل . عربكم كعجمهم وعجمكم كعبيدهم . ولكن كيف يعرف الدواء من لايشعر بالداء » قال فرجع له المامون بعد ذلك الى الرأى

ومن خطباء بنى ها شم ـ ثم من ولد جعفر بن سليمان ـ (سليمان بن جعفر) والى مكة . قال المكى سمعت مشايخنا من أهل مكة يقولون انه لم يرد عليهم أمير منذ عقلوا الكلام إلا وسليمان أبين منه قاعدا وأخطب منه قائما

وكان (داود بن جعفر) اذا خطب اسحنفر[1] فلم يرده شيء . وكان فى لسانه شبيه بالرتة . وكان (أيوب) فوق داود فى الكلام والبيان ولم يكن له مقامات داود فى الخطب . وقال عيسى بن اسحاق لداود بن جعفر : بلغنى أن معاوية قال للنخار بن أوس « أبغنى محدثا » قال « ومعى ياأمير المؤمنين تريد محدثا » قال « نعم ، استريح منك اليه ، ومنه اليك ، وأنا لاأستريح الى غير حديثك ، ولا يكون صمتك فى حال من الحالات أوفق لى من كلامك »

وكان (اسماعيل بن جعفر) من أدق الناس لسانا وأحسنهم بيانا

ومن خطباء بنى هاشم (جعفر بن حسن بن الحسين بن على) وكان أحد من ينازع زيدا فى الوصية ، فكان الناس يجتمعون ليسمعوا محاوباتهما فقط

وجماعة من ولد العباس فى عصر واحد لم يكن لهم نظراء فى أصالة الرأى ، وفى الكمال والجلالة ، وفى العلم بقريش والدولة وبرجال الدعوة ، مع البيان العجيب والغور البعيد والنفوس الشريفة والاقدار الرفيعة . وكانوا فوق الخطباء وفوق أصحاب الاخبار . وكانوا يجلون عن هذه الاسماء الا أن يصف الواصف بعضهم ببعض ذلك * منهم (عبد الملك بن صالح) قال وساله الرشيد ـ وسليمان بن أبى جعفر وعيسى بن جعفر شاهدان ـ فقال له « كيف رأيت أرض كذا وكذا » قال « مسافى[2] ريح ومنابت شيح » قال « فارض كذا وكذا » قال « هضاب حمر ، وبراث عفر » قال حتى أتى على جميع ماأراد . قال فقال عيسى لسليمان « والله ماينبغى لنا أن نرضى لانفسنا بالدون من الكلام »

الهضبة الجبل ينبسط على الارض وجمعها هضاب . والبراث الاماكن اللينة السهلة واحدها برث . وقوله عفر أى حمرتها كحمرة التراب . والظبي الاعفر الاحمر لان حمرته كذلك والعَفَر والعفر التراب ومنه قيل ضربه حتى عفره أى ألحقه بالتراب

ومن هؤلاء (عبد الله بن صالح . والعباس بن محمد . واسحق بن عيسى .

---

١ أى مضى مسرعا ٢ جمع مسفى وهو محل هبوب الريح

واسحق بن سليمان ، وأيوب بن جعفر) هؤلاء كانوا أعلم بقريش و بالدولة و برجال الدعوة من المعروفين برواية الاخبار . وكان ابراهيم بن السندى يحدثني عن هؤلاء بشيء هوخلاف مافى كتب الهيثم بن عدى وابن الكلبي ، واذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المزور

وكان (عبد الله بن على وداود بن على ) يعد لان بامة من الامم . ومن مواليهم ابراهيم ونصر ابنا السندى . فاما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث ، وكان لايعدو حديث ابن الكلبي والهيثم . وأما ابراهيم فانه كان رجلا لانظير له ، وكان خطيبا ، وكان ناسبا ، وكان فقيها ، وكان نحويا عروضيا ، وحافظا للحديث ، رواية للشعر ، شاعرا . وكان فخم الالفاظ ، شريف المعانى ، وكان كاتب القلم ، كاتب العمل . وكان يتكلم بكلام رؤبة ، ويعمل فى الخراج بعمل زاذان فروح الاعور . وكان منجما ، طبيبا ، وكان من رؤساء المتكلمين . وعالما بالدولة وبرجال الدعوة . وكان أحفظ الناس لماسمع ، وأقلهم نوما وأصبرهم على السهر

ومن خطباء تميم ( جحدب ) وكان خطيبا راوية ، وكان قضى على جرير فى بعض مذاهبه ، فقال جرير :

قَبَحَ الالهُ ولا يُقبّحُ غيرَهُ بَظراً تفلّقَ عنْ مَفارقِ جحدَبِ

وهو الذى كان لقيه خالد بن سلمة المخزومى الخطيب الناسب فقال « والله ماأنت من حنظلة الاكرمين ، ولا سعد الاكثرين ، ولا عمرو الاسدين ، وما فى تميم خير بعد هؤلاء » فقال له جحدب « والله انك لمن قريش ، وما أنت من بيتها ، ولا من نبوتها ، ولا من شوارها [1] وخلافتها ، ولا من أهل سداتها وسقايتها » وهو شبيه بما قال خالد بن صفوان للعبدرى ، فانه قال له « هشمتك هاشم ، وأمتك أمية ، وخزمتك مخزوم ، وأنت من عبد دارها ، ومنتهى عارها . تفتح لها الابواب اذا أقبلت ، وتغلقها اذا أدبرت »

ومن ولد المنذر (عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن هبيرة بن المنذر ) وكان فقيها عالما قاضيا . وكان راوية شاعرا . وكان خطيبا ناسبا . وكان حاضر الجواب مفوها . وكان لاجتماع هذه الخصال فيه يشبه بعامر الشعبي . وكان يكنى أبا شبرمة . وقال يحيي بن نوفل :

---

١ هو بالفتح الحسن

لما سألت الناسَ أين المكرُمهْ  والعزُّ والجرثومةُ المُقدَّمهْ
وأينَ فارُوقُ الأُمورِ المُحكَمهْ  تتابعَ الناسُ على ابنِ شبرُمهْ

وابن شبرمة الذى يقول فى ابن أبى ليلى :

وكيفَ ترُجّى لفصلِ القضاء  ولمْ تُصبِ الحُكمَ فى نفسكا
فتزعمُ أنّكَ لابنِ الجلاحِ  وهيهاتَ دعواكَ مِنْ أصلكا

قال وقال رجل من فقهاء المدينة « من عندنا خرج العلم » قال فقال ابن شبرمه « نعم ، ثم لم يرجع اليكم » قال وقال عيسى بن موسى « دلونى على رجل أوليه مكان كذا وكذا » فقال ابن شبرمة « أصلح الله الامير ، هل لك فى رجل إن دعوتموه أجابكم وان تركتموه لم يأتكم ، ليس بالملحّ طلبا ولا بالممعن هربا » وسئل عن رجل فقال « إن له شرفا وبيتا وقدما » ونظروا فاذا هو ساقط من السفلة فقيل له فى ذلك فقال « ما كذبت ، شرفه أذناه ، وقدمه التى يمشى عليها ، ولابد من أن يكون له بيت يأوى اليه » قال أبو اسحق « بل كذبت ، انما هو كقول القائل حين ساله بعض من أراد تزويج حرمة عن رجل فقال : هو يبيع الدواب ، فلما نظروا فى أمره وجدوه يبيع السنانير ، فلما سئل عن ذلك قال : ما كذبت لان السنور دابة — قال أبو اسحق — بل لعمرى لقد كذب . وهذا مثل قول القائل حين سئل عن رجل فى تزويج امرأة فقال : رزين المجلس ، نافذ الطعنة ، فحسبوه سيدا فارسا ، فنظروا فوجدوه خياطا ، فسئل عن ذلك فقال «ما كذبت انه لطويل الجلوس ، جيد الطعن بالابرة — فقال أبو اسحاق — بل لعمرى لقد كذب لانه قد غرهم منه» وكذلك لو ساله رجل عن رجل يريد أن يسلفه مالا عظيما فقال «هو يملك مالا كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف» فلما بايعه الرجل وجده معدما ضعيف الحيلة ، فلما قيل له فى ذلك قال «ما كذبت لانه يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه» حتى عد جميع أعضائه وجوارحه . ومن قال للمستشير هذا القول فقد غره ، وذلك مما لا يحل فى دين ولا يحسن فى الحرية ، وهذا القول معصية والمعصية لله تعالى لاتكون صدقا . وأدنى منازل هذا الخبر لايسمى صدقا . فاما التسمية له بالكذب فان فيها كلاما يطول

ومن الخطباء المشهورين فى العوام والمقدمين فى الخواص (خالد بن صفوان الاهتمى) زعموا جميعا أنه كان عند أبى العباس أمير المؤمنين وكان من سماره وأهل المنزلة عنده ،

ففخر عليه ناس من بلحارث بن كعب وأكثروا فى القول ، فقال أبو العباس «لم لا تتكلم يا خالد» فقال «أخوال أمير المؤمنين وعصبته» قال «فانتم أعمام أمير المؤمنين وعصبته» قال خالد «وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ، وراكب عرد ١ . دل عليهم هدهد ، وغرقتهم فأرة ، وملكتهم امرأة» فلئن كان خالد قد فكر وتدبر هذا الكلام انه للراوية الحافظ والمؤلف الجيد . ولئن كان هذا شيئا حضره حين حرك و بسط فما له نظير فى الدنيا . فتامل هذا الكلام فانك ستجده مليحا مقبولا وعظيم القدر جليلا . ولو خطب اليمانى بلسان سحبان وائل حولا كريتا ٢ ثم صك بهذه الفقرة ماقامت له قائمة . وكان أذكر الناس لاول كلامه وأحفظهم لكل شيء سلف من منطقه . قال مكى بن سوادة فى صفته له :

عَلِيمٌ بِتَنْزِيلِ الْكَلَامِ مُلَقَّنٌ ... ذَكُورٌ لِمَا سَدَّاهُ أَوَّلَ أَوَّلَا

يَبُذُّ قَرِيعَ (٣) الْقَوْمِ فِى كُلِّ مَحْفِلٍ ... وانْ كانَ سَحْبَانَ الْخَطِيبَ ودَغْفَلَا

تَرَى خُطَبَاءَ النَّاسِ يَوْمَ ارْتِجَالِهِ ... كأَنَّهُمُ الْكِرْوانُ عَايَنَّ أَجْدَلَا

الكروان جمع كَرَوان وهو ذكر الحبارى . والاجدل الصقر

وكان يقارض شبيب بن شيبة لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة . فذكر شبيب عنده مرة فقال «ليس له صديق فى السر ، ولا عدو فى العلانية» وهذا كلام ليس يعرف قدره الا الراسخون فى هذه الصناعة . وكان خالد جميلا ولم يكن بالطويل ، فقالت له امرأة «انك لجميل يا أبا صفوان» قال «وكيف تقولين هذا وما فىّ عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه» فقيل له «ما عمود الجمال» قال «الطول واست بطويل ، ورداؤه البياض واست بابيض ، و برنسه سواد الشعر وأنا أشمط . ولكن قولى انك لمليح ظريف» . وخالد يعد فى الصلعان . ولكلام خالد كتاب يدور فى أيدى الوراقين

وكان (الازهر بن عبد الحارث بن ضرار بن عمرو الضبى) عالما ناسبا

ومن خطباء بنى ضبة (حنظلة بن ضرار) وقد أدرك الاسلام وطال عمره حتى أدرك يوم الجمل ، وقيل له «مابقى منك» قال «أذكر القديم وأنسى الحديث ، وآرق بالليل وأنام وسط القوم»

---

١ هو الحمار ٢ كاملا ٣ السيد

ومن خطباء بني ضبة وعلمائهم (مشجور بن غيلان بن خرشة) وكان مقدما في المنطق ، وهو الذي كتب الى الحجاج «انهم قد عرضوا على الذهب والفضة فما ترى أن آخذ» قال «أرى أن تاخذ الذهب» فذهب عنه هاربا ، ثم قتله بعد . وذكره القلاح بن حزن المنقري فقال :

أَمْثالُ مَشْجُورٍ قَلِيلٌ ومِثْلُهُ فَتَى الصِّدْقِ انْ صَفَّقَتْهُ كُلُّ مُصَفِّقِ

وما كُنْتُ أَشْرِيهِ بِدُنْيا عَرِيضَةٍ ولا بِابْنِ خالٍ بَيْنَ غَرْبٍ ومَشْرِقِ

اذا قالَ بَذَّ القائلينَ مَقَالُهُ ويَأْخُذُ مِنْ أَكْفائِهِ بِالْمُخَنَّقِ (١)

ومن خطباء الخوارج (قطرى بن الفجاءة) له خطبة طويلة مشهورة ، وكلام كثير محفوظ . وكانت له كنيتان : كنية فى السلم وهو أبو محمد ، وكنية فى الحرب وهو أبو نعامة . وكانت كنية عامر بن الطفيل فى الحرب غير كنيته فى السلم : كان يكنى فى الحرب بابى عقيل ، وفى السلم بابى على . وكان يزيد بن مزيد يكنى فى السلم بابى خالد ، وفى الحرب بابى الزبير . وقال مسلم بن الوليد الانصارى :

لَوْلا سُيُوفُ أَبِي الزُّبيرِ وخَيْلُهُ نَشَرَ الْوَلِيدُ لِسَيْفِهِ الضَّحَّاكا

وفيه يقول :

لَوْلا يَزِيدُ ومِقْدارٌ لَهُ سَبَبٌ عاشَ الْوَلِيدُ مع الغاوِينَ أعواما

سَلَّ الخَلِيفَةُ سَيفا مِنْ بَنِى مَطَرٍ يَمْضِى فَيَخْتَرِقُ الأَرْواحَ والْهاما

اذا الخِلافَةُ عُدَّتْ كُنْتَ أَنْتَ لَها عِزًّا وكانَ بَنُو العَباسِ حُكَّاما

ألا تراه قد ذكر قتل الوليد ، وقد كان خالد بن يزيد اكتنى بها فى الحرب فى بعض أيامه بمصر. وهذا الباب مستقصى مع غيره فى أبواب الكنى والاسماء وهو وارد عليكم ان شاء الله تعالى

ومن خطباء الخوارج (ابن صديقة) وهو القاسم بن عبد الرحمن بن صديقة ، وكان صفريا خطيبا ناسبا ويشوبه ببعض الظرف والهزل

ومن علماء الخوارج (شبيل بن غرزة الضبعى) صاحب الغريب وكان راوية

---

١ المخنق : موضع حبل الخنق من العنق

خطيبا وشاعرا ناسبا ، وكان سبعين سنة رافضيا ثم انتقل خارجيا صفريا

ومن علماء الخوارج (الضحاك بن قيس الشيباني) ويكنى أبا سعيد ، وهو الذي ملك العراق وسار فى خمسين ألفا وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وسليمان بن هشام بن عبد الملك وصليا خلفه وقال شاعرهم :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهُ أَظْهَرَ دِينَهُ وَصلَّتْ قُرَيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ

وكان (ابن عطاء الليثى) يسامر الرشيد وكان صاحب أخبار وأسمار وعلم بالانساب وكان أظرف الناس وأحلاهم

وكان (عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كريز) راوية ناسبا وعالما بالعربية فصيحا

وكان (عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر) من أبين الناس وأفصحهم ، وكان مسلمة بن عبد الملك يقول : انى لانحى كور العمامة عن أذنى لاسمع كلام عبد الاعلى ابن عبد الله . قال وقال بعض الامراء ـ وأظنه بلال بن أبى بردة ـ لابى نوفل الجارود بن أبى سبرة : ماذا تصنعون عند عبد الاعلى اذا كنتم عنده . قال : يشاهدنا باحسن استماع وأحسن حديث ، ثم يأتى الطباخ فيمثل بين عينيه ، فيقول : ماعندك . فيقول : عندى لون كذا وجدى كذا ودجاجة كذا ومن الحلو كذا . قال : ولم يسال عن ذلك . قال : ليقصر كل رجل عما لايشتهى حتى يأتيه مايشتهى . ثم يأتون بالخوان فيتضايق ونتسع ويقصر ونجتهد ، فاذا شبعنا خوى تخوية الظليم ثم أقبل يأكل أكل الجائع المفرور

قال والجارود هو الذى قال « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » وهو الذى قال « عليكم بالمربد فانه يطرد الفكر ، ويجلو البصر ، ويجلب الخبر ، ويجمع بين ربيعة ومضر » قال وصعد عثمان المنبر فارتج عليه فقال « ان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا ، وأنتم الى امام عادل أحوج منكم الى امام خطيب » وستاتيكم الخطب على وجهها وتعلمون ان شاء الله تعالى

وشخص يزيد بن عمر بن هبيرة الى هشام بن عبد الملك فتكلم ، فقال هشام « مامات من خلف مثل هذا » فقال الابرش الكلبى « ليس هناك ، أما تراه يرشح جبينه لضيق صدره » قال يزيد « مالذلك رشح ، ولكن لجلوسك فى هذا الموضع » وكان الابرش ثلابة[١] نسابة ، وكان مصاحبا لهشام بن عبد الملك ، فلما أفضت اليه

---

١ أى متنقصا للناس عائبا اياهم

الخلافة سجد وسجد من كان عنده من جلسائه ، والابرش شاهد لم يسجد ، فقال له هشام « مامنعك أن تسجد ياأبرش » قال « ولم أسجد وأنت اليوم معي ماشيا وغدا فوقي طائرا » قال « فان طرت بك معي » قال « أتراك فاعلا » قال « نعم » قال « فالآن طاب السجود » قال دخل يزيد بن عمر على المنصور – وهو يومئذ أمير – فقال « أيها الامير ، ان عهد الله لاينكث ، وعقده لايحل ، وان إمارتكم بكر فاذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها »

قال سهل بن هارون دخل قطرب النحوي على المخلوع فقال « ياأمير المؤمنين ، كانت عدتك أرفع من جائزتك » وهو يتبسم ، قال سهل فاغتاظ الفضل بن الربيع، فقلت له « ان هذا من الحصر والضعف وليس هذا من الجلد والقوة ، أما تراه يفتل أصابعه ويرشح جبينه »

قال وقال عبد الملك لخالد بن سلمة المخزومي « من أخطب الناس » قال « أنا » قال « ثم من » قال « سيد جذام » يعني روح بن زنباع قال « ثم من » قال « أخيفش ثقيف » يعني الحجاج قال « ثم من » قال « أمير المؤمنين » قال « ويحك جعلتني رابع أربعة » قال « نعم هو ماسمعت »

ومن خطباء الخوارج وعلمائهم ورؤسائهم في الفتيا وشعرائهم ورؤساء قعدهم ( عمران بن حطان ) ومن علمائهم وشعرائهم وخطبائهم ( حبيب بن خدرة الهلالي ) وعداده في بني شيبان . وممن كان يرى رأي الخوارج ( أبو عبيدة النحوي معمر بن المثنى ) مولى تيم بن مرة ولم يكن في الارض خارجي ولاجماعي أعلم بجميع العلم منه . وممن كان يرى رأي الخوارج ( الهيثم بن عدي ) الطائي ثم البحتري . وممن كان يرى رأي الخوارج ( شعيب بن رباب الحنفي أبو بكار ) صاحب أحمد بن أبي خالد ومحمد بن حسان السكسكي . ومن الخوارج من علمائهم ورواتهم ( مسلم بن كرزين ) وكنيته أبو عبيدة وكان أباضيا . ومن علمائهم الصفرية وممن كان مقنعا في الاخبار لاصحاب الخوارج والجماعة جميعا ( مليل ) وأظنه من بني ثعلبة . ومن أهل هذه الصنعة ( أصفر بن عبد الرحمن ) من أخوال طوق بن مالك . ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم (المقعطل) قاضي عسكر الازارقة أيام قطري . ومن شعرائهم ورؤسائهم وخطبائهم ( عبيدة بن هلال اليشكري ) وكان في بني السمين ومن بني شيبان خطباء العرب ، وكان فيهم ذاك فاشيا ولذلك قال الاخطل :

فأينَ ابنُ السّمينِ ألاَ يَقُومُ خَطيبُها   وأينَ ابنُ ذي الجَدَّيْنِ لايَتَكَلَّمُ

وقال سحيم بن حفص كان ( يزيد بن عبد الله بن رؤبة الشيبانى ) من أخطب الناس عند يزيد بن الوليد ، فامر للناس بعطاءين * ومن الخطباء ( معبد بن طوق العنبرى ) دخل على بعض الامراء فتكلم وهو قائم فاحسن ، قال فلما جلس تلهيع [١] فى كلامه ، فقال له « ماأظرفك قائما وأموقك [٢] قاعداً » قال « انى اذا قمت جددت واذا قعدت هزلت » قال « ما أحسن ماخرجت منها » * ومن خطباء عبد القيس (مصقله بن رقبة بن مصقلة ) و (كرب بن رقبة ) . والعرب قد ذكروا من خطب العرب ﴿ العجوز ﴾ وهى خطبة لآل رقبة ، ومتى تكلموا فلا بدلهم منها أومن بعضها ﴿ والعذراء ﴾ وهى خطبة (قيس بن خارجة) لانه كان أباعذرها ﴿ والشوهاء ﴾ وهى خطبة ( سحبان وائل ) وقيل ذلك لها من حسنها ، وذلك أنه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يخطب خطيب . وكان ( أبو عمار الطائى ) خطيب مذحج كلها فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان أحمر العينين أحمر الجلد أحمر الشعر ، وكان شديد العربدة قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة الطائى عن منادمته ، فلما قتله رثاه فقال :

انى نَهيتُ ابنَ عمّارٍ وقلتُ لهُ ... لاتأمَنَنْ أحمرَ العينينِ والشَّعَرَه

انَّ الملوكَ متى تَنزِلْ بساحتهِمْ ... تَطِرْ بنارِكَ مِنْ نيرانِهِمْ شَرَرَه

يا جَفنَةً كازاءِ الحَوْضِ قَدْ هَدَموا ... ومَنْطِقاً مِثلَ وَشْى اليُمْنةِ الحِبَرَه

وقال الاصمعى هو كقوله :

وَمَنْطِقٌ خُرِّقَ بالعَوَاسِلِ ... لَذٍّ كَوَشْيِ اليُمْنَةِ المَرَاجِلِ [٣]

قال وسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمرو بن الاهتم عن الزبرقان بن بدر فقال « انه لمانع لحوزته مطاع فى أذينه » قال الزبرقان « يارسول الله إنه ليعلم منى أكثر مما قال ، ولكنه حسدنى يارسول الله فى شرفى فقصرنى » فقال عمرو « وهو والله زمر المروءة ، ضيق العطن ، لئيم الخال » فنظر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى عينيه فقال « يارسول الله ، رضيت فقلت أحسن ماعلمت وغضبت فقلت أقبح ماعلمت ، وما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الآخرة » فقال رسول الله صلى الله تعالى

---

١ تلهيع فى كلامه : أفرط وتبلتع ٢ ماق الرجل : حمق فى غباوة ٣ العواسل : الرماح * والمرجل : برد يمنى

عليه وسلم « ان من البيان لسحرا »

قال وتكلم رجل فى حاجة عند عمر بن عبد العزيز ــ وكانت حاجته فى قضائها مشقة ــ قال فتكلم الرجل بكلام رقيق موجز وتأنى لها فقال عمر « والله ان هذا للسحر الحلال »

ومن أصحاب الاخبار والآثار ( أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبى سبرة ) وكان القاضى قبل أبى يوسف . ومن أصحاب الاخبار والآثار ( أبو هنيدة ) و ( أبو نعامة ) العدويان * ومن الخطباء ( أيوب بن القرّية ) وهو الذى لما دخل على الحجاج قال « ماأعددت لهذا الموقف » قال « ثلاثة حروف ، كأنهن ركب وقوف ، دنيا وآخرة ومعروف » ثم قال له فى بعض مايقول « أقلنى عثرتى ، وأسغنى ريقى ، فانه لا بد للجواد من كبوة ، وللسيف من نبوة ، وللحليم من هفوة » قال « كلا والله حتى أوردك جهنم ، ألست القائل برستقاباذ « تغدوا الجدى قبل أن يتعشا كم » . قال ومن خطباء غطفان فى الجاهلية ( خويلد بن عمرو ) و ( العُشَراء بن جابر بن عقيل بن هلال بن سمى بن مازن بن فزارة ) وخويلد خطيب يوم الفجار . ومن أصحاب الاخبار والنسب والخطب وأهل البيان ( الوضاح ابن خيثمة ) . ومن أصحاب الاخبار والنسب والخطب والحكام عند أصحاب النفورات ( بنو الكوّا ) واياهم يعنى مسكين بن أنيف الدارمى حين ذكر أهل هذه الطبقة فقال :

كِلانَا شاعِرٌ مِنْ حَيِّ صدقٍ ولكنَّ الرَّحَى فَوْقَ الثِّفالِ
وَحكِّمْ دَغفَلاً وارْحَلْ اليْهِ ولا تَرِحِ المَطيُّ مِنَ الكَلالِ
تَعالَ الى بَنِى الكوَّاء يقضُوا بعلمهم بأَنْسابِ الرِّجالِ
تَعالَ الى ابْنِ مَذْعُورٍ شِهابٍ يُنَبِّي بالسَّوافِلِ والعَوالى
وعِنْدَ الكَيِّسِ النَّمَرِيِّ علْمٌ ولَوْ أَضْحَى بِمُنْخَرِقِ الشَّمالِ

ومن الخطباء القدماء ( كعب بن لؤى ) وكان يخطب على العرب عامة ويحض كنانة خاصة على البر ، فلما مات أكبروا موته ، فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب بن لؤى الى عام الفيل . ومن الخطباء الابناء العلماء الذين جروا من الخطابة على أعراق قديمة (شبيب بن شيبة ) وهو الذى يقول فى صالح بن أبى جعفر المنصور وقد كان

المنصور أقام صالحا فتكلم فقال شبيب «مارأيت كاليوم أبين بيانا ، ولا أجود لسانا ، ولا أربط جنانا ، ولا أبل ريقا ، ولا أحسن طريقا ، ولا أغمض عروقا ، من صالح . وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه ، والمهدي أخاه ، أن يكون كما قال زهير :

يَطْلُبُ شَأْوَ امْرَأَيْنِ قَدَّما حَسَنًا ... نالا الملوكَ وَبَذَّا هَذِهِ السُّوقَا

هُوَ الجَوَادُ فإنْ يَلْحَقْ بِشَأْوِهِما ... على تَكالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لَحِقَا

أَوْ يَسْبِقَاهُ على ما كانَ مِنْ مَهَلٍ ... فَمِثْلُ ماقَدَّما مِنْ صالِحٍ سَبَقَا

قال وخرج شبيب من دار الخلافة يوما فقال له قائل « كيف رأيت الناس » قال « رأيت الداخل راجيا ، والخارج راضيا » قال وقال خالد بن صفوان « اتقوا مجانيق الضعفاء » يريد الدعاء . قال وقال شبيب بن شيبة « اطلب الادب ، فانه دليل على المروءة وزيادة في العقل وصاحب في الغربة وصلة في المجلس » وقال شبيب للمهدي يوما « أراك الله في بنيك ماأرى أباك فيك ، وأرى الله بنيك فيك ماأراك في أبيك » وقال أبو الحسن قال زيد بن علي بن الحسين « اطلب مايعنيك واترك مالا يعنيك ، فان في ترك مالا يعنيك دركا لما يعنيك ، وانما تقدم على ماقدمت ولست تقدم على ماأخرت ، فآثر ماتلقاه غدا على مالا تراه أبدا » أبو الحسن عن ابراهيم بن سعد قال قال خالد بن صفوان «ماالانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة » أبو الحسن قال كان (أبو بكر) خطيبا . وكان (عمر) خطيبا وكان (عثمان) خطيبا . وكان (علي) خطيبا . وكان من الخطباء (معاوية) و (يزيد) و (عبد الملك) و (معاوية بن يزيد) و (مروان) و (سليمان) و (يزيد بن الوليد) و (وليد بن يزيد) و (الوليد بن عبد الملك) و (عمر بن عبد العزيز) . ومن خطباء بني هاشم (زيد بن علي) و (عبد الله بن حسن) و (عبد الله بن معاوية) خطباء لايجارون . ومن خطباء النساك والعباد (الحسن بن أبي الحسن البصري) و (مطرف بن عبد الله الحرشي) و (مورّق العجلي) و (بكر بن عبد الله المزني) و (محمد بن واسع الازدي) و (يزيد بن أبان الرقاشي) و (مالك بن دينار السامي) . وليس الامر كما قال في هؤلاء القاص المجيد والواعظ البليغ وذو المنطق الوجيز . فاما الخطب فانا لانعلم أحدا يتقدم الحسن البصري فيها . وهؤلاء وان لم يسموا خطباء فان الخطيب لم يكن يشق غبارهم

أبو الحسن قال حدثني أبو سليمان الحميري قال كان هشام بن عبد الملك يقول

« أنى لاستصفق العمامة ١ الرقيقة أن تكون على أذنى اذا كان عبد الاعلى بن عبد الله ابن عامر يتكلم ، مخافة أن يسقط عنى من حديثه شيء»

ومن الخطباء من بنى عبد الله بن غطفان (أبو البلا) وكان راوية ناسبا . ومنهم (هاشم بن عبد الاعلى الفزارى)

ومن الخطباء (حفص بن معاوية الغلابى) وكان خطيبا ، وهو الذى قال حين أشرك سليمان بن على بينه و بين مولى له على دارة القتب قال حفص «أشركت بينى و بين غير الكفى ، ووليتنى غير السنى» . ومن بنى هلال بن عامر (زرعة بن ضمرة) وهو الذى قيل « لولا غلو فيه ما كان كلامه الا الذهب » وقام عند معاوية بالشام خطيبا فقال معاوية «ياأهل الشام هذا خالى فأتونى بخال مثله» وكان ابنه (النعمان ابن زرعة بن ضمرة) من أخطب الناس ، وهو أحد من كان تخلص من الحجاج من فل ابن الاشعث بالكلام اللطيف . قال سحيم بن حفص ومن الخطباء (عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى) تكلم هو وعبد الله بن الاهتم عند عمر بن هبيرة يفضل عاصما عليه . وقال سحيم فقال قائل يومئذ «الخل الحامض مالم يكن ماء» ومن خطباء بنى تميم (عمرو بن الاهتم) وكان يدعى المكحل لجماله ، وهو الذى قيل فيه « انما شعره حلل منشرة بين أيدى الملوك تأخذ منه ماشاءت » ولم يكن فى بادية العرب فى زمانه أخطب منه . ومن بنى منقر (عبد الله بن الاهتم) وكان خطيبا ذا مقامات ووفادات . ومن الخطباء (صفوان بن عبد الله بن الاهتم) وكان خطيبا رئيسا . وابنه (خالد بن صفوان) وقد وفد الى هشام وكان من سمار أبى العباس . ومنهم (عبد الله بن عبد الله بن الاهتم) قد ولى خراسان ووفد على الخلفاء وخطب عند الملوك . ومن ولده (شبيب بن شيبة) بن عبد الله بن عبد الله بن الاهتم و(عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الاهتم) (وخاقان بن الاهتم) وهو عبد الله بن عبد الله بن عبد الله الاهتم . ومن خطبائهم (محمد الاحول بن خاقان) وكان خطيب بنى تميم ، وقد رأيته وسمعت كلامه . ومن خطبائهم (معمر بن خاقان) وقد وفد . ومن خطبائهم (مؤمل ابن خاقان) ، وقال أبو الزبير الثقفى « مارأيت خطيبا من خطباء الامصار أشبه بخطباء البادية من المؤمل بن خاقان » ومن خطبائهم (خاقان بن المؤمل بن خاقان) . وكان (صباح بن خاقان) ذا علم و بيان ومعرفة وشدة عارضة وكثرة رواية مع سخاء واحتمال وصبر على الحق ونصرة للصديق وقيام لحق الجار . ومن

١ أى انى أجدها صفيقة : والصفيق ضد الرقيق

بنى منقر ( الحكم بن النضر ) وهو أبو العلاء المنقرى وكان يصرف لسانه حيث شاء من جهارة واقتدار . ومن خطباء بنى صريم بن الحارث ( الخزرج بن الصدى ). ومن خطباء بنى تميم ثم من مقاعس ( عمارة بن أبى سلمان ) . ومن ولد بنى مالك بن سعيد ( عبد الله ) و ( خير ) ابنا حبيب كانا ناسبين عالمين أديبين دينين . ومن ولد مالك بن سعيد ( عبد الله ) و ( العباس ) أبنا رؤبة ، وكان العباس علامة عالما ناسبا راوية ، وكان عبد الله أرجز الناس وأفصحهم ، ويكنى أبا الشعثاء وهو العجاج . ومن أصحاب الاخبار والنسب ( أبو بكر الصديق ) رضى الله عنه ثم ( جبير ابن مطعم ) ثم ( سعيد بن المسيب ) ثم ( محمد بن سعيد بن المسيب ) ثم ( قتادة ) و ( عبد الله بن عبيد الله [1] بن عتبة المسعودى ) الذى قال فى كلمات [2] له فى عمر ابن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه :

فَمَا تُرابُ الارضِ منهُ خُلِقْتُما ... وَفيهِ المَعادُ والمَصيرُ الى الحَشْرِ
ولا تأنَفا أنْ تَرجِعا فتُسَلِّما ... فما حُشِيَ الانسانُ شَرًّا من الكِبْرِ
فَلَوْ شئتُ أُولِى فيكُما غيرَ واحدٍ ... عَلانِيَةً أو قالَ عِندِى فى سِرِّ
فانْ أنا لَمْ آمُرْ ولمْ أنْهَ عَنكُما ... ضَحِكْتُ لَهُ حتّى يَلِجَّ ويَستَشْرِى

وهو الذى قيل له : كيف تقول الشعر مع النسك والفقه . فقال « ان المصدور [3] لا يملك أن ينفث » . وقد ذكر المصدور أبو زبيد الطائى فى صفة الاسد فقال :

لِلصَّدْرِ منهُ عَوِيلٌ فيهِ حَشْرَجَةٌ ... كأنَّما هُوَ مِنْ أحْشاءِ مَصْدُورِ

ومن خطباء هذيل ( أبو المليح الهذلى أسامة بن عمير ) . ومنهم ( أبو بكر ) الهذلى كان خطيبا قاصا وعالما بينا وعالما بالاخبار والآثار ، وهو الذى لما فاخر أهل الكوفة قال « لنا الساج ، والعاج ، والديباج ، والخراج ، والنهر العجاج »

*( باب من أسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان )*

قالوا : أكهن العرب وأسجعهم ( سلمة بن أبى حية ) وهو الذى يقال له غرى

---

[1] خ : عبيد الله بن عبد الله [2] خ : فى كلمة له [3] الذى يشكو صدره

سلمة . ومنهم ومن خطباء عمان (مرة بن فهم التليد) وهو الخطيب الذى أوفده المهلب الى الحجاج . ومن العتيك ( بشر بن المغيرة بن أبى صفرة ) وهو الذى قال لبنى المهلب « يا بنى عمى ، انى والله قد قصرت عن شكاة العاتب ، وجاوزت شكاة المستعتب ، حتى كأنى لست موصولا ولا محروما ، فعدونى امرءا خفتم لسانه أو رجوتم شكره . وانى وان قلت هذا فلما أبلانى الله بكم أعظم مما أبلاكم بى » . ومن خطباء اليمن ثم من حمير (الصباح بن شفى الحميرى) كان أخطب العرب . ومنهم ثم من الانصار (قيس بن الشماس) ومنهم (ثابت بن قيس بن الشماس) خطيب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . ومنهم (روح بن زنباع) وهو الذى لما هم به معاوية قال « لا تُشمتنّ بى عدوا أنت وقمته [١] ، ولا تسوءن بى صديقا أنت سررته ، ولا تهدمن منى ركنا أنت بنيته . هلا أتى حلمك و إحسانك على جهلى واساءتى » ومن خطبائهم ( الاسود بن الكذاب كعب العنسى) . وكان (طليحة) خطيبا وشاعرا وسجاعا كاهنا ناسبا . وكان (مسيلمة الكذاب) بعيدا من ذلك كله . و ( ثابت بن قيس بن شماس ) هو الذى قال لعامر حين قال « أما والله لئن تعرضت لعنتى وفنى [٢] وذكاء سنى لتولين عنى » فقال له ثابت « أما والله لئن تعرضت لسبابى وشبا أنيابى وسرعة جوابى لتكرهن جنابى » قال فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « يكفيك الله وأبناء قيلة » وأخذت هذا الحديث من رجل يصنع الكلام فأنا أتهمه . ومن خطباء الانصار (بشر بن عمرو بن محض ) وهو أبو عمرة الخطيب . ومن خطباء الانصار ( سعد بن الربيع ) وهو الذى اعترضت ابنته النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها « من أنت» فقالت «ابنة الخطيب النقيب الشهيد سعد بن الربيع » . ومنهم ( خال حسان ابن ثابت ) وفيه يقول حسان :

إنَّ خالى خَطيبُ جابِيَتِـهُ الجَوْ ... لانَ عِنْدَ النُّعْمانِ حَيْثُ يَقُومُ

وإياه يعنى حسان بقوله :

رُبَّ خالٍ لِىَ لَوْ أَبْصَرْتَهُ ... سَبِطَ المِشْيَةِ فى اليَوْمِ الخَصِرْ (٣)

ومنهم من الرواة والنسابين والعلماء ( شرقى بن القطامى الكلبى ) و ( محمد بن السائب الكلبى ) و ( عبد الله بن عياش الهمدانى ) و (هشام بن محمد بن السائب

١ قهرته وأذللته ٢ العنن : الاعتراض . والفن : الحال ٣ سبط المشية : مستقيمها . ويوم خصر : بارد

الكلبي ) و ( الهيثم بن عدى الطائى ) و ( أبو روق الهمدانى ) واسمه عطية بن الحارث و ( أبو مخنف لوط بن يحيي الازدى ) و ( محمد بن عمر الاسلمى الواقدى ) و ( عوانة الكلبي ) و ( ابن عيينه المهلبي ) و ( الخليل بن أحمد الفراهيدى ) و ( خلف بن حيان الاحمر الاشعرى ) . قالوا ومنا فى الجاهلية ( عبيد بن شرية ) و ( مناشق بن الصعب ) ومنا ( ربيع بن ربيعة السطيح الذئبى ) ومنا ( المأمور الحارثى ) و ( الديان بن عبد المدان الحارثى ) الشريفان الكاهنان . ومنهم ( عمرو بن حنظلة بن نهد الحكم ) وله يقول القائل :

حَنْظَلَةُ بْنُ نَهْدٍ خَيْرُ ناسٍ مِنْ مَعَدّ

ومنهم ( أبو الشطاح اللخمى ) وجمع معاوية بينه و بين دغفل بن حنظلة البكرى . ومنهم ( أبو الكناس الكندى ) ومنهم ( أبو مخوس [1] الكندى ) وكانا ناسبين عالمين . ومن أصحاب الاخبار والآثار ( عبد الله بن عتبة بن لهيعة ) ويكنى أبا عبد الرحمن . ومن القدماء فى الحكمة والخطابة والرياسة ( عبيد بن شرية الجرهمى ) و ( أسقف نجران ) و ( أكيدر ) صاحب دومة الجندل و ( أفيعى نجران ) و ( ذرب بن حوط ) و ( علَيم بن جناب ) و ( عمرو بن ربيعة ) وهو لحيّ بن حارثة بن عمرو مزيقياء و ( جذيمة بن مالك الابرش ) وهو أول من أسرج الشمع ورمى بالمنجنيق

## *( باب ذكر النُّسَّاك والزُّهَّاد من أهل البيان )*

عامر بن عبد قيس ، وصلة بن أشيم ، وعثمان بن أدهم ، وصفوان بن محرز ، والاسود بن كلثوم ، والربيع بن خيثم ، وعمرو بن عتبة بن فرقد ، وهرم بن حيان ، ومورق العجلى ، و بكر بن عبد الله بن الشخير الحرشى . و بعد هؤلاء مالك بن دينار ، وحبيب أبو محمد ، ويزيد الرقاشى ، وصالح المزنى [2] ، وأبو حازم الاعرج ، وزياد مولى عياش بن أبى ربيعة ، وعبد الواحد بن زياد [3] ، وحيان أبو الاسود ، ودهثم أبو العلاء

ومن النساء رابعة القيسية ، ومعاذة العدوية امرأة صلة بن أشيم ، وأم الدرداء . ومن نساء الخوارج البلجاء ، وغزالة ، وقطام ، وحمادة ، وكحيلة . ومن نساء

الغالية ليلى الناعطية ١ والصدوق ٢ وهند

وممن كان من النساك ممن أدركناه أبو الوليد وهو الحكم الكندى ، ومحمد بن محمد الحمرانى

ومن القدماء ممن كان يذكر بالقدر والرياسة والبيان والخطابة والحكمة والدهاء والنكراء لقمان بن عاد ، ولقيم بن لقمان ، ومجاشع بن دارم ، وسليط بن كعب بن يربوع سموه بذلك لسلاطة لسانه وقال جرير :

إنَّ سَلِيطًا كاسمِهِ سَلِيطُ

ولؤى بن غالب وقُسّ بن ساعدة ، وقصى بن كلاب

ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء أكثم بن صيفى ، وربيعة بن حذار ، وهرم بن قطبة ، وعامر بن الظرب ، ولبيد بن ربيعة

وكان من الشعراء وأسماء الصوفية من النساك ممن يجيد الكلام كلاب ، وكليب ، وهاشم الاوقص ، وأبو هاشم الصوفى ، وصالح بن عبد الجليل

ومن القدماء العلماء بالنسب وبالغريب الخطفى — وهو جد جرير بن عطية بن الخطفى وهو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع — وإنما سمى الخطفى لابيات قالها :

يَرْفَعنَ بالليلِ اذا ما أسْدَفا  أعْنَاقَ جِنّانٍ وهاماً رُجَّفَا (٣)

وَعَنَقاً باقِى الرَّسِيمِ خَيْطَفَا

العَنَق ضرب من السير وهو المسبطرّ فاذا ارتفع عن العنق قليلا فهو التزيد ، فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل . والرسيم فوق الذميل . والخطيف السريع أى يخطف كما يخطف البرق ، وخيطف من الخطف والياء زائدة فى خيطف كما قالوا رجل صيرف من الصرف ورجل جيدر من الجدر وهو القصر ، وأصل الخطف الاخذ فى سرعة ثم استعير لكل سريع

## ❊ ذكر القصاص ❊

قص الاسود بن سريع وهو الذى قال :

فانْ تَنْجُ مِنها تَنْجُ مِنْ ذى عَظيمَةٍ  والاّ فانِّى لا إخالُكَ ناجيا

---

١ مر ذكرها فى شعر صفوان ص ١٧ من هذا الجزء ٢ ورد هذا الاسم فى شعر صفوان ص ١٧ بالقاف « الصدوف » ٣ أسدف الليل : أظلم . جنان : جمع جان وهو اسم جمع للجن ، وحية بيضاء كحلاء توجد فى البيوت ولا تؤذى

وقص الحسن وسعيد بن أبى الحسن . وكان جعفر بن الحسن أول من اتخذ فى مسجد البصرة حلقة وأقرأ القرآن فى مسجد البصرة . وقص ابراهيم التيمى . وقص عبيد الله بن عمير الليثى وجلس اليه عبد الله بن عمر حدثنى بذلك عمرو بن فائد باسناد له

ومن القصاص (أبو بكر الهذلى) وهو عبد الله بن أبى سليمان وكان خطيبا بينا صاحب أخبار وآثار . وقص ابنه (مطرف بن عبد الله بن الشخير) فى مكان أبيه . ومن كبار القصاص ثم من هذيل (مسلم بن جندب) وكان قاص مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة ، وكان امامهم وقارئهم ، وفيه يقول عمر بن عبد العزيز «من سره أن يسمع القرآن غضا فليسمع قراءة مسلم بن جندب» . ومن القصاص (عبد الله بن عرادة بن عبد الله بن الوضين) وله مسجد فى بنى شيبان . ومن القصاص (موسى الاسوارى) وكان من أعاجيب الدنيا ، كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس فى مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحوّل وجهه الى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية فلا يدرى باى لسان هو أبين ، واللغتان اذا التقتا فى اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منها الضيم على صاحبتها الا ماذكروا من لسان موسى بن سيار الاسوارى . ولم يكن فى هذه الامة بعد أبى موسى الاشعرى أقرأ فى محراب من موسى بن سيار . ثم (عثمان بن سعيد بن أسعد) ثم (يونس النحوى) ثم (المعلى) . ثم قص فى مسجده (أبو على الاسوارى) وهو عمرو ابن فائد ستا وثلاثين سنة ، فابتدأ لهم فى تفسير سورة البقرة فما ختم القرآن حتى مات ، لانه كان حافظا للسير ولوجوه التاويلات ، فكان ربما يفسر آية واحدة فى عدة أسابيع ، كأن الآية ذكر فيها يوم بدر وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق فى ذلك من الاحاديث الكثيرة ، وكان يقص فى فنون كثيرة من القصص ويجعل للقرآن نصيبا من ذلك . وكان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ويحتج به ، وخصاله المحمودة كثيرة ، ثم قص من بعده (القاسم بن يحيى) وهو أبو العباس الضرير لم يدرك فى القصاص مثله . وكان يقص معهما وبعدهما (مالك بن عبد الحميد المكفوف) ويزعمون أن أبا على لم يسمع منه كلمة غيبة قط ولا عارض أحدا من المخالفين والحساد والبغاة بشىء من المكافأة . فاما (صالح المرى)[١] فانه كان يكنى أبا بشر ، وكان

١ خ : المزنى

صحيح الكلام رقيق المجلس ، فذكر أصحابنا أن سفيان بن حبيب لما دخل البصرة وتوارى عند مرحوم العطار قال له مرحوم «هل لك أن تأتى قاصا عندنا فتتفرج بالخروج والنظر الى الناس والاستماع منه» فأتاه على تكرّه كأنه ظنه كبعض من يبلغه شأنه ، فلما أتاه وسمع منطقه وسمع تلاوته للقرآن وسمعه يقول : حدثنا سعيد عن قتادة وحدثنا قتادة عن الحسن ، رأى بيانا لم يحتسبه ومذهبا لم يكن يدانيه ، فاقبل سفيان على مرحوم فقال «هذا ليس قاصا هذا نذير»

## *( باب ماقيل فى المَخَاصِر (١) والعِصِىّ وغيرهما )*

كانت العرب تخطب بالمخاصر ، وتعتمد على الارض بالقسى ، وتشير بالعصى والقنا ، نعم حتى كانت المخاصر لاتفارق أيدى الملوك فى مجالسها ، ولذلك قال الشاعر ٢ :

فِى كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهَا عَبِقٌ ... بِكَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ (٣)
يُغْضِى حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ الَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
انْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمُ ... وانْ تَكَلَّمَ يَوْمًا سَاخَتِ الْكَلِمُ
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الْحَطِيمِ اذا ماجاءَ يَسْتَلِمُ
كَمْ هَاتِفٍ لَكَ مِنْ دَاعٍ وَدَاعِيَةٍ ... يَدْعُونَ يَاقُثَمَ الْخَيْرَاتِ يَاقُثَمُ (٤)

وقال الشاعر قولا فسر فيه ماقلنا قال :

مَجَالِسُهُمْ خَفْضُ الْحَدِيثِ وَقَوْلُهُمْ ... اذا ماقَضَوْا فِي الأَمْرِ وَحْيُ الْمَخَاصِرِ

وقال الكميت بن زيد :

وَنَزُورُ مَسْلَمَةَ الْمُهَذَّ ... بَ بِالْمُؤَيَّدَةِ السَّرَائِرْ
بِالْمُذْهَبَاتِ الْمُعْجِبَا ... تِ لِمُفْحِمٍ مِنَّا وَشَاعِرْ

---

١ المخاصر « جمع مخصرة بكسر الميم » قضيب يشير به الملك والخطيب اذا خاطب الناس ٢ هو الفرزدق والابيات فى مدح الامام زين العابدين بن على بن الحسين بن على عليهم السلام ٣ الاروع من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو شجاعته . والعرنين : ماتحت مجتمع الحاجبين من الانف ٤ القثم : المعطاء

أَهلِ التَّجاوُبِ والمَحا فِلِ والمَقاوِلِ بالمَخاصِرْ
فَهُمُ كَذَلِكَ فِي المَجا لِسِ والمَحافِلِ والمَشاعِرْ

وكما قال الانصارى فى الجامع حيث يقول :

وسارَتْ بناسيَّارَةٌ ذاتُ سُورَةٍ (١) بكُومِ (٢) المَطايا والخُيولِ الجَماهِرِ
يَؤُمُّونَ مُلكَ الشّامِ حَتَّى تَمكَّنُوا مُلُوكاً بأَرْضِ الشّامِ فَوْقَ المَنابِرِ
يُصِيبُونَ فَصلَ القَوْلِ في كُلِّ خُطْبَةٍ اذا وَصَلُوا أَيْمانَهُمْ بالمَخاصِرِ

وفى المخاصر والعصى وفى خد ٣ وجه الارض باطراف القسى قال الحطيئة :

أَمْ مَنْ لِخَصْمٍ مُضْجِعِينَ قِسِيَّهُمْ أُصُعْرٍ خُدُودُهُمُ عِظامِ المَفْخَرِ

وقال لبيد بن ربيعة فى الاشارة :

غُلْبٌ تَشَذَّرُ بالذُّحُولِ كأَنَّها جِنُّ البَدِيِّ رَواسِياً أَقْدامُها

وقال فى خدّ وجه الارض بالعصى والقسى :

يَشِينُ صِحاحَ البِيدِ كُلَّ عَشِيَّةٍ بعُوجِ السَّراءِ عِنْدَ بابٍ مُحَجَّبِ

عوج جمع عوجاء وهى هاهنا القوس . والسراء شجر يعمل منه القوس . وفى مثله يقول الشاعر :

إذا اقْتَسَمَ النَّاسُ فَضلَ الفَخارِ أَطَلْنا علَى الأَرْضِ مَيلَ العَصا

وقال الآخر :

كَتَبَتْ لَنا فى الأَرْضِ يَوْمَ مُحَرِّقٍ أَيَّامُنا فى الأَرْضِ يَوْماً فَيْصَلا

وقال لبيد بن ربيعة فى ذكر القسى :

ما انْ أَهابُ اذا السُّرادِقُ غَمَّهُ قَرْعَ القِسِيِّ وأُرْعِشَ الرِّعْدِيدُ

وقال معن بن أوس المزنى:

---

١ السورة : المنزلة والرفعة ٢ الكوم : القطعة من الابل ، والكوم أيضا : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام ٣ الخد : الشق

ألا مَنْ مُبلغٌ عَنّي رَسُولاً عُبيدَ اللهِ اذ عَجِلَ الرِّسالا
تُنافِلُ دُونَنا أبناءَ ثَوْرٍ ونَحنُ الأكثَرُون حَصًى ومالا
اذا اجتَمعَ القَبائِلُ جِئْتَ رِدفاً أمامَ الماسِحينَ لَكَ السِّبالا(١)
فلا تُعطى عَصَا الخُطَباء فِيهِمْ وقد تُكفَى المَقادَةَ والمَقالا

ومما قالوا فى حمل القناة قوله :

إلى امْرِيءٍ لا تَخطَّاهُ الرِّقابُ ولا حُذْبُ الحوانِ إذا ما استُنْشِيءَ العرقُ
صُلْبُ الحَيازِيمِ لا هَذْرُ الكَلامِ إذا هَزَّ القَناةَ ولا مُسْتَعجِلٌ زَهِقُ

وكما قال جرير الخطفى :

مَنْ لِلقَناةِ إذا ما عَيَّ قائِلُها أمْ لِلأعِنَّةِ يا شبيبُ بنُ عَمّارِ

قال ومثل هذا قول أبى الجيب الربعى «ماتزال تحفظ أخاك حتى ياخذ القناة فعند ذلك يفضحك أو يسرك» يقول اذا قام يخطب . وفى كتاب جبل بن يزيد «احفظ أخاك الا من نفسه» وقال عبد الله بن رؤبة : سال رجل رؤبة عن أخطب بنى تميم ، فقال : خداش بن لبيد بن بيلبة - يعنى البعيث - وانما قيل له (البعيث) لقوله :

تَبعّثَ مِنّى ما تَبعّثَ بعدما أُمِرَّتْ حِبالى كلَّ مِرّتِها شَزْرا

وزعم سحيم بن حفص أنه كان يقال «أخطب بنى تميم البعيث اذا أخذ القناة» وقال يونس «لعمرى لئن كان مغلبا فى الشعر لقد كان غلب فى الخطب»

ومن الشعراء من يغلب شىء قاله فى شعره على اسمه وكنيته فيسمى به بشر كثير، فنهم البعيث هذا ، ومنهم عوف بن حصين بن حذيفة بن بدر غلب عليه (عويف القوافى) لقوله :

سَأُكْذِبُ مَنْ قَدْ كانَ يَزْعُمُ أَنّنِي اذا قُلْتُ شعراً لا أُجيدُ القَوافِيا

فسمى عويف القوافى . ومنهم يزيد بن ضرار التغلبي غلب عليه (المزرد) لقوله :

١ السبال : جمع سبلة وهى اللحية المسبلة على الصدر

فقلتُ تزرَّدْها عُبَيْدُ فانَّني  لِدُرْدِ المَوالي في السّنين مُزَرّدُ (١)

فسمى المزرد . ومنهم عمرو بن سعيد بن مالك غلب عليه (المرقش) وذلك لقوله :

الدّارُ قفرٌ والرُّسُومُ كما  رَقَّشَ في ظَهرِ الأَديمِ قَلَمْ (٢)

فسمى مرقشا . ومنهم سالم بن نهار العبدى غلب عليه (الممزق) لقوله :

فان كُنْتُ مأكولاً فكُنْ خيرَ آكلٍ  وإلاّ فأدرِكْني ولمّا أُمزَّقِ

فسمى الممزق . ومنهم جرير بن عبد المسيح الضبعى غلب عليه (المتلمس) لقوله :

فهذا أوانُ العرضِ طنَّ ذُبابُهُ  زَنابيرُهُ والأزرقُ المُتَلَمِّسُ

ومنهم عمرو بن رباح بن عمرو المسلمى أبو خنساء بنت عمرو وغلب (الشريد) على اسمه لقوله :

تَولّىَّ إخوَتي وبَقيتُ فَرْداً  وَحيداً في دِيارِهِم شَرِيدا

فسمى الشريد وهذا كثير . قال ودخل رجل من قيس غيلان على عبد الملك بن مروان فقال «زبيرى عميرى والله لايحبك قلبي أبدا» قال «ياأمير المؤمنين انما يجزع من فقدان الحب المرأة ، ولكن عدل وانصاف» . قال عمر لابى مريم الحنفى السلولى قاتل زيد بن الخطاب «لايحبك قلبي أبدا حتى تحب الارض الدم المسفوح» . وهذا مثل قول الحجاج «والله لاقلعنك قلع الصمغة» لان الصمغة اليابسة اذا فرقت عن الشجرة اقلعت انقلاع الجلبة ، والارض لاتنشف الدم المسفوح ولا تعمه ، فى جف الدم وتجلب ٣ لم تره أخذ من الارض شيئا

ومن الخطباء (الغضبان بن القبعثرى) وكان محبوسا فى سجن الحجاج ، فدعابه يوما فلما رآه قال «انك لسمين» قال «القيد والرتعة ٤ ومن يكن ضيفا للامير يسمن» .

وقال يزيد بن عياض : لما نقم الناس على عثمان خرج يتوكأ على مروان وهو يقول «لكل أمة آفة ، ولكل نعمة عاهة ، وان آفة هذه الامة عيابون طعانون ، يظهرون لكم ماتحبون ويسرون ماتكرهون ، طغام مثل النعام يتبعون أول ناعق . لقد نقموا علىّ مانقموه على عمر ، ولكن قمعهم ووقمهم ، والله انى لاقرب ناصرا وأعز

١ تزرد اللقمة : ابتلعها : والدرد : جمع أدرد وهو الذى ذهبت أسنانه ٢ رقش الكلام : كتبه ونقطه ٣ الجلبة : القشرة تعلو الجرح عند البرء . وجلب الدم وتجلب : يبس ٤ الرتعة الاتساع فى الخصب ، يريد أنه حسن الحال بحيث لايحتاج الى السعى فى تحصيل الرزق

نفرا ، فضل فضل من مالى فـالى لاأفعل فى الفضل ماأشاء»

قال ورأيت الناس يتـداولون رسالة (يحيى بن يعمر) على لسان يزيد بن المهلب. «انا لقينا العـدو فقتلنا طـائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة بعراثر الاودية وأهضام الغيطان و بتنا بعرعرة الجبل وبات العدو بحضيضه» قال فقال الحجاج : مايزيد بابى عذرة هذا الكلام . فقيل له : ان معه يحيى بن يعمر . فحمل اليه فلما أتاه قال : أين ولدت . قال : بالاهواز . قال : فانى لك هـذه الفصاحة . قال : أخـذتها عن أبى

عراثر الاودية أسافلها . وعراعر الجبال أعاليها . وأهضام الغيطان مـداخلها . والغيطان جمع غائط وهو الحائط ذو الشجر

ورأيتهم يديرون فى كتبهم أن امرأة خاصمت زوجها الى يحيى بن يعمر فانتهرها مرارا فقال له يحيى « ان سالتك ثمن شكرها وشبرك أنشات تطلها وتضهلها »

قالوا الضـهل القليل . والشكر الجمـاع . والشـبر البضع . تطلها تذهب بحقها ، يقال دم مطلول . و يقال بئر ضهول أى قليلة الماء

قال فان كانوا انما رووا هـذا الكلام لانه يدل على فصاحة فقد باعده الله من صـفة البلاغة والفصاحة ، وان كانوا انمـا دونوه فى الكتب وتذاكروه فى المجالس لانه غريب فابيات من شـعر العجاج أو شعر الطرماح أو أشـعار هذيل تاتى لهم مع حسن الوصف على أكثر ممـا ذكروا . ولو خاطب بقوله «ان سالتك ثمن شكرها وشبرك أنشات تطلها وتضهلها» الاصمعىّ لظننت أنه سـيجهل بعض ذلك ، فهذا ليس من اخلاق الكتاب ولا من آدابهم

أبو الحسن كان غلام يقعر فى كلامه فاتى أبا الاسود الدؤلى يلتمس بعض ماعنده فقال له أبو الاسود « مافعل أبوك » قال « أخذته الحمى فطبخته طبخا وفتختـه فتخا وفضختـه فضخا فتركته فرخا » فتخته أضعفته ، والفتيخ الرخو الضعيف . وفضخته دقته . فقال أبو الاسود « فما فعلت امرأته التى كانت تشاره وتماره وتهاره وتزاره » ١ قال « طلقها وتزوجت غـيره فرضيت وحظيت و بظيت » قال أبو الاسـود « وقد علمنا رضيت وحظيت فما بظيت» قال « بظيت حرف من الغريب لم يبلغك» قال أبو الاسود « يابنى كل كلمة لايعرفها عمك فاسترها كماتستر السنور خرؤها »

قال أبو الحسن مر ( أبوعلقمـة النحوى ) ببعض طرق البصرة وهاجت به مرة

١ المشاراة : الملاجة . والمماراة : المجادلة . والمهاراة : تبادل الاستهزاء . والمزارة : التعاتب

فوثب عليه قوم منهم فاقبلوا يعضون ابهامه ويؤذنون فى أذنه فأفلت من أيديهم فقال «مالكم تتكاكؤن على كانكم تتكاكؤن على ذى جنة افرنقعوا عنى» قالوا «دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية» وقال أبو الحسن هاج بابى علقمة الدم فاتى بحجام فقال للحجام اشدد قصب الملازم، وأرهف ظبات المشارط، وأسرع الوضع، وعجل النزع، وليكن شرطك وخزا، ومصك نهزا، ولا تكرهن أبيا، ولا تردن أتيا» فوضع الحجام محاجمه فى جونته وانصرف

فحديث أبى علقمة فيه غريب، وفيه أنه لو كان حجاما مرة مازاد على ماقال. وليس فى كلام يحيي بن يعمر شيء من الدنيا الا أنه غريب، وهو أيضا من الغريب يفيض

وذكروا عن محمد بن اسحاق قال لما جاء ابنَ الزبير — وهو بمكة — قتلُ مروان الضحاك بمرج راهط قام فينا خطيبا فقال «ان ثعلب بن ثعلب حفر بالصحصحة ١ فاخطات أسته الحفرة، والهف أم لم تلدنى على رجل من محارب كان يرعى فى جبال مكة فياتى بالشربة من اللبن فيبيعها بالقبضة من الدقيق فيرى ذلك سدادا من عيش. ثم أنشا يطلب الخلافة ووراثة النبوة» وأول هذا الكلام مستكره وهو موجود فى كل كتاب وجار على لسان كل صاحب خبر. وقد سمعت لابن الزبير كلاما كثيرا ليس هذا فى سبيله ولا يتعلق به. وقال أبو يعقوب الاعور السلمى:

وخَاجَةِ ظَنٍّ يَسبقُ الطَّرْفَ حَزْمُها ... تُشيفُ على غيمٍ وتُمكنُ من زَحْلِ (٢)

صَدَعتُ بها والقومُ فوضَى كأنَّهمْ ... بكارَةُ مِرْباعٍ تُبَصْبِصُ للفحلِ (٣)

خلجة ظن أى ظن سريع. تشيف تشرف. بكارة مرباع أى نوق صغار قد أذلت للفحل، مرباع أى نوق ربيع، والمرباع ربع الغنيمة فى الجاهلية لصاحب الجيش. قال ابن عثمة:

لَكَ المِرْباعُ منها والصَّفايا (٤) ... وحُكْمُكَ والنَّشيطَةُ والفُضولُ (٥)

وقال رجل من بنى يربوع:

الى اللهِ أشكو ثُمَّ أَشكو اليكُما ... وهَلْ تنفعُ الشَّكْوى الى مَنْ يَزيدُها

١ الارض المستوية ٢ الزحل: الاعياء ٣ البكارة: جمع بكرة وهى الناقة الفتية ٤ ماختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة ٥ النشطية: ماأصاب الرئيس قبل أن يصير الى بيضة القوم • والفضول ماياخذه الرئيس مما يفضل عن قسمة الغنائم

حزازاتِ حُبٍّ في الفؤادِ وعَبْرَةً ... أَظَلُّ بأطرافِ البَنانِ أَذودُها
يَحِنُّ فؤادي مِنْ مَخافةِ بَيْنِكُم ... حَنينَ المُزَجّى وِجْهةً لا يُريدُها[1]

وقد أحسن الآخر حيث يقول :

وأُكرِمُ نفسي عَنْ مَناكِحَ جَمَّةٍ ... ويَقْصُرُ مالي أَنْ أَنالَ الغَوالِيا

وقال الآخر :

وإذا العَبْدُ أَغلَقَ البابَ دُوني ... لم يُحَرِّمْ عليَّ مَتْنُ الطَّرِيقِ

وقال الخليع العطاردى : كنا بالبادية اذ نشأ عارض ، ومافى السماء قزعة[2] معلقة ، وجاء السيل فاكتسح أبياتا من بنى سعد فقلت :

فَرِحْنا بِوَسْمِيٍّ تأَلَّقَ وَدْقُهُ[3] ... عِشاءً فأَبْكانا صَباحاً فأَسْرَعا
لَهُ ظُلَّةٌ كأَنَّ رَيِّقَ وَبْلِها[4] ... عَجاجةُ صَيْفٍ أَوْ دُخانٌ تَرَفَّعا
فَكانَ عَلَى قَوْمٍ سَلاماً ونِعْمَةً ... وأَلْحَقَ عاداً آخَرِينَ وتُبَّعا

وقال أبو عطاء السندى لعبيد الله بن عباس الكندى :

إلي مَعْشَرٍ أَرْدَوا أَخاكَ وكَفَّرُوا ... أَباكَ فماذا بَعْدَ ذاكَ تَقُولُ
وقُلْ لِعُبَيْدِ اللهِ لَوْ كانَ جَعْفَرٌ ... هُوَ الحَيُّ لَمْ يَبْرَحْ وأَنْتَ قَتِيلُ

فقال عبيد الله « أقول عض أبو عطاء بيظر أمه فغلب عليه »

قال أبو عبيدة قال أبي البصير فى أبى رهم السدوسى وكان يلى الاعمال لابى جعفر :

رَأَيْتُ أَبارُهْمٍ يُقَرِّبُ مُنْجِحاً ... غُلاماً أَبِي بِشْرٍ ويَجْفُو أَبابِشْرِ
فَقُلْتُ لِيَحْيَى كَيْفَ قَرَّبَ مُنْجِحاً ... فَقالَ لَهُ أَيْرٌ يَزِيدُ عَلَى شِبْرِ

قال أبو عثمان : وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب المخصرة فى خطبها والقنا والقضيب والاتكاء والاعتماد على القوس والخد فى الارض والاشارة بالقضيب بكلام

---

١ تزجى الشيء : دفعه برفق ٢ القطعة من السحاب ٣ الوسمى : أول مطر الربيع . والودق : المطر ٤ ريق كل شيء : أوله وأصله

مستكره نذكره ان شاء الله تعالى فى الجزء الثالث . ولابد أن نذكر فيه بعض كلام معاوية ويزيد وعبد الملك وابن الزبير وسليمان وعمر بن عبد العزيز والوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد ، لان الباقين من ملوكهم لم يذكر لهم من الكلام الذى يلحق بالخطب وصناعة المنطق إلا اليسير ، ولابد من أن نذكر فيه أقسام تاليف جميع الكلام ، وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور وهو منثور غير مقفى على مخارج الاشعار والاسجاع ، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان وتاليفه من أكبر الحجج . ولابد من أن يكون فيه ذكر شان اسماعيل على نبينا وعليه السلام وانقلاب لغته وبيانه بعد أربع عشرة سنة ، وكيف نسى لغته التى ربى فيها وجرى على أعراقها ، وكيف لفظ بجميع حاجاته بالعربية من [١] غير تلقين ولا ترتيب ، وحتى لم تدخله عجمة ولا لكنة ولا حبسة ولا تعلق بلسانه شىء من تلك العادة . ولابد من ذكر بعض كلام المامون ومذاهبه وبعض مايحضرنى من كلام آبائه وجلة رهطه . ولابد أيضا من ذكر من صعد المنبر فحصر وخلط أوقال فاحسن ، ليكون الكتاب أكمل ان شاء الله تعالى . ولابد من ذكر المنابر ولم اتخذت ، وكيف كانت الخطباء من العرب فى الجاهلية وفى صدور الاسلام . وهل كانت المنابر لامة غير أمتنا وكيف كانت الحال فى ذلك

وقد ذكرنا أن الامم التى فيها الاخلاق والآداب والحكم والعلم أربع ، وهى : العرب ، والهند ، وفارس ، والروم . وقال حكيم بن عياش الكلبى :

أَلَمْ يَكُ مُلْكُ أَرْضِ اللهِ طُرًّا      لِأَرْبَعَةٍ لَهُمْ مُتَمَيِّزِينَا
لِحِمْيَرَ والنَّجاشِي وابْنِ كِسْرَى      وقَيْصَرَ غَيْرَ قَوْلِ الْمُمْتَرِينَا

فما أدرى باى سبب وضع الحبشة فى هذا الموضع ، وأما ذكره لحمير فان كان إنما ذهب الى تبع نفسه فى الملوك فهذا له وجه ، وأما النجاشى فليس هو عند الملوك فى هذا المكان ، ولو كان النجاشى فى نفسه فوق تبع وكسرى وقيصر لما كان أهل مملكته من الحبش فى هذا الموضع ، وهو لم يفضل النجاشى لمكان إسلامه ، يدل على ذلك تفضيله لكسرى وقيصر ، وكان وضع كلامه على ذكر الممالك ثم ترك الممالك وأخذ فى ذكر الملوك

والدليل [٢] على أن العرب أنطق ، وأن لغتها أوسع ، وأن لفظها أدل ، وأن

---

١ خ : عن ٢ أى : ولابد أن نذكر الدليل . . . الخ وهو استئناف لكلام سابق

أقسام تأليف كلامها أكثر، والامثال التي ضربت أجود وأسير. والدليل على أن البديهة مقصورة عليها، وأن الارتجال والاقتضاب خاص فيها. وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذي تسميه الفرس والروم شعرا وكيف صار النسيب في أشعارهم وفي كلامهم الذي أدخلوه في غنائهم وفي ألحانهم انما يقال على ألسنة نسائهم وهذا لايصاب في العرب الا القليل اليسير. وكيف صارت العرب تقطع الالحان الموزونة على الاشعار الموزونة فتضع موزونا على موزون والعجم تمطط الالفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزونا على غير موزون

وسنذكر في الجزء الثاني من أبواب اللحن والعي والغلط والغفلة أبوابا ظريفة، ونذكر فيه النوكى من الوجوه ومجانين العرب ومن ضرب به المثل منهم ونوادر من كلامهم، ومجانين الشعراء لست أعني مثل مجنون بني عامر ومجنون بني جعدة وانما أعني مثل أبي حية في أهل البادية ومثل جعيفران في أهل الامصار ومثل أرسيموس اليوناني وسنذكر أيضا بقية أسماء الخطباء والنساك وأسماء الظرفاء والملحاء ان شاء الله سبحانه وتعالى. وسنذكر من كلام الحجاج وغيره ما أمكننا في بقية هذا الجزء ان شاء الله تعالى

وقال أبو الحسن المدايني قال الحجاج لانس بن مالك حين دخل عليه في شان ابنه عبد الله وكان خرج مع ابن الاشعث «لامرحبا بك ولاأهلا لعنة الله عليك من شيخ جوال في الفتنة مرة مع أبي تراب ومرة مع ابن الاشعث والله لاقلعنك قلع الصمغة ولاعصبنك عصب السلمة [1] ولاجردنك تجريد الضب» قال أنس «من يعني الامير أبقاه الله» قال «اياك أعني أصم الله صداك» قال فكتب أنس بذلك الى عبد الملك فكتب عبد الملك الى الحجاج «بسم الله الرحمن الرحيم. ياابن المستفرمة بعجم الزبيب [2] والله لقد هممت أن أركلك [3] برجلي ركلة تهوي بها في نار جهنم، قاتلك الله أخيفش العينين أصك الرجلين أسود الجاعرتين [4] والسلام» وكان الحجاج أخيفش مسلق الاجفان، ولذلك قال امام بن أرقم النميري، وكان الحجاج جعله على بعض شرط أبان بن مروان ثم حبسه فلما خرج قال:

طَلِيقُ اللّٰهِ لَمْ يَمْنُنْ عَلَيْـهِ ... أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي كَثِيرِ

---

١ واحدة من شجر السلم وهو نوع من العضاه يدبغ به، وعصب السلمة: ضم ماتفرق منها ٢ أي المحتشية به تضيق به متاعها ٣ أضربك ٤ حرفا الوركين المشرفان على الفخذين

ولا الحَجّاجُ عَينَيْ بِنتِ ماءٍ    تُقلِّبُ طَرْفَها حَذَرَ الصُّقورِ

لان طير المـاء لايكون أبدا الا منسلق الاجفـان ، والخفش دون العمش . والعصب ان تعصب الشـجرة ذات الشوك بالعصاب . وأصـك الرجلين تصـك احداها الاخرى

قال وخطب الحجاج يوما فقال فى خطبتـه «والله ما بقى من الدنيا الا مثـل مامضى ، ولهو أشـبه به من المـاء بالمـاء ، والله ماأحب أن مامضى من الدنيا لى بعمامتى هذه »

المفضـل بن محمد الضـبى قال : كتب الحجاج الى قتيبة بن مسـلم أن ابعث الى بالآدم الجعدى الذى يفهمنى ويفهم عنى . فبعث اليه غدام بن شتير . فقال الحجاج «لله دره ما كتبت اليه فى أمر قط الا فهم عنى وعرف ماأريد»

قال أبو الحسن وغـيره أراد الحجاج الحج فخطب الناس فقال «أيها الناس ، انى أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابنى محمدا هـذا وأوصيته فيكم بخـلاف ماأوصى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الانصار ، ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم أوصى أن يقبل من محسـنهم و يتجاوز عن مسيئهم ، ألا وانى قد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم . ألا وانكم ستقولون بعدى مقالة مايمنعكم من اظهارها الا مخافتى ، ألا وانكم ستقولون بعدى لا أحسن الله له الصحابة ، ألا وانى معجل لكم الاجابة : لا أحسن الله الخلافة عليكم» ثم نزل

وكان يقول فى خطبته «أيها الناس ، ان الكف عن محارم الله أيسر من الصـبر على عذاب الله»

وقال عمرو بن عبيد رحمه الله : كتب عبد الملك بن مروان وصية زياد بيده وأمر الناس بحفظها وتدبر معانيها «ان الله عز وجل جعـل لعباده عقولا عاقبهـم بها على معصيته وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين محسن بنعمة الله عليـه ومسىء بخذلان الله اياه ، ولله النعمة على المحسن والحجة على المسىء ، فمـا أولى من تمت عليه النعمة فى نفسه و رأى العبرة فى غيره بان يضع الدنيا بحيث وضعها الله فيعطى ماعليه منها ولا يتكثر بمـا ليس له منها ، فان الدنيا دار فناء ولا سبيل الى بقائها ولا بد من لقاء الله ، فاحـذركم الله الذى حذركم نفسـه ، وأوصيكم بتعجيـل ماأخرته العجزة قبـل أن تصيروا الى الدار التى صاروا اليها فلا تقدرون على توبة وليس لكم منها أوبة ، وأنا

استخلف الله عليكم واستخلفه منكم » وقد روى هـذا الكلام عن الحجاج وزيادٌ أحق به منه

## (* باب ماذكروا فيه من أن أثر السيف يمحو أثر الكلام )*

قال جرير :

يُكلّفني رَدَّ العواقبِ بعدما ... سبقن كسبقِ السيفِ ماقالَ عاذلُهُ

وقال الكميت بن معروف :

خُذُوا العقلَ إن أعطاكُمُ العقلَ قومُكمْ ... وكونوا كمَنْ سِيمَ الهوانَ فأربعا

ولا تُكثِرُوا فيه الضّجاجَ فإنَّهُ ... محا السيفُ ماقالَ ابنُ دارةَ أجمعا

والمثل السائر من قبل هذا « سبق السيف العذل »

ومن أهل الادب (زكريا بن درهم) مولى بني سليم بن منصور صاحب سعيد بن عمرو الحرشي ، وزكريا هو الذي يقول :

لاتشكروا لسعيدٍ فضلَ نعمتِهِ ... لايشكرُ اللهَ مَنْ لايشكرُ النّاسا

ومن أهل الادب ممن وجهه هشام الى الحرشي (السرادق بن عبد الله السدوسي) الفارسي ولما ظفر سلم بن قتيبة بالازد كان من الجند في دور الازد انتهاب واحراق وآثار قبيحة فقام شبيب بن شيبة الى سلم بن قتيبة فقال «أيها الامير ، ان هريم بن عدي بن أبي طلحة ـ وكان غير منطيق ـ قال ليزيد بن عبد الملك في شأن المهالبة : يا أمير المؤمنين ، انا والله مارأينا أحدا ظلم ظلمك ، ولا نصر نصرك ، فافعل الثالثة نقلها »

قال الهيثم بن عدي قام (عبد الله بن الحجاج التغلبي) الى عبد الملك بن مروان وقد كان أراد الاتصال به وقد كان عبد الملك حنقا عليه فاقام ببابه حولا لايصل ثم ثار في وجهه في بعض ركباته فقال :

أدنو لترحمني وترتق خلّتي ... وأراك تدفعني فأين المدفعُ

فقال عبد الملك « الى النار » فقال :

ولقد أذقت بني سعيد حرّها ... وابن الزبير فرأسه متضعضعُ

فقال عبد الملك «قد كان بعض ذاك ، وأنا استغفر الله »

وقال أبو عبيدة كان بين الحجاج و بين (العديل بن فرخ العجلى) بعض الامر فتوعده الحجاج بالقتل فقال العديل :

أُخَوَّفُ بالحَجَّاجِ حتّى كأنّما يُحَرّكُ عظمٌ فى الفُؤادِ مَهِيضُ
ودُونَ يَدِ الحَجَّاجِ مِنْ اَنْ تَنالَني بِساطٌ لأيْدِي اليَعْمَلاتِ عَرِيضُ (١)
مَهامِهُ أشْباهٌ كأنّ سَرابَها (٢) مُلاءٌ بأيْدي الغاسِلاتِ رَحِيضُ (٣)

ثم ظفر به الحجاج فقال له « ياعديل ، هل نجاك بساطك العريض» فقال : أيها الامير ، أنا الذى أقول فيك :

ولَوْ كُنْتُ بالعَنْقاءِ أوْ باسومها لَكانَ لِحَجّاجٍ عَلَيَّ دَلِيلُ
خَلِيلُ أميرِ المُؤْمنينَ وسَيْفُهُ لكُلِّ إمامٍ مُصْطَفًى وخَلِيلُ
بَنَى قُبَّةَ الاسْلامِ حتّى كأنّما هَدَى النّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلالِ رسُولُ

فقال له الحجاج «اربع نفسك ، واحقن دمك ، واياك واختها ، فقد كان الذى بينى و بين قتلك أقصر من ابهام الحبارى »

قال أبو الحسن وقام الوليد بن عتبة بن أبى سفيان خطيبا بالمدينة وكان واليها ينعى معاوية ويدعو الى بيعة يزيد فلما رأى روح بن زنباع ابطاءهم قال « أيها الناس ، انا لاندعوكم الى لخم وجذام وكلب ولكنا ندعوكم الى قريش ، ومن جعل الله له هذا الامر واختصه به وهو يزيد بن معاوية ، ونحن أبناء الطعن والطاعون وفضلات الموت ، وعندنا ان أجبتم وأطعتم من المعونة والفائدة ماشئتم » فبايع الناس

قال وخطب ابراهيم بن اسماعيل من ولد المغيرة المخزومى فقال :

أنا ابنُ الوَحيدِ مَنْ شاءَ أحْرَزَ نَفْسَهُ (٤) صَقْرًا يَلُوذُ حَمامُهُ بالعَرْفَجِ (٥)

ثم قال :

---

١ اليعملات : جمع يعملة وهى الناقة النجيبة المطبوعة على العمل ٢ المهامه : جمع مهمه وهى المفازة البعيدة ٣ الملاء جمع ملاءة وهو ثوب يلبس على الفخذين ٠ والرحيض : المغسول ٤ كذا فى الاصل
٥ العرفج : شجر سهلى

استوْسِقي أحمرَةَ الوَجين (١) سَمِعْنَ حِسَّ أسَدٍ حَرُون
فهنَّ يَضْرِطْنَ وينتَزِين (٢)

ثم قال «والله انى لا بغض القرشى أن يكون فظا ، ياعجبا لقوم يقال لهم : من أبوكم ، فيقولون : أمنا من قريش» فتكلم رجل من عرض الناس وهو يخطب ، فقال له غيره «صه ، فان الامام يخطب» فقال «انما أمرنا بالانصات عند قراءة القرآن ، لاعند ضراط أحمرة الوجين »

وقال آخر : سمعت ابن هبيرة على هذه الاعواد وهو يقول فى دعائه «اللهم انى أعوذ بك من عدو يسرى ٣ ، ومن جليس يفرى ٤ ، ومن صديق يطرى ٥ »

قال أبو الحسن : كان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث خال مروان واليا على مكة والمدينة ، وكان شاهرا سيفه لايغمده ، و بلغه أن فتى من بنى سهم يذكره بكل قبيح ، فلما أتى به وأمر بضرب عنقه قال له الفتى «لاتعجل علىّ ، ودعنى أتكلم» قال «أو بك كلام» قال «نعم وأزيد . يانافع ، وليت الحرمين تحكم فى دمائنا وأموالنا ، وعندك أربع عقائل من العرب ، و بنيت ياقوتة بين الصفا والمروة - يعنى داره - وأنت نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث ، أحسن الناس وجها وأكرمهم حسبا ، وليس لنا من ذلك الا التراب ، فلم نحسدك على شىء منه ولم ننفسه عليك ، ونفست علينا أن نتكلم» فقال «تكلم حتى ينفك فكاك »

على بن مجاهد عن جعد بن أبى الجعد قال صعصعة بن صوحان «ماأعيانى جواب حد ماأعيانى جواب عثمان ، دخلت عليه فقلت له : أخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله . قال : نحن الذين أخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله ، فمنا من مات بارض الحبشة ومنا من مات بالمدينة»

قال وقال الحجاج على منبره «والله لالحونكم لحو العصا ، ولاعصبنكم عصب السلمة ، ولاضربنكم ضرب غرائب الابل . ياأهل العراق ، ياأهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق ، انى سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد به الله فى الترغيب ،

---

١ استوسقى : اجتمعى . الاحمرة : جمع حمار . الوجين : شط الوادى ٢ النزو : الوثوب
٣ يسير عامة الليل ٤ يكذب ٥ يبالغ فى المدح

ولكنه التكبر الذى يراد به الترهيب ، وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قصف فتنة . أى بنى اللكيعة وعبيد العصا و بنى الاماء ، والله لئن قرعت عصا لاتركنكم كامس الدابر ١ »

مالك بن دينار قال « ربما سمعت الحجاج يخطب و يذكر ماصنع به أهل العراق وما صنع بهم ، فيقع فى نفسى أنهم يظلمونه ، وأنه صادق لبيانه وحسن تخلصه بالحجج »

قال وقسم الحجاج مالا ، فاعطى منه مالك بن دينار فقبل ، وأراد أن يدفع منه الى حبيب أبى محمد فابى أن يقبل منه شيئا . ثم مر حبيب بمالك واذا هو يقسم ذلك المال ، فقال له مالك « أبا محمد ، هذا قبلناه » فقال له حبيب « دعنى مما هناك ، أسالك بالله : الحجاج اليوم أحب اليك أم قبل اليوم » قال « بل اليوم » فقال حبيب « فلا خير فى شىء حبب اليك الحجاج »

ومر غيلان بن خرشة الضبى مع عبد الله بن عامر على نهر عبدالله الذى يشق البصره ، فقال عبد الله « ماأصلح هذا النهر لاهل هذا المصر » فقال غيلان « أجل أيها الامير ، يعلم القوم فيه صبيانهم السباحة ، و يكون لشفاههم ومسيل مياههم ، وتاتيهم فيه ميرتهم » قالوا ثم مر غيلان يساير زيادا على ذلك النهر ، وكان قد عادى ابن عامر ، فقال زياد « ماأضر هذا النهر بأهل هذا المصر » فقال غيلان « أجل والله أيها الامير ، تنزمنه دروهم ، و يغرق فيه صبيانهم ، ومن أجله تكثر بعوضهم »

فالذين كرهوا البيان إنما كرهوا مثل هذا المذهب ، فاما نفس حسن البيان فليس يذمه الامن عجز عنه ، ومن ذم البيان مدح العى وكفى بذلك جهلا وخبالا

وخالد بن صفوان فى الجبن المأكول كلام ذهب فيه شبيها بهذا المذهب

قال ورجع طاوس عن مجلس محمد بن يوسف ـ وهو يومئذ والى اليمن ـ فقال : ماظننت أن قول « سبحان الله » يكون معصية لله حتى كان اليوم ، سمعت رجلا أبلغ ابن يوسف عن رجل كلاما ، فقال له رجل فى المجلس « سبحان الله » كالمستعظم لذلك الكلام ، فغضب ابن يوسف

قال أبو الحسن وغيره قالوا : دخل يزيد بن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك ـ وكان دميما ـ فلما رآه قال « على رجل أجرّك رسنك وسلطك على المسلمين لعنة

---

١ سيرد هذا قبل آخر الجزء الثانى

الله » فقال « يا أمير المؤمنين ، انك رأيتني والامر عني مدبر ولو رأيتني والامر علي مقبل استعظمت من أمري مااستصغرت » قال فقال سليمان « أفترى الحجاج بلغ قعر جهنم بعد » فقال يزيد « يا أمير المؤمنين ، يجيء الحجاج يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، قابضا على يمين أبيك وشمال أخيك ، فضعه من النار حيث شئت »

قال وذكر يزيد بن المهلب يزيد بن أبي مسلم بالعفة عن الدينار والدرهم ، وهم بان يستكفيه مهما من أمره ، فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله « ألا أدلك على من هو أزهد في الدينار والدرهم منه ، وهو شر الخلق » قال « بلى » قال « ابليس »

قال وقال أسيلم بن الاحنف للوليد بن عبد الملك قبل أن يستخلف « أصلح الله الامير ، اذا ظننت ظنا فلا تحققه واذا سالت الرجال فسلهم عما تعلم ، فاذا رأوا سرعة فهمك لما تعلم ظنوا بك ذلك فيما لاتعلم . ودس من يسال لك عما لاتعلم » . وكان أسيلم بن الاحنف الاسدي ذا بيان وأدب وعقل وجاه ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

أَلا أَيُّها الرَّكْبُ المُخِبُّونَ هَلْ لَكُمْ ... بِسَيِّدِ أَهْلِ الشَّامِ تَحْبُوا وتَرْجِعُوا

أُسَيْلِمُ ذاكُمْ لاخَفا بمَكانِهِ ... لِعَيْنٍ تَرَجَّا أَوْ لأُذْنٍ تَسَمَّعُ

مِنَ النَّفَرِ البِيضِ الّذِينَ إِذا انْتَمَوْا ... وهابَ الرِّجالُ حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعُوا

جَلا الأَذْفَرُ الأَحْوَى مِنَ المِسْكِ فَرْقَهُ ... وطِيبُ الدِّهانِ رَأْسَهُ فَهْوَ أَنْزَعُ

إِذا النَّفَرُ السُّودُ اليَمانُونَ حاوَلُوا ... لَهُ حَوْكَ بُرْدَيْهِ أَرَقُّوا وأَوْسَعُوا

وهذا الشعر من أشعار الحفظ والمذاكرة

الهيثم بن عدى قال : قدمت وفود العراق على سليمان بن عبد الملك بعد مااستخلف ، فامرهم بشتم الحجاج فقاموا يشتمونه ، فقال بعضهم « ان عدوّ الله الحجاج كان عبدا زبابا [١] . قنوّر بن قنور [٢] . لانسب له في العرب » قال سليمان أى شتم هذا . ان عدو الله الحجاج كتب الى « انما أنت نقطة من مداد .

---

١ بائع زبيب ٢ القنور : السيء الخلق والشرس الصعب

فان رأيت فى مارأى أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما . والا فانا الحجاج وأنت النقطة . فان شئت محوتك وان شئت أثبتك » فالعنوه لعنه الله . فاقبل الناس يلعنونه . فقام ابن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى فقال « ياأمير المؤمنين . إنا نخبرك عن عدو الله بعلم » قال « هات » قال « كان عدو الله يتزين تزين المومسة . ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الاخيار . فاذا نزل عمل عمل الفراعنة . وأكذب فى حديثه من الدجال » فقال سليمان لرجاء بن حيوة « هذا وأبيك الشتم . لاما تأتى به السفلة »

وعن عوانة قال : قطع ناس من عمرو بن تميم وحنظلة على الحجاج بن يوسف ، فكتب اليهم : «من الحجاج بن يوسف أما بعد فانكم استخلصتم الفتنة ، فلا عن حق تقاتلون ولا عن منكر تنهون . وأيم الله إنى لاهم أن يكون أول مايرد عليكم من قبلى خيل تنسف الطارف والتالد ، وتدع النساء أيامى ، والابناء يتامى ، والديار خرابا و والسواد بياضا . فايما رفقة مرت باهل ماء فأهل ذلك الماء ضامنون لها حتى تصير الى الماء الذى يليه ، تقدمة منى اليكم ، والسعيد من وعظ بغيره والسلام »

مسلمة بن محارب قال كان الحجاج يقول « أخطب الناس صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة ، إذا شاء خطب ، واذا شاء سكت » يعنى الحسن يقول انه لم ينصب نفسه للخطب

قال ولما اجتمعت الخطباء عند معاوية فى شأن يزيد وفيهم الاحنف قام رجل من حمير فقال « انا لانطيق أفواه الكمال ـ يريد الجمال ـ عليهم المقال ، وعلينا الفعال » وهذا من الحميرى يدل على تشادق خطباء نزار

سفيان بن عيينة قال قال ابن عباس « اذا ترك العالم قول لاأدرى أصيبت مقاتله » . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله « من قال لاأدرى فقد أحرز نصف العلم » لان الذى له على نفسه هذه القوة فقد دلنا على جودة التثبت وكثرة الطلب وقوة المنة.

قال وقيل للمسيح بن مريم صلوات الله عليه « من نجالس » قال « من يزيد فى علمكم منطقه ، وتذكركم الله رؤيته ، ويرغبكم فى الآخرة عمله » . فقال ومر المسيح بقوم يبكون فقال « مالهؤلاء يبكون » قالوا « يخافون ذنوبهم » قال « اتركوها يغفر لكم »

قال الوصافى دخل الهيثم بن الاسود بن العريان ـ وكان شاعرا خطيبا ـ على

عبد الملك بن مروان فقال له « كيف تجدك » قال « أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود . واسود مني ما كنت أحب أن يبيض . واشتد مني ما كنت أحب أن يلين . ولان مني ما كنت أحب أن يشتد » ثم أنشد ١ :

إسمعْ أُنبِّئكَ بآياتِ الكِبَرْ نَوْمُ العِشاءِ وسُعالٌ بالسَّحَرْ
وقِلَّةُ النومِ إذا الليلُ اعتكَرْ وقِلَّةُ الطُّعْمِ إذا الزَّادُ حَضَرْ
وسُرْعَةُ الطَّرْفِ وتَحْميجُ (٢) النَّظَرْ وحَذَراً أزْدادُه إلى (٣) حَذَرْ
وتَرْكِيَ الحَسْناءَ في قُبْلِ الطُّهُرْ والنَّاسُ يَبْلَوْنَ كما يَبْلَى الشَّجَرْ

وقالوا « مروا الاحداث بالمراء والكهول بالفكر » وقال عبد الله بن الحسين ٤ « المراء رائد في الغضب . فاخزى الله عقلا يأتيك به الغضب »

وقالوا « أربعة تشتد معاشرتهم : الرجل المتواني . والرجل العالم ، والفرس المرح ٥ . والملك الشديد المملكة » وقال غاز أبو مجاهد يعارضه « أربعة تشتد مؤنتهم : النديم المعربد . والجليس الاحمق . والمغنى التائه . والسفلة اذ نفروا »

وقال أبو شمر الغساني « أقبل على فلان باللحظ واللفظ . وما الكلام الازجر أو وعيد »

وقال عمير بن الحباب — وروى ذلك عنه مسعر — « ما أغرت على حى فى الجاهلية أحزم امرأة ولا أعجز رجلا من كلب . وأحزم رجلا وأعجز امرأة من تغلب » قال وقامت امرأة من تغلب الى الجحاف بن حكيم — حين أوقع بالبشر فقتل الرجال و يقربطون النساء — فقالت له « فض الله فاك . وأصمك وأعماك . وأطال سهادك وأقل رقادك . فوالله ان قتلت الا نساء أسافلهن دُمى . وأعاليهن ثَدَى ٦ » فقال الجحاف لمن حوله « لولا أن تلد مثلها لخليت سبيلها » فبلغ ذلك الحسن فقال « انما الجحاف جذوة من نار جهنم »

قال وكان عامر بن الظرب العدواني حكيما وكان خطيبا رئيسا وهو القائل

---

١ سيأتي هذا في ص٣٣ من الجزء الثاني ٢ حجت : العين غارت ٣ خ : على ٤ خ : الحسن ٥ أي المختال والمتبختر ٦ الدمى : جمع دمية وهي الصورة من العاج أو الرخام فيها حمرة كالدم . والثدى « بفتح الثاء والدال » لغة في الثدى

« يامعشر عدوان ان الخير ألوف عزوف [١] . وان يفارق صاحبه حتى يفارقه . وانى لم أكن حكيما حتى اتبعت الحكماء . ولم أك سيدكم حتى تعبدت لكم »

وقال أعشى بنى شيبان [٢] :

وَلا أَنافي أَمرِى وِلا فِى خَلِيقَتِى ... بِمُهْتَضِمٍ حَقِّي وَلاقارِعٍ سِنِّي
وَلامُسلِمٍ مَوْلاىَ مِنْ شَرِّ ماجَنَى ... وَلاخائِفٍ مَوْلايَ مِنْ شَرِّ ماأَجْنِى
وإِنَّ فُؤاداً بَيْنَ جَنْبَيَّ عالِمٌ ... بِماأَبصَرَتْ عَيْنِي وَماسَمِعَتْ أُذْنِى
وَفَضَّلَنِى فِى القَوْلِ والشِّعْرِ أَنَّنِي ... أَقولُ بِما أَهْوَى وأَعْرِفُ ماأَعْنِى

وقال رجل من ولد العباس « ليس ينبغى للقرشى أن يستغرق فى شىء من العلم الاعلم الاخبار . فاما غير ذلك فالنتف والشذر [٣] من القول » وقال آخر :

وصافِيَةٍ تُعْشِي العُيونَ رَقِيقَةٍ ... رَهِينَةِ عامٍ في الدِّنانِ وَعامِ
أَدَرْنا بِها الكَاسَ الرَّوِيَّةَ بَيْنَنا ... مِنَ اللَّيلِ حَتَّى انجابَ كُلُّ ظَلامَ
فَما ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كأَنَّنا ... مِنَ العِيِّ نَحكِى أَحْمَدَ بْنَ هِشامَ

ومر رجل من قريش بفتى من ولد عتاب بن أسيد وهو يقرأ كتاب سيبويه فقال « أف لكم : علم المؤدبين وهمة المحتاجين » وقال ابن عتاب « يكون الرجل نحويا عروضيا وقساما فرضيا وحسن الكتابة جيد الحساب . حافظا للقرآن . راوية للشعر . وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستين درهما . ولو أن رجلا كان حسن البيان حسن التخرج للمعانى ليس عنده غير ذلك لم يرض بالف درهم . لان النحوى الذى لاامتناع عنده كالنجار الذى يدعى ليعلق بابا وهو أحذق الناس ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب فيقال له انصرف . وصاحب الامتناع يراد فى الحالات كلها »

وقال عبد الله بن يزيد السفيانى « عوّد نفسك الصبر على جليس السوء فانه لايكاد يخطئك » وقال سهل بن عبد العزيز « من ثقل عليك بنفسه . وغمك فى سؤاله . فالزمه أذنا صماء وعينا عمياء » . سهيل بن أبى صالح عن أبيه قال : كان أبو هريرة اذا استثقل رجلا قال « اللهم اغفر له وأرحنا منه » وقال ابن أبى أمية شهدت الرقاشى فى مجلس وكان الى بغيضا مقيتا

---

١ لايكاد يثبت على خلة خليل ٢ خ : الاعشى بن شيبان ٣ خ : والشدو

فقالَ اقتَرِحْ كُلَّ ماتشتَهي فقُلْتُ اقتَرَحْتُ عليكَ السُّكُوتا

وقال ابن عباس « العلم أكثر من أن يحصى . فخذوا من كل شيء أحسنه »

المدائنى عن العباس بن عامر قال : خطب محمد بن الوليد بن عتبة [١] الى عمر ابن عبد العزيز رحمه الله أخته فقال « الحمد لله رب العزة والكبرياء . وصلى الله على محمد خاتم الانبياء . أما بعد فقد أحسن بك ظنا من أودعك حرمته . واختارك ولم يختر عليك . وقد زوجناك على ما فى كتاب الله . فى امساك بمعروف أو تسريح باحسان [٢] »

قال وخطب أعرابى وأعجله القول وكره أن تكون خطبته بلا تحميد ولا تمجيد فقال « الحمد لله غير ملال لذكر الله . ولا ايثار غيره عليه » ثم ابتدأ القول فى حاجته

وسأل أعرابى ناسا فقال « جعل الله حظكم فى الخير ولا جعل حظ السائل منكم عذرة صادقة »

وكتب ابراهيم بن سيابة الى صديق له « كثير المال . كثير الدخل . كثير النض . اما مستسلفا واما سائلا » فكتب اليه الرجل « العيال كثير . والدَّين ثقيل . والدخل قليل . والمال مكذوب عليه » فكتب اليه ابراهيم « ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا . وان كنت محجوجا فجعلك الله محذورا » وقال الشاعر :

لعَلَّ مُفيداتِ الزَّمانِ يُفِدْنَني بَني صامتٍ في غَيرِ شَيءٍ يَضيرُها

وقال أعرابى « اللهم لاتنزلنى ماء سوء فأكون امرأ سوء » وقال أعرابى « اللهم قنى عثرات الكرام » قال وسمع مجاشع الربعى رجلا يقول « الشحيح أعذر من الظالم » فقال « أخزى الله شيئين خيرهما الشح » قال وأنشدنا أبو فروة :

إِنِّي مَدَحْتُكَ كاذِبًا فأثَبْتَني لَمَّا مَدَحْتُكَ ما يُثابُ الكاذِبُ

وأنشد على بن معاذ :

ثالبَني عَمْرٌو وثالبْتُهُ فَأُثِمَ المَثْلُوبُ والثّالِبُ

قُلْتُ لهُ خيرًا وقالَ الخنا كُلٌّ عَلَى صاحِبِهِ كاذِبُ

---

١ خ : عتبة ٢ راجع ص ٢٨ من سيرة عمر بن عبد العزيز

أبو معشر قال : لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو ابن سعيد قام خطيبا فقال « إن أباذبان قتل لطيم الشيطان ، كذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون »

ولما جلس عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه على المنبر قال « يا أيها الناس ، إن الله قد فتح عليكم أفريقية ، وقد بعث اليكم ابن أبي سرح عبد الله ابن الزبير بالفتح ، قم يا ابن الزبير » قال : فقمت وخطبت ، فلما نزلت قال « يا أيها الناس ، انكحوا النساء على آبائهن وأخواتهن ، فاني لم أر لابي بكر الصديق ولدا أشبه به من هذا » وقال الجرمي :

أَعْدَدْتُهُ ذُخْراً لِكُلِّ مُلِمَّةٍ … وَسَهْمُ المَنَايَا بِالذَّخَائِرِ مُولَعُ

وذكر أبو العيزار جماعة من الخوارج بالادب والخطب :

وَمُسَوَّمٍ لِلْمَوْتِ يَرْكَبُ دِرْعَهُ (١) … بَيْنَ القَوَاضِبِ وَالقَنَا الخَطَّارِ

يَدْنُو وَتَرْفَعُهُ الرِّمَاحُ كَأَنَّهُ … شِلْوٌ تَنَشَّبَ فِي مَخَالِبِ ضَارِ (٢)

فَثَوَى صَرِيعاً وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ … انَّ الشُّرَاةَ قَصِيرَةُ الأَعْمَارِ (٣)

أُدَبَاءُ إِمَّا جِئْتَهُمْ خُطَبَاءُ (٤) … ضُمَنَاءُ كُلِّ كَتِيبَةٍ جَرَّارِ

ولما خطب سفيان بن الابرد الاصم الكلبي ، فبلغ فى الترغيب والترهيب المبالغ ، ورأى عبد الله بن هلال الشكرى أن ذلك قد فت فى أعضاد أصحابه أنشأ يقول :

لَعَمْرِي لَقَدْ قامَ الأَصَمُّ بِخُطْبَةٍ … لَهَا فِي صُدُورِ المُسْلِمِينَ غَلِيلُ

لَعَمْرِي لَئِنْ أَعْطَيْتُ سُفْيَانَ بَيْعَتِي … وَفَارَقْتُ دِينِي إِنَّنِي لَجَهُولُ

فت فى عضدى أى غرنى وخوفنى

وقال أحد الخطباء الذين تكلموا عند الاسكندر ميتا « كان أمس أنطق منه اليوم . وهو اليوم أوعظ منه أمس » فاخذ أبو العتاهية هذا المعنى بعينه فقال :

بَكَيْتُكَ يا عَلِيُّ بِدَرِّ عَيْنِي … فَلَمْ يُغْنِ البُكَاءُ عَلَيْكَ شَيَّا

---

١ سوم على القوم : أغار عليهم فعاث فيهم ٢ الشلو : كل مسلوخ أكل منه شىء و بقيت منه بقية
٣ الشراة : الخوارج ، سموا بذلك لقولهم شرينا أنفسنا فى طاعة الله

طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ كَذَاكَ خُطُوبُهُ نَشْراً وَطَيّاً
كَفَى حَزَناً بِدَفْنِكَ ثُمَّ إِنِّي نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَّا
وكانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ اليَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّا

قال ومن الاسجاع الحسنة قول الاعرابية لابنها حين خاصمته الى عامل الماء « أما كان بطنى لك وعاء ، أما كان حجرى لك فناء . أما كان ثديى لك سقاء» فقال ابنها « أصبحت خطيبة رضى الله تعالى عنك » لانها قد أتت على حاجتها بالكلام الوجيز المتخير كما يبلغ ذلك الخطيب بخطبته . وقال النمر بن تولب :

وقالَتْ ألا فاسْمَعْ لِلَفْظِى وخُطْبَتِى فَقُلْتُ سَمِعْنَا فانْطِقِى وأَصِيبِي
فَلَمْ تنطقى حقا ولستِ بأهلِهِ فقبحتِ مِنْ قائلٍ وخطيبِ (١)

وقال أبو عياد كاتب أبى خالد « ماجلس أحد قط بين يدى الا تمثل لى أنى ساجلس بين يديه »

قال الله عز وجل « وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا » ليس يريد بلاغة اللسان ، وان كان اللسان لايبلغ من القلوب حيث يريد الا بالبلاغة

قال وكانت خطبة قريش فى الجاهلية ـ يعنى خطبة النساء ـ « باسمك اللهم . ذكرت فلانة وفلان بهامشغوف . باسمك اللهم . لك ماسالت ولنا ماأعطيت»

ولما مات عبد الملك بن مروان صعد المنبر الوليد ابنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « لم أر مثلها مصيبة ، ولم أر مثلها ثوابا : موت أمير المؤمنين والخلافة بعده . أنا لله وانا اليه راجعون على المصيبة . والحمد لله على النعمة . انهضوا فبايعوا على بركة الله رحمكم الله » فقام اليه عبد الله بن همام فقال :

اللهُ أعطاكَ التى لافوقَها وقد أرادَ الملحدُونَ عوْقَها
عنكَ ويأبَى اللهُ الاّ سوْقَها إِلَيكَ حتى قلّدُوكَ طوْقَها

فبايع الناس

وقيل لعمرو بن العاص فى مرضه الذى مات فيه « كيف تجدك » قال،

١ كذا فى الاصل

« أجدنى أذوب ولا أتوب ١ وأجد نجوى أكثر من رزئى ٢ فما بقاء الشيخ على ذلك »

وقيل لاعرابى كانت به أمراض عدة « كيف تجدك » قال « أما الذى يعمدنى فحصر وأسر »

وقال مقاتل : سمعت يزيد بن المهلب يخطب بواسط فقال « يا أهل العراق يا أهل السبق والسباق ومكارم الاخلاق ، ان أهل الشام فى أفواههم لقمة دسمة قد زببت ٣ لها الاشداق وقاموا لها على ساق وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدال فالبسوا لهم جلود النمور

---

١ ولا أرجع ٢ النجو : مايخرج من البطن من ريح أوغائط . ورزء الشىء رزءا : أصاب منه ، ولعله يريد أن مايخرج منه أكثر مما يصيب من الطعام ٣ ثبتت

آخر الجزء الاول

# فهرس الجزء الاول

## من كتاب

# البيان والتبيين

## لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ


| صفحة | |
|---|---|
| ٣ | فاتحة الكتاب فى التعوذ من العى والحصر وما قيل فيهما |
| ٣ | فى أن العى عىّ مقال وعى فعال |
| ٤ | رأى بزرجمهر فى وسائل ستر العى |
| | العقدة التى كانت فى لسان موسى عليه السلام |
| ٥ | ماورد فى القرآن من ذكر البيان ووصف العرب برجاحة الاحلام وصحة العقول و بلاغة الالسنة |
| ٦ | فى أن حلاوة الحديث من آداب الضيافة عند العرب |
| ٧ | عود الى صفة قريش والعرب و بيانهم . القول فى أن مضرة سلاطة اللسان ليست أعظم من مضرة العى |
| ٨ | فى أن تكلف صاحب التشديق والتقعير أعذر من عى يتكلف الخطابة |
| | الكلام على واصل بن عطاء ولثغته |
| ٩ | الكلام على اللثغة بالراء |
| | ماقاله بشار فى واصل بن عطاء |
| ١٠ | كلمة واصل فى بشار |
| | الكلام على « الفصح » فى لغة العرب |
| ١١ | لغات أهل الامصار |
| ١٢ | حفظ الالفاظ والاشعار والرجال من الشهرة |
| | احتيال واصل على تجنب الراء. |
| ١٣ | الحروف التى يكثر استعمالها |
| ١٤ | ما كان قاله بشار فى مدح واصل |
| | رائية صفوان الانصارى فى الانتصار لواصل وهجو بشار |
| ١٦ | دالية صفوان فى نقض رأى بشار فى تفضيل النار على الطين |
| ١٨ | ماقاله حماد عجرد وغيره فى هجو بشار وإخوته |
| ١٩ | أبيات فى كرم خصال الارض |
| | دالية أخرى لصفوان فى النار والطين |
| | ماقيل فى تلقيب واصل بالغزّال |
| ٢٠ | الكلام على لثغة السين والقاف واللام |
| ٢١ | الكلام على لثغة الراء |
| ٢٢ | التمتمة والفأفأة واللفف واللجلجة واللكنة والحكلة |
| ٢٤ | السعلة والنحنحة فى الخطب |
| ٢٥ | صفة خطباء إياد |
| ٢٦ | كلام فى صفة الخطباء |
| ٢٧ | الجمع بين الخطابة والشعر ، ومن اشتهر بذلك |
| ٢٧ | الذين اشتهروا بالمحافظة على الصداقة مع الاختلاف فى المذهب |
| ٢٨ | عود الى من اشتهر بالجمع بين الخطابة والشعر |
| | خطباء الامصار وشعراؤها : بشار |

صفحة

٣٠ المطبوعون على الشعر من المولدين
عود الى الخطباء الشعراء
٣١ مفخرة اختصت بها إياد وتميم
٣٢ الكلام على بعض العيوب الجسمية فى الخطباء
٣٣ عيوب اللسان
الكلام على نزع الزنوج ثناياهم
٣٤ سقوط الاسنان
٣٦ الكلام على تلفظ الايمن والاعسر والاضبط . طول اللسان . سقوط كل الاسنان . حروف اللثغات
٣٧ التنافر والاتفاق والقران فى الشعر والالفاظ والحروف
٣٩ اختلاف اللهجات
تقليد اللهجات والاصوات
٤٠ حكم الحروف اذا تمكنت فى الالسنة
لكنة زياد الاعجم
٤١ لكنة عبيد الله بن زياد وصهيب بن سنان وأبى مسلم صاحب الدعوة
لكنة العامة
٤٢ لكنة المتعربين
٤٢ باب البيان
٤٣ حكم الالفاظ وحكم المعانى
أصناف الدلالة على المعانى
٤٤ الاشارة وما قال الشعراء فيها والفرق بينها وبين الصوت
٤٥ الكلام على الخط والعقد والنصبة
٤٧ صفة الكلام الحسن
٤٧ كلام مأثور عن البلغاء فى العقل والبيان

صفحة

٤٨ ضرر حفظ المعنى الحقير واللفظ اللاجين
٤٩ البلاغة فى عرف الفرس واليونان والهنود
٤٩ الكلام على جمال الخطيب وتأثيره فى السامعين
٥٠ إعظام الناس للغريب دون القريب
وقع بلاغة الخلفاء فى نفوس الناس
٥١ بلاغة المأمون .
حركة الخطيب وسكونه أثناء الخطابة
٥١ ترجمة صحيفة هندية فيها صفة البلاغة والبليغ
٥٢ بعض حقوق المعانى
كلام ابراهيم بن هانئ الماجن فى تمام آلات كثير من الشؤون ومنها البلاغة
٥٣ فى أن عظم الرأس من كمال الرئاسة
٥٤ فصاحة عبد القيس وفصحاؤها
تعريف الايجاز
٥٥ باب ذكر البلاغاء المكثرين :
أبو وائلة . المزنى . إياس
٥٦ إياس بن معاوية فى محكمة دمشق وهو صغير
٥٧ ربيعة الرأى . عبيد الله بن محمد بن جعفر . محمد بن مسعر . أحمد بن المعذل . الفضل بن سهل . الحسن بن سهل . على ابن هشام
٥٨ بعض آداب الحديث
جعفر بن يحيى ورأيه فى البيان
٥٩ توقيعات أم جعفر بن يحيى
تشبيههم اصابة عين المعنى باللفظ الموجز بحذق الجزار فى فل الحز واصابة المفصل

| صفحة | |
|---|---|
| ٦١ | بلاغة ثمامة بن أشرس |
| ٦٢ | جودة الابتداء وجودة القطع |
| | فصاحة شبيب بن شيبة |
| | كلمة العتابي في البلاغة |
| ٦٣ | حديث مع عمرو بن عبيد في البلاغة |
| | كلمات لبعض المشاهير فيمن أنطق الناس |
| ٦٤ | تفسير ابن المقفع للبلاغة |
| | صفة خطبة النكاح |
| | كلام قيس بن خارجة في حمالة داحس والغبراء |
| ٦٥ | تفسير ابن المقفع لبعض كلام عمر بن الخطاب . التمثل بالشعر في الخطب والرسائل ومجالس الوعظ |
| ٦٦ | سبب تشادقهم ومدحهم لذلك وماقالوا فيه الكلام على جهارة الصوت والمكاء والتصدية |
| ٦٩ | حديث بين فتى من النصارى وبين ابن فهريز |
| ٧٠ | كيفية طواف الرشيد بالبيت |
| | وفد للروم عند عبد الله بن صالح |
| ٧١ | أبيات أخرى في جهارة الصوت |
| ٧٢ | كلمة للفرزدق في نشاط القرائح وخمولها |
| ٧٣ | أناس كبار عند قوم ، صغار عند آخرين |
| ٧٤ | عود الى ذكر التشديق و بعد الصوت |
| | مايعترض الخطيب من البهر |
| ٧٥ | كلمة للكميت وأخرى لعبيد الله بن زياد في الخطب |
| | كلام طويل لبشر بن المعتمر في صناعة البيان |
| ٧٦ | بلاغة الكتاب |
| | أرقى الامم الى عهد المؤلف |
| ٧٨ | بقية كلام بشر بن المعتمر |

| صفحة | |
|---|---|
| ٧٨ | النهي عن استعمال اصطلاحات العلوم في الخطب |
| ٧٩ | جواز ذلك في ملح الشعراء |
| | تملح بعض الشعراء بادخال ألفاظ فارسية في الشعر العربي |
| ٨٠ | في أن الكلام الناس كما للناس طبقات |
| ٨١ | في أن ألذ الكلام كلام الاعراب الفصحاء والعلماء والبلغاء . وفي أن لكل مقام مقالا |
| ٨٢ | ملاحة لحن الكواعب النواهد |
| | ماقالوه في جودة الاصابة |
| ٨٣ | بعض أقوالهم في بلوغ المعاني بالالفاظ اليسيرة |
| ٨٤ | نماذج من كلامهم الموجز في أشعارهم |
| ٨٧ | مدحهم للايجاز والوحي والتحذير من ميسم الشعر |
| ٩٠ | في أن مراعاة قوانين العربية من شروط البلاغة العربية |
| ٩١ | صفة الاعراب الذين يجوز الاحتجاج بعربيتهم |
| ٩٢ | لكنة الموالي والجواري |
| ٩٣ | ذكر ماقالوا في مدح اللسان |
| ٩٤ | فيما مدحوا به الاعرابي اذا كان أديبا |
| ٩٥ | ماقالوه في طول اللسان |
| | اشتقاق بعض أسماء الشهور العربية |
| ٩٦ | باب في ذكر اللسان |
| ٩٧ | تحاسد المتفقين في شيء ما |
| | فصاحة بعض الفصحاء |
| ٩٨ | مدحهم شدة العارضة ، وقوة المنة ، وظهور الحجة ، وثبات الجنان ، وكثرة |

صفحة

الريق والعلو عن الخصم وذمهم خلاف ذلك
١٠٣ ماقالوا فى تعظيم شان نعمان بن عاد الاكبر والاصغر ولقيم بن لقمان
١٠٤ رغبتهم فى البنين عن البنات
١٠٥ عود الى ذكر لقمان والعرب الاولى
١٠٦ بحث فى هل بقى من العرب الاولى بقية . وعود الى ذكر لقمان والعرب الاولى
١٠٧ كراهتهم الفضول فى البلاغة
١٠٨ فى أنهم كانوا يحاسبون أنفسهم على كلامهم
١٠٩ باب الصمت
١١٠ ماقيل فى القباع . اتقاؤهم ماينافى الفضائل
١١٢ بعض ملحهم . فضل البيان على الصمت
١١٣ حديث « كان شعيب خطيب الانبياء» دحض حجج من يؤثر الصمت على البيان
١١٤ وصية الجاحظ لمن يريد تكلف صناعة الادب . وبحث فى أن القول البائت المنقح خير من القول الفطير
١١٥ جود القرائح بشىء دون شىء من فنون الكلام
١١٦ باب القول فى القوافى الظاهرة واللفظ الموجز
١١٧ باب آخر وفيه جملة مختارة من المنظوم والمنثور
١٢٢ باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل فى باب الخطب
١٢٤ باب تشبيههم كلامهم بالديباج والوشى
١٢٧ باب مدحهم الكلام الموزون الذى يكون لفظه على قدر معناه
١٢٩ باب آخر من الشعر مما قالوا فى الخطب

صفحة

واللسن والامتداح به والمديح عليه
١٣٠ بعض شعر أبى العباس الاعمى مولى بنى بكر بن عبد مناف
١٣٣ أخبار عن بعض الفصحاء الذين لايدل ظاهرهم عليهم
١٣٤ قصيدة سلمة بن خرشب فى الرهن التى وضعت بين يدى سبيع التغلبى فى قتال عبس وذبيان
١٣٥ علم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالشعر
١٣٦ تقدم الشعراء على الخطباء أولا ، وتقدم الخطباء على الشعراء آخرا . ذكر بعض من اشتهروا بالعلم والعقل والعبادة
١٣٧ باب ذمهم النوك والعى والحمق وأخلاق النساء والصبيان
١٣٩ باب فى ذكر المعلمين . استحماق رعاة الغنم
١٤٠ باب آخر فى الحمق والمعلمين
١٤١ ذكر نفر من المعلمين كانت لهم جلالة قدر باب مايخشى من اتخاذ البيان آلة لتاييد الباطل
١٤٢ واجب البليغ فى استعمال البلاغة
١٤٣ باب من الخطب القصار من خطب السلف ومواعظ النساك وتاديب من تاديب العلماء
١٤٧ بعض شعر لبيد
١٤٨ بعض أبيات فى الشغب والمخاصمة
١٤٩ بعض أقوال من يؤثر السكوت
١٥٠ دحض رأى القائلين بايثار السكوت
١٥١ بعض ماقيل فى العلم والشباب
١٥٢ باب ماقالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المحذوف القليل الفضول

| صفحة | | صفحة | |
|---|---|---|---|
| ١٥٦ | باب آخر من الاسجاع فى الكلام | ١٨٠ | داود بن على . عبد الله بن الحسن . سهل ابن هارون |
| ١٥٨ | الكلام على سجع الجاهلية | ١٨١ | سليمان وداود وأيوب واسماعيل أبناء جعفر وأبوهم جعفر بن حسن بن الحسين عبد الملك بن صالح العباسى وجماعة من ذوى قرابته |
| ١٥٩ | الشعر الذى نظم قصدا والذى يأتى عفوا تسمية كهان العرب وذكر أسجاعهم وسبب النهى عنها | ١٨٢ | عبد الله بن على وداود بن على |
| ١٦١ | أخبار بعض خطباء البصرة | | جحدب التميمى |
| ١٦٢ | باب أسجاع | | عبد الله بن شبرمة |
| ١٦٤ | خبر قطع أهل المزة الماء عن دمشق | ١٨٣ | خالد بن صفوان الاهتمى |
| ١٦٥ | خطبة من خطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم | ١٨٤ | حنظلة بن ضرار |
| ١٦٦ | بعض كلمات خطب بها سليمان بن عبد الملك | ١٨٥ | مشجور بن غيلان . قطرى بن الفجاءة . ابن صديقة . شبيل بن غرزة الضبعى |
| ١٦٧ | باب أسماء الخطباء والبلغاء والابيناء وذكر قبائلهم وأنسابهم | ١٨٦ | الضحاك بن قيس الشيبانى |
| | الفضل بن عيسى الرقاشى وابنه عبد الصمد وعمه أبان | | عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر |
| | | | يزيد بن عمر بن هبيرة |
| ١٦٨ | قس بن ساعدة . زيد بن على | ١٨٧ | عمران بن حطان وجماعة من الخوارج |
| ١٧٠ | هند بنت الخس . جمعة بنت حابس | ١٨٨ | بعض الخطباء والابيناء |
| ١٧١ | سعيد بن العاصى . عمرو بن سعيد | ١٨٩ | شبيب بن شيبة وغيره |
| ١٧٢ | سعيد بن عمرو بن سعيد سهيل بن عمرو الاعلم | ١٩٢ | باب من أسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان |
| ١٧٣ | عبد الله بن عروة بن الزبير . الخنف بن زيد بن جعونة . عتبة بن عمرو . شعبة بن العلقم و بنوه . أبو بكر بن الحكم | ٩٤ | باب ذكر النساك والزهاد من أهل البيان |
| | | ١٩٥ | ذكر القصاص |
| | | ١٩٧ | باب ماقيل فى المخاصر والعصى وغيرهما |
| ١٧٤ | جماعة آخرون من المشاهير | ١٩٩ | الشعراء الذين يغلب شىء قالوه فى أشعارهم على أسمائهم فيسمون به |
| ١٧٥ | عقيل بن أبى طالب وجماعة آخرون | | |
| ١٧٦ | عبيد الله بن زياد بن ظبيان | ٢٠٠ | الغضبان بن القبعثرى |
| ١٧٧ | محاورة بين عبد الملك بن مروان وعبيد الله | ٢٠١ | رسالة يحيى بن عامر على لسان يزيد بن المهلب |
| ١٧٨ | بعض خطباء العرب | | |
| ١٧٩ | الجارود بن أبى سبرة . عبد الله بن عباس | | حكاية أبى الاسود الدؤلى مع الغلام المتقعر |

صفحة


| | |
|---|---|
| | إغراب أبى علقمة النحوى |
| ٢٠٢ | ذكر الأمم التى فيها الأخلاق والآداب |
| ٢٠٤ | والحكم والعلم |
| | بعض مزايا العرب |
| ٢٠٥ | بعض قصص الحجاج |
| ٢٠٦ | وصية زياد التى كتبها عبد الملك بن مروان وأمر الناس بحفظها |
| ٢٠٧ | باب ماذكروا فى أن أثر السيف يمحو أثر الكلام |
| | جرأة فتى شجاع على أمير ظالم |
| ٢٠٩ | بعض خطبة الحجاج يوم ولايته العراق |
| | قصص الحجاج أيضا |
| ٢١٠ | وفود العراق تشتم الحجاج عند سليمان بن |
| ٢١١ | عبد الملك بعد غضبه عليه |


(تم)

# جدول الخطأ والصواب

## الجزء الاول

### من البيان والتبيين

| ص | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ٢ | ١٣ | عيّ السّكوت | عيّ سَكوتُ |
| ٢ | ١٥ | والتفات وسعلةٍ | الضم في الكل |
| ٣ | ٢ | ولا عيّ | ولا عييٍّ |
| ٣ | ٤ | وفي الصمّت | الصّمت |
| ٣ | ٥ | شبيه | شبيه |
| ٣ | ١٤ | في المنطق | في النطق |
| ٣ | ١٤ | الجلاح | الجلاح |
| ٥ | ٢١ | لخصومة | الخصومة |
| ٥ | ٢٥ | لحياة | الحياة |
| ٧ | ٢٢ | فان تسكفا | فان تسكفا |
| ٨ | ٥ | والقعيب | والتقعيب |
| ٨ | ١٣ | من بدا | من بدأ |
| ٨ | ١٩ | المى | التهيي |
| ٩ | ١٦ | مثاقلة | مناقلة |
| ١١ | ١ | السائلُ | السائلَ |
| ١١ | ٤ | بصغار | بصُفار |
| ١١ | ١٧ | لخد | فعدّ |
| ١١ | ٢٠ | في غير ذلك | الى غير ذلك |
| ١١ | ٢٦ | جهارسوك | الجهارسو |
| ١٣ | ٢ | للفظ | اللفظ |
| ١٥ | ٧ | لحروريّ | لحروريّ |
| ١٧ | ١ | والاحجارُ فاخرةً | والاحجارِ فاخرةٍ |
| ١٨ | ١ | مجد | مجرد |

| ص | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٨ | ٢ | بالقبيحُ | بالقبيحَ |
| ١٨ | ٥ | الاكيمه | الأُكيمه |
| ١٨ | ١٣ | الضاع | الضباع |
| ١٩ | ١٦ | كلُّ القوم | كلَّ القوم |
| ٢٣ | ١ | ابوعيدة | ابوعبيدة |
| ٢٣ | ٢٣ | التّمُل | التّمل |
| ٢٤ | ٥ | الحنحة | النحنحة |
| ٢٤ | ١٣ | مضار بُه | مضار به |
| ٢٤ | ٢٠ | الصفر | الصفري |
| ٢٥ | ١ | ويلُ | ويلَ |
| ٢٦ | ١١ | الطول | الطوال |
| ٢٩ | ٥ | الذرا | الذرى |
| ٣٠ | ١٣ | هدّم | هدَم |
| ٣٠ | ١٤ | عمرو بنُ | عمرو بنَ |
| ٣٣ | ١٦ | مشتملُ | مشتملِ |
| ٣٥ | ١٢ | وكان الالحاح على القيس | (كذا) اسم محرّف |
| ٣٦ | ٢٦ | للسرياني | للسريان |
| ٣٨ | ٧ | سليسة | بسلسة |
| ٣٨ | ١٥ | عشية ارامُ | عشية ارامِ |
| ٤٠ | ٨ و٩ | القح | القبح |
| ٤٠ | ٢٣ | إن تجهزت | أن تجهزت |
| ٤١ | ٦ | لسكة | لسكنة |

| ص | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ٤١ | ٢٣ | تذكيرُ وتانيثُ | تذكيرَ وتانيثَ |
| ٤١ | ٢٤ | والسوأةُ | والسوأةَ |
| ٤٨ | ٩ | ههنا | ههنا |
| ٤٩ | ٢١ | المـاس | التماس |
| ٤٩ | ٢٤ | جامع | جاء مع |
| ٤٩ | ٢٥ | المـام | التمام |
| ٥ | ١ | العدامة | القدامة |
| ٥٠ | ٦ | ذميما | دميما |
| ٥٠ | ٧ | الذميم | الدميم |
| ٥٣ | ١٠ | الخلائف | الخلائف |
| ٥٣ | ١٨ | دمالعان | دمالقان |
| ٥٨ | ٧ | مؤنه | مؤنة |
| ٥٩ | ١٥ | ماعفٌ | ماعفٌ |
| ٦٠ | ١٧ | مثلُ | مثلَ |
| ٦٢ | ٢ | وقوفُ | وقوفِ |
| ٦٥ | ٦ | زورا | زوراَ |
| ٦٥ | ٢١ | والذّوة | والذُّروة |
| ٦٥ | ٢٥ | البلغ | البليغ |
| ٦٦ | ٨ | بلا | بلى |
| ٦٧ | ١٣ | طول | طوال |
| ٦٨ | ٤ | فاقارة | ياقارةً |
| ٦٨ | ١٦ | يَصرُفون | يَصرِفون |
| ٨١ | ٧ | ولا آق | ولا آنق |
| ٨١ | ١٣ | يحتم | يحتم |
| ٨٣ | ١ | معروفةُ | معروفةٌ |
| ٨٤ | ٧ | عينهقرارُه | عينه فرارُه |
| ٨٦ | ١٤ | ترى طولَ | تُرى طولُ |
| ٨٨ | ٢ | محامدُ مشاتيمُ مخايط | بالكسر |
|  | ٣ | مواديمُ متاركُ | الكسر في الجميع |
| ٨٨ | ٦ | طعن | طُعُنِ |
| ٨٨ | ١٤ | الابرْ | الابَرُ |
| ٨٩ | ٢ | تذكى | تُذكى |
| ٩٠ | ١٧ | هوازها | اهوازها |
| ٩٢ | ١٣ | تذكيرُها وتانيثُ | تذكيرَها وتانيثه |
| ٩٣ | ٤ | وأخبارُهم | وأخبارَهم |
| ٩٤ | ١٩ | ام العيش | ام العيشَ |
| ٩٦ | ٢ | معجَب | معجِب |
| ٩٦ | ٣ | فلم تبقَ | فلم يبق |
| ٩٧ | ٢ | فلااردى | فلاادرى |
| ٩٧ | ١٠ | بجرى | نجرى |
| ٩٨ | ٥ | طيقاء | طباقاء |
| ٩٨ | ١٤ | وجدتَها | وجدتُها |
| ٩٩ | ٨ | يُسهدى | يَهدى |
| ٩٩ | ١٨ | لوَاقِحٌ دُلَّحٌ | لواقحُ دُلَّحٌ |
| ١٠٠ | ١٤ | عاصِبَه | عاصبُه |
| ١٠١ | ١٢ | ورقبتُه | ورقبتِه |
| ١٠٤ | ٦ | كنت امرءًا | كنت امرءًا |
| ١٠٥ | ١٥ | لا يصحبُ المُقَرعٌ | لا يصحب المُقرعَ |
| ١٠٦ | ٥ | مرسله | مرسل |
| ١٠٦ | ٢٠ | وأخلُف | وأخلاف |
| ١٠٧ | ١ | موضِعين | موضَعين |
| ١٠٧ | ٥ | ميتُ | ميتٌ |
| ١٠٧ | ١١ | ذوفنونٌ ذاجدونٌ الخ | التحريك في الكل |
| ١٠٧ | ١٣ | واهل بنو | واهلَ بنى |

| ص | سطر | خطا | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٠٨ | ١٥ | وفصل الكلام | وفصلُ الكلام |
| ١١٠ | ١٢ | اياك | واياك |
| ١١١ | ١٣ | المعاذير | المَعاذير |
| ١١٧ | ١٣ | قديقرض | وقد يقرض |
| ١١٨ | ١٥ | يحفظ | لحفظ |
| ١٢٠ | ١٠ | اسلتمه | أسلمته |
| ١٢١ | ١٨ | حُمّلته | حَمّلته |
| ١٢٢ | ١٤ | سائرَه | سائرُه |
| | | كبرد عمان يرجُ البيع | كبرد اليمانى يرجُ البيعَ |
| ١٢٤ | ٩ | تاجرُه | تاجرَه |
| ١٢٤ | ٢١ | البرد | البرود |
| ١٢٥ | ٧ | بلاء الريط | بِلاء الريط |
| ١٢٦ | ٤ | ماءَ | ماءُ |
| ١٢٧ | ١ | اعاذلُ | اعاذلَ |
| ١٢٧ | ١٠ | وقولُ | وقولِ |
| ١٢٨ | ١٥ | وجلدُ وثيقُ | وجلدَ وثيق |
| ١٢٩ | ٢ | ذكرنافى | ذكرنا ذلك فى |
| ١٢٩ | ١٢ | لغوب | لعوب |
| ١٢٩ | ٢٠ | يهدى المقانب | يهدى المقانبَ |
| ١٣٠ | ١٨ | واعلمُ | واعلمَ |
| ١٣٠ | ١٩ | وارفقُ | وارفقَ |
| ١٣١ | ١ | مَدنسا | مُدنسا |
| ١٣١ | ٧ | يتذرك امرا | يتذرك امرءٌ |
| ١٣١ | ١٠ | اعمد | اعمد |
| ١٣٢ | ٤ | ويلقى ذا | ويلقى ذو |
| ١٣٢ | ١٥ | ثقولان | تقولان |
| ١٣٣ | ٤ | كَبَرت | كَبُرت |
| ١٣٦ | ٩ | بفرط | لفرط |
| ١٣٨ | ٧ | لاقيت امرءا | لاقيت امرءا |

| ص | سطر | خطا | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٣٨ | ١٢ | كلبسة | كلبسته |
| ١٤٤ | ١٩ | صورى | مصوّر |
| ١٤٥ | ٢٦ | مستقصّ | مستقصَ |
| ١٤٦ | ٤ | الالجاجتكم | الالجاجتكم |
| ١٤٧ | ١٣ | وابيضُ | وابيضَ |
| ١٤٨ | ٥ | اذاعاقبتُ | اذاعاقبتَ |
| ١٤٨ | ١٥ | وكيفُ لى | وكيفَ لى |
| ١٤٩ | ١١ | به المثل | بها المثل |
| ١٥٠ | ١٢ | ان السفيه | ان السفيهَ |
| ١٥٣ | ١٧ | المزاحة | المُزاحة |
| ١٥٥ | ١ | يرقبن كل | يرقُبن كلَّ |
| ١٥٥ | ٨ | احرُّ | احرَّ |
| ١٥٥ | ٢١ | المصيّف | المصيِّف |
| ١٥٦ | ٤ | لاالفهاهةُ | لاالفهاهةِ |
| ١٥٦ | ٧ | جنى النحلُ | جنى النحلِ |
| ١٥٦ | ٩ | سواحرَ | سواحرُ |
| ١٥٦ | ١٠ | كلامُهن برءٌ | كلامَهن برءٌ |
| ١٥٧ | ١٠ | لنجر | النجر |
| ١٥٧ | ١٧ | بنصيبين | بنصيبين |
| ١٥٩ | ٢١ | المهى | النهى |
| ١٦٠ | ٢٥ | بل ثاه | بل رثاه |
| ١٦٢ | ٥ | أُفكل | أَفكل |
| ١٦٤ | ١ | حى | حيٌّ |
| ١٦٥ | ٣ | بن ثضلة | بن نضلة |
| ١٧٠ | ٢٠ | اجزى | اخزى |
| ١٧١ | ١٣ | بجوّعا | بجوّعا |
| ١٧٣ | ١٧ | بن عنسكة | بن عنسكة |
| ١٧٥ | ٣ | الجامعُ العلمَ | الجامعُ العلمِ |

| ص | سطر | خطا | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٧٩ | ١٦ | فى النفـوسُ | فى النفوسِ |
| ١٧٩ | ٢٢ | شنشنةَ | شنشنةٌ |
| ١٨٣ | ٧ | اولية | اوليّه |
| ١٨٥ | ٥ | امثال ، كلٌ | وامثال، كلَّ |
| ١٨٦ | ٥ | ان اللهُ | ان اللهَ |
| ١٨٧ | ٢٨ | الايقوم | لا تقوم |
| ١٩٢ | ٢٠ | خطبا | خطيبا |
| ١٩٣ | ٢١ | خطيبٌ | خطيبُ |
| ١٩٤ | ٨ | حنظلةَ | حنظلةٌ |
| ١٩٨ | ١٩ | غمةٌ قرعَ | غمّهُ قرعُ |
| ٢٠٩ | ١٩ | حد | احد |
| ٢١٠ | ١٧ | دروهم | دورهم |
| ٢١٣ | ٢١ | ثدَى | ثدْىٌ |
| ٢١٤ | ١١ | كلَّ ظلام | كلُّ ظلام |
| ٢١٤ | ١٨ | لاامتناع | لاامتاع |
| ٢١٤ | ١٩ | وصاحب الامتناع | وصاحب الامتاع |
| ٢١٦ | ٢ | كذلك | وكذلك |

(تم)